إنسانولوجي

شقراط

فرست بوك

إنسانولوجي

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية

الشقر، أحمد محمد
إنسانولوجي/ أحمد محمد الشقر. - القاهرة: فرست بوك للنشر والتوزيع/ ط1/ القاهرة: ٢٠١٦م.
٢٣٢ص؛ ١٤×٢٠سم
تدمك: ٥-٢٨-٦٥١٨-٩٧٧-٩٧٨
رقم الإيداع: ٢٠١٦/١٤٥٦٠

دار النشر:	فرست بوك للنشر والتوزيع
عنوان الكتاب:	إنسانولوجي
الكاتب	د. أحمد محمد الشقر
رقم الطبعة:	الأولى
تاريخ الطبع:	٢٠١٦



فرست بوك

فرست بوك

٣٤ شارع زكي حواس - حلوان - القاهرة

ت: ٠١٠٠٨٩٥٤٣٢١ - ٠١٠٠١٨٠٧٢٣٥

Firstbook_mz@hotmail.com

إنسانولوجي

د. أحمد محمد الشقر



فرست بوك

2016


بسم الله الرحمن الرحیم

مش مقدمة

في زمن اليوتيوب والسينما.. في عصر السرعة والإنترنت.. ومع اختلاف الأجيال من جيل لـ جيل صعب تلاقي ناس كتير بتقرأ.. أو مهتمة بالقراءة.. عشان كده قررت أكتب بأسلوبي جايز أكون سبب في إن واحد زيادة يقرأ.. ويعرف معلومة من غير ما يحس.

تعمدت أن تكون اللغة سهلة والأسلوب بسيط.. لأني لا أكتب للمثقفين.. ولكني أكتب ليزيد المثقفين واحداً.

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].

تأليف: د. أحمد محمد الشقر

النسبية كما يجب أن تكون

> في سنة نص قبل الميلاد..
>
> دخلـتُ كهفاً.. فوجدتُ زِحاماً من أشـياءٍ لم أرى مثلها من قبـل.. وجدتُ كُتبـاً قد تراصَّت على شـكل أبراج، وحيوانـاتٍ وحشراتٍ قد تجمـدت في قوالب زجاجية..

حفِظَـت لها ملامحها، ووجدت بـين هذا الزحام رجلاً قد وُضع على جسـده ملابسٌ لم أعتد بها.. فلم تكن أنيقةً كزي عصرنا الفرعوني، وكان يضع أمام عينه شـيئاً عجيباً أيضاً، وكأنه رجلٌ من بلاد أخرى.. بلاد ما وراء النهر.. لا أدري إن كان ملـكاً من الملوك قد ضاقت بـه الدنيا وهرب إلى كهفٍ ليُدفن فيه، أو خادم قد حبسه مَلِكُه في هذا الكهف مع هذه المخلوقات وهذا البناء العجيب الذي خِلته كوخاً أو سرادقاً.

فتمهَّلـت إلى الرجـل في بطيءٍ.. فداسـت قدمـي في فخٍ قد أُعـدَّ ليُصدر صوتاً فينتبه الرجل، ليقول لي ما هو أغرب مما رأيته كله.

- أنت مين؟!

= لـ.. لقد.. دلني أناسٌ على هذا الكهف وأخبروني أنك مَن ستساعدني.

- ناس مين وأساعدك في إيه؟

= معي بحث كُلِّفتُ به من الأبلة[1] وأريد..

- لا.. آسف.

= إنه عن الإنسان.

- مممممم.. مقابل ايه؟!

= مقابل!!!! هل لمساعدة الناس مقابل؟!

- عادي. أه.

= إذاً.. ماذا تريد؟ الذهب.. الفضة.. الإبل؟!

- الهدوء.

= هاهاها.. أتمزح؟!

- ده شَرطي.

= حسناً.. ما هذا الشئ الذي أمام عينيك؟

- فيتو!

= ماذا تعني؟!

- فيتو يعني أعترض.. يعني لا.. الأسئلة هنا في حدود البحث وهجاوب على اللي أنا عايزه وبس.

= حسناً.

- وبلاش حسناً دي.. اسمها طيب.. قشطة.. كده يعني.

---

(١) الأبلة: تعني المَدرسة باللغة الفرعونية.

= قشطة!.. ما اسمك؟

- فيتو!

= و.. ما هذا الشئ الذي في فمك؟

- شوفت الهدوء صعب إزاي.. امسك ورقة البردي دي والريشة واكتب أسئلة البحث بس.

= حسناً.. حسـ.. طيب.. أخبرني عن ذكاء الإنسان!

فأخذ نفساً عميقاً ثم أخرج من فمه دخاناً كثيفاً.. وضاقت عيناه وقال:

- لو جبنا بويضة مُخصّبة أو جنين عشوائياً وضربناها في عدد لا متناهي من الإحتمالات من الكروموزومات[1] نفترض مثلًا ٢٨ كروموزوم، فتسأله تختار تبقى كائن طري ضعيف بطئ بتاكل خس وجزر وشايل بيتك على ضهرك وتعيش أكتر من ١٥٠ سنة.. ولا تختار العقل وتاكل ورق عنب؟! فيختار يبقى سلحفاة.

أو ٨ كروموزومات: تختار تبقى كائن مريض عندك زهايمر والذاكرة بتاعتك متعديش ١٠ ثواني والناس شايفاك تافه وملكش لازمة وتطير تزنّ في ودنهم.. ولا يبقى عندك عقل وتقتل الكائن ده؟ فـ يختار يتقتل كـ دبانة.

أو مثلا ٣٨ كروموزوم: تختار تبقى مُشعِر ومراتك تروح تصطاد أكلك وتجبهولك لحد عندك وتبقى مَلك الغابة.. ولا تبقى مُشعر بردو ومراتك تصطادك أنت وتاكل أكلك وتاكلك أنت كمان؟ فيختار يبقى أسد.

---

(١) الكروموزوم: ما يحمل جينات الكائن الحي.

أو مثـلا ٥٥ كرومـوزوم: تختار تلبـس حرير وتنـام في حرير وتصحى في حريـر وتروح تطير زي الفراشـة.. ولا تختار العقل ومتلبسـش حرير؟ فيختار يبقى دودة قز.

أو ٤٦ كروموزوم: تختار العقل ولا ....؟ عقل!! يعني ايه وشـكله ايه؟.. أه أه ماشي هختار العقل.. اللي هيستخدم منه بس حوالي ١٠٪.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

= فنظـرت إليـه وقد نفـذ الحِبر مني ومـلأت الورقة بكل أشـكال وألوان الأسئلة المتعلقة بالموضوع والغير منها، فأخذ مني الورقة.. وابتسم وكتب.

- فيتو.

= لا أدري إن كان يتحدث عن ذكاء الإنسان أم لا.. فقلت له، إذاً حدثني عن غباء الإنسان!

- ممممم ... خُد الورقة دي.

= لا، معي ورقة؟

- لا، خُد اللي معايا دي!

= فأخذتها.. ووجدت عليها نملة، فدعستها.. فـصرخ الرجل وفزع من مكانه!!

- أنت عملت ايه؟!!! أنت عارف أنت عملت ايه؟!!! دي الملكة!!!

= إنها مجرد نملة... مجرد حشرة!

- أنت حطمتها!!! الملكة لو ماتت القبيلة تموت!!

= حطمتها! هل دعست على سفينة؟! ثم أخذ النملة في رفق، وحملها ووضعها في شيء عجيب.. فقلتُ: أسيُحييها هذا الشيء؟!

- ده ميكروسكوب بيكبَّر الحاجة ١٠٠٠ مرة.. تعالى بص

النملة اللي أنت مستقل بيها دي.. مكونة من صناديق إزاز متركبة على بعض وفيها مفصلات على هيئة أيادي وأرجُل وقرون استشعار فوق (أيوة إزاز).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

النملة اللي أنت مستقل بيها دي عندها نظام دقيق جداً، أقوى من نظام الفرعون بتاعك.. اللي أنت شايفها دي الملكة.. تعرفها من الجناحين بتوعها الكبار... في موسم التزاوج بتبدأ تطير ويطير وراها ذكور النمل - نمل أضعف وجناحاته أقصر - عشان كده مش بيلحقها إلا أقواهم، بعد كدة الملكة دي مش بتحتاج ذكور تاني بقية حياتها، وبتحتفظ باللقاح ده على طول.. حتى بُص على بطنها!! بتفضل تحرك بطنها.. بتقلِّب اللقاح وكل يوم تبيض بيضة.

النملة اللي أنت مستقل بيها دي لما بتيجي تبيض.. بتثني جسمها زي حرف الدال «د» كده وبـ بوقها اللي زي الدبوس بتتطلع البيضة من غير ما تتكسر، وتغسلها بـ لعابها المكوّن من أنتي بيوتك (مضاد حيوي) عشان يموّت البكتيريا.

النملـة الـلي أنت مسـتقِل بيها دي بعـد ما بتبيـض بتنادي الخـدم بتوعها عشـان يغسلوا البيض، بتتكلم معاه.. النمل بيتكلم، بيطلّع أصوات زينا.. أو ساعات بتشوفهم بيتوشوشوا أو بيبوسوا بعض كده.. لا، دي النملة بتفرز مادة كيميائية في بوق النملة التانية ودي لغة كلام تانية عندهم.

النمـل عنـده نظام دقيـق.. كل نملة ليهـا دور، وفي منهم مهندسـين.. لو شـوفت بيت النمل هتلاقيه متقسـم أدوار على حسـب نـوع الأكل ودرجة الحرارة، صيف أو شتا، الدور اللي فوق درجة حرارته غير الدور اللي تحت.

و النمـل الحـارس اللي بيحمي البيت والأكل، ولو حـشرة قرّبت حتى لو أكبر منه أضعاف، ينط عليها ويكتفها ويحقنها في المركز العصبي.. فـتتشل وتمـوت هو النمل دارس طب أو تشريـح!!! عرف منين المركز العصبي و إن الأنتي بيوتك ضد البكتيريا؟!.. ده فيه بشر ما تعرفش!

أنا كده رديت على سـؤالك بتاع غباء الإنسان.. إنك تشوف نملة وتدوس عليها بكل بساطة وتقول دي حشرة!

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٢].

= فاندهشـت لهذا الرجـل! أكان يعطيني الورقـة لأرى النملة، فأقتلها.. فيعطيني درساً؟!

مَن هذا الرجل؟! ومن أين أتي! وما هذا الذي في فمه؟!

- دي لفافـة ورقة بردي.. محشـية ببعض النباتات بتهـدّي الأعصاب زي السيجارة كده.

= كيف سمعتني!! أتقرأ الأفكار أيضاً؟!!!

- يا عم ما أنت كاتب السؤال في الورقة.

= إذاً النمل عاقل.. أم ماذا؟.. ما الفرق إذاً بين النملة وبيني؟!

لو مسكت دماغك فتحتها ودماغ النملة.. هلاقي نفس الشيء! مخ.. مدلدل منه شوية أسلاك وحبال باختلاف الحجم، وده لاختلاف النشاطات والإهتمامات.. فـ أكيد اهتماماتك أنت أكتر من النملة، وتفاهاتك أنت أكتر بردو.. عشان كده مخنا فِضِل يكبر يكبر لحد ما ضغط على الأسنان.. ضرس العقل اللي بيطلع بصعوبة أو ساعات مبيطلعش.

تخيّل مثلاً سنترال في شبرا ١٠ مليون نسمة.. لازم يبقى أضخم وأسلاكه أكتر من السنترال اللي في مصر الجديدة اللي فيها مليون نسمة بس.. الحجم يختلف لكن المراكز ثابتة؛ مركز البصر، السمع، اللمس، الشم، الحركة، التوازن، التنفس، الدورة الدموية، العاطفة، الغرائز والألم.. كل ده موجود في النملة باختلاف ترجمتها للمراكز دي اللي بتختلف عن ترجمتنا.

الفرق في المركز اللي في الجبهة.. بتاع الخيال وصحابه ; التفكير والتصوّر والذاكرة والضمير وإدراك المستقبل والتخطيط التدبر ده بتاع الإنسان.. دي «الأمانة»!

ويخرج من كل مركز كابل فيه أسلاك توصل رايح جاي من العضو وليكن العين لمركز البصر.. وبينهم كابل فيه مليون سلك.. والودن والسمع مليون كمان وهكذا.. لحد ما يوصل حوالي ١٤ ألف مليون سلك!



اللي يميزك عن باقـي الكائنات هو الخيال وصحابه في المركز إيّاه اللي في الجبهة.. فـ لو عشـت حياتك كلها تاكل وتشرب وتسـمع وتشـوف وقلبك يـدق وتتنفـس وقلبك يـدق وبغرايـزك وعواطفـك وشـهواتك وروتينك الطاغي على كل ده، ولغيت «ميزتك» في الخيال وصحابه.. فـ أنت نملة! مع احترامي للنملة اللي أحسن منك في حاجات ربنا إداهالها.. أنا وأنت وغيرنا منعرفهاش.

لقد احترت.. هل الإنسـان غبي، أم أنه ذكي.. أغبـيّ إلى حد الذكاء؟! أم أنه في ذكائه الشـديد غبي؟! فتعظمه تارةً وتحقّـره أخرى.. أريد أن أعرف! ما صفات الإنسان؟!

إنها النسـبية.. الإنسان أمر نسبي كما هو الزمكان.. (الزمان والمكان).. شأنه شأن كل شيء في الكون بل الكون نفسه نسبي: -

الإنسـان زي النـور.. أبيـض.. قصـدي إحنـا شـايفينه أبيـض، بس هو في الحقيقـة بـ وشـوش، ٧ ألـوان الطيف موجـات وذبذبات مختلفـة.. عنينا ماتشـوفهاش، بس مخنا يترجمها ألوان.. زي الورقة المغروس فيها قلم ومتلونة ٧ ألوان.. لو لفيتها زي المروحة تشوفها بيضاء.. لا الأحمر أحمر.. ولا الأزرق أزرق، لكن موجة طويلة وموجة قصيرة.

الزرع اللي انت شـايفه أخضر.. في الحقيقة مش أخضر.. الزرع بيمتص كل الألـوان ويعكـس لون واحد بس الـلي هو درجة مـن اللون الأخضر، موجة ليها طول مُعيَن.. عينك متستوعبهاش لكن مخك حافظه ومترجمه لون «أخضر»، وكذلك البحر والسما وغيره.

النجـوم اللي بنشـوفها في السـماء دي.. إحنا بنشـوف الضـوء اللي خارج

نتيجـة انفجارهـا اللي حصـل على بُعد ٥٠٠ مليون سـنة ضوئيـة.. يعني إحنا بنشـوف حاجة حصلت في الحقيقة من ٥٠٠ مليون سنة.. إحنا مش بنشوف نجوم، إحنا بنشوف ماضي النجوم، ده معناه.. إن إحنا بنشوف حاجات مش موجودة، ومش بنشوف حاجات موجودة.

بلاش.. العسـل اللي طعمه حلو ده.. اللي بالنسـبة لنـا طعمه حلو.. دودة الـمِش شـايفة إنه وحش ومبتقربلـوش لو هتموت وبالنســبة لها الـمِش ده عسـل، والعسـل مِش.. فهو شيء نسـبي! ولكن أنا وأنت وغيرنـا متفقين إن العسل حلو.. قصدي مخنا اللي متفق، لكن الحقيقة غير كده.. الحقيقة نسبية زي الإنسان.. مسألتش نفسك ليه مفيش شخص محدش يختلف عليه؟

عشـان كلنا حلو ووحش.. كلنا طيب وشرير.. كلنا كدَّاب وصادق.. كلنا نسـبيين.. نختلـف مع اختلاف الزمان والمكان والأشـخاص.. نختلف تحت الضغوط.. زي المياه.. المياه من سائل وتلج وبخار.. نفس المكونات، ٢ هيدروجين و١ أكسجين.. تحت الضغوطات

مـن حـرارة وطاقـة.. ذرات الميـاه بتبعد أو تقـرب من بعضهـا.. عينك متشوفهاش بس مخك يترجمها.

حتى الجمال نسـبي، محدش يتفق عليه.. صورة وانعكاسـها.. مترجمة في دماغنا.. عنينا تشوفها ومتفهمهاش مخك يحط التاتش بتاعه ويترجم.

بس جايز لو كان نظرنا إكس راي أو أشـعة فوق البنفسجية.. كنا شوفنا بعـض من جوه.. هيا كل وهواء.. أبيض وأسـود.. من غير ما نشـوف الجمال النسبي

بس مش كفاية.. لو عقلنا كمان كان بيترجم لغة «موريس» اللي هي «نقطة وشَرطة » أو لغة البرمجة اللي هي «صفر وواحد».. ساعتها بس كان ممكن نشوف الحقيقة النسبية والتناقضات الكتيرة جوه الإنسان الواحد بس في الأول والأخر.. الإنسان نسبي.. غير ثابت.. لدرجة إن ربنا ذكره في القرآن ٥٦ مرة مباشرة في صفات مختلفة.. وفيها تناقضات الإنسان .

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ [هود: ٩].

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت: ٤٩].

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١].

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤].

وده مش غريب.. بالعكس، من الذكاء إنك تجمع الشيء ونقيضه.. لأنه أمر نسبي.. يكاد يصل إلى حد الكمال.. وكون إنك تثبت نظرية صحيحة كاملة ١٠٠ ٪ بمعادلاتها وإثباتاتها.. وترجع تثبت عكسها.. فده قمة النجاح.. لأن مع تغير الظروف، تتغير النتائج.

«الإنسان أوضح شيء نسبي.. فهو أوضح من الزمان والمكان.. فإنها النسبية كما يجب أن تكون».



أندرويد الحياة

=دعني اذاً ...

-فيتو.

=ماذا؟

-أسئلتك كترت.. والهدوء مش مقابل كفاية.

= اطلب ما شئت.

- مممم.. بعد ما تخلص أسئلتك هقولك أنا عايز ايه.. قول سؤالك؟

= من أين جئنا.. من أين جاء الإنسان؟.. بل الكون؟!

- فيتو كبيرة!

= لماذا؟!

- أولاً موضوعنا الإنسان مش الكون.. ثانياً ده موضوع صعب وكبير ملوش آخر.

= أرجوك! سأعطيك ضعف ما تطلب مهما كان.

- مممم.. طيب مبدئياً وببساطة ..طلّع ٤ حاجات على صوابعك:

١. الذرّة جواها ⟵ نواة حواليها ⟵ إلكترون، بروتون، نيترون ⟵ جواه كوركات.

٢. ٤ قوات: قوة الجاذبية ودي اللي بتشد الحاجة (لمركز) الأرض، وقوة نووية شديدة ونووية ضعيفة ودول ببساطة اللي بيشدوا النواة حوالين الذرّة، وقوة كهرومغناطيسية ودي اللي بتشد مكونات الذرة حوالين النواة.

٣. ٣ حواجز: طول بلانك: وده أقصر حاجة في الكون ولو قدرت توصل لأقصر من كده.. هتكوّن ثقب أسود، وحرارة بلانك: ودي أعلى درجة حرارة في الكون، وسرعة الضوء: ودي أسرع حاجة في الكون.

٤. إنتروبيا والتبعثر أو إزاحة حمراء وده مش مهم دلوقتي.

شايف النقطة دي (.).. الكون قبل نشأته كان نقطة لا متناهية في الصغر.. يعني دايرة نص قطرها صفر وده من ١٣,٧ بليون سنة.. النقطة دي جواها الحاجات الأربعة اللي على صوابعك دي.. بس أصغر من طول بلانك وأعلى من حرارة بلانك وأسرع من الضوء.. يعني كسرت الـ ٣ حواجز وجوه النقطة دي الـ ٤ قوات (جاذبية، نووية شديدة وضعيفة، كهرومغناطيسية) في صورة قوة واحدة، وطبيعي كل ده أدّى لانفجار.. وزي أي انفجار بعديه حصل تبرُّد، تمــدُّد، تطوُّر.. درجة الحرارة تقِل، الكون يتمدد وبعدين يتطوَّر.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

بعد أول ثانية.. الكون بِرد ١٠ بليون مرة، وظهرت إلكترونات وبروتونات ونيترونـات، بعد ١٠٠ ثانية الكون برد ١٠٠٠ بليون مرة وتكوِّنت نواة الذرة، ثم بعد كام سـاعة.. درجة الحرارة بقت ٣٠٠٠ وتكونت الذرة نفسها.. وذرة على ذرة تكوّن أول عنصر.. وعنصر على عنصر تكوّنت مادة وهكذا، وبعد مليار سـنة: اتجمعت العناصر والمواد والجسـيمات على بعض فكوّنت نجوم وكواكب من ضمنها الأرض ومجموعات منها مجموعتنا الشمسـية.. ومجرات ومنها درب التبانة.. وفضل الكون يبرد ويتمدد.. يبرد ويتمدد.

وهنا بقى هجيب البلونة دي وارسـم عليها دواير كأنها مجرات.. المسافة بينهـم صفر! والبلونـة دي درجة حـرارة عالية وكل ما تبرد تتمـدد وتتنفخ، فالمجـرات تبعـد عن بعضها، تتنفـخ وتبعِد.. لو فضلت انفـخ البلونة بلايين بلايين السنين.. هوصل للمسافات الموجودة دي وده معنى «الإنتروبيا».

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧].

والكون هيفضل كده لنهايته لحد ما يفرقع.. زي ما بدأ بفرقعة (انفجار) هينتهي بفرقعة:

﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

مش بس كده.. هيبقى فيه كون تاني خالص غير ده:

﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وعلى قد ما المسـافة بين الكواكب والنجوم بعيدة، فالمسـافة بين الناس

وبعضهـا على نفس الكوكـب أبعد.. لأنها مش بتتقاس بالمـتر أو الكيلومتر، فـالإنسـان قـدر يوصل لكل ده بعقله، بل قدر يوصل بجسـمه وطلع شـاف القمـر والكواكـب التانية وقدر يسـيطر عـلى الكون بس لسـه عاجز إنه يسيطر على نفسه وغرايزه وشهواته

وده يثبت إن التقدم في العلم أسـهل بكتير مـن التقدم في الأخلاق.. وإن المادة أسهل بكتير من المعنى.

«فـ عجبـاً.. فـ الإرتقاء إلى القمـر أيسر مِن الإرتقـاء بالأخلاق!.. وكأن السفر إلى القمر ليس بصعود.. بل هروب».

= فذُهلت لما سـمعت! هل لأنني لم أفهم حرفـاً مما قاله.. أم لأنني فهمت كل ما يعني وبشدة، لدرجة لم أصدقها؟!

- مَن هذا الرجل؟! ومِن أين أتى؟ وما هذا الأسلوب؟!

= مِن.. مِن أين أتيت؟!

- بعد نشـأة الكون.. ظهرت الذرات.. اتجمعت فوق بعض وعملت شوية عناصر أهمها الكربون والهيدروجين والأكسـجين الـلي منها تكوّنت مواد.. أهمهـا الميـاه، ومن عناصر تانيـة زي النيتروجين تكوّنت منهـا أحماض أمينية والبروتين ودول قوالب طوب.. اللي بيها تبني مبنى الحمض النووي الـDNA..

وكأنها حروف تجمعـت بمليون ومليون طريقة وكـوّنت كلمة.. الكلمة مـع الكلمة بمليار طريقـة وطريقة تكوّن جملة.. الجملـة مع الجملة ببليون وبليـون طريقـة.. يكوّن أول أبسـط خليـة زي الأميبا اللي بـدون عقل.. مُبرجَمة تنقسم من ١ لـ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ٦٤.

و منهـا.. للأكثر تعقيداً وهو جنين الإنسـان.. بـردو خلية واحدة بدون عقل بتنقسم من ١ لـ ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ٦٤.

هل ده معناه إن الإنسان أصله أميبا؟! طيب خد الأعجب!

الجنين في مرحلة من المراحل بيبقى عنده خياشيم زي السمكة وبتختفي.. ومرحلـة تانية بيبقى عنده ديل وبيختفي.. ومرحلة تالتة جسـمه كله بيبقى متغطي شعر وبيفضل يقل.. يقل لحد ما يفضل اللي فوق الراس، والأعجب إن التعبان لما شرَّحوه لقوا عنده رجول بس ما استخدمهاش واختفت.. والسمك عنده رئتين بس ما اتنفسش بيهم واختفوا!

هـل ده معنـاه إن الإنسـان كان أصلـه قـرد وتطـوَّر؟! زي التعبـان والسمكة!

الإجابـة لا، بالعكـس ده مش تطـوُّر.. ده تطوير.. ده يـدل على وحدة المنشأ والناشئ.. «الله».

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤].

هو نفس اللي عَلِّم الناموسـة إنها تبيض على الميـاه بيض بـ عوَامات.. هي الناموسـة درسـت أرشـميدس ولا فيزياء؟!.. وهو بردو اللي عَلِّم النملة اللي أنت فعصتها.

مثـال على كده.. العربية الكارو والعربية المرسـيدس.. دي عربية ودي عربية.. نفس الفكرة ونفس الهيكل؛ حديد، عجلات، كاوتش.

هل ده معناه إن العربية الكارو تطوَّرت وبقت مرسيدس أو إن المرسيدس في الأصل كانت كارو؟!.. أكيد لا، بس نفس المُصمم والتصميم.

خليني أرسم ٤ حلقات مش متداخلين وبُعاد عن بعض:

الحلقـة الأولي «جماد».. التانيـة «نبـات».. التالتة «حيـوان».. الرابعة «إنسـان».. لو زودنـا على الجماد «نمو» بقـى نبات.. ولو زودنـا على النبات «حِس وحركة» بقى حيوان.. ولو زودت على الحيوان «فِكر» بقى إنسان.



جمــاد (+نمو) ← نبـات (+ حِس وحركة) ← حيوان (+ فكر) ← إنسان

بـين كل حلقـة وحلقة.. مراتـب و«أعلى مرتبـة الأدنى هـي أدنى مرتبة الأعلى».. بمعنى؛

أعـلى مَرتبة في الجماد هي المرجانيات، هي بتنمو بس جماد.. وأعلى مرتبة النبات هي نبات الســت المسـتحية، لو لمسـتها تحس وتتحرك.. وأعلى مرتبة الحيوان قرد جاوه، اللي بيقلد الإنســان وبيتعلِّم بس مابيعلِّمش، بس في الآخر حيوان.. وفي مرتبة الشرف «الإنسان».

الحلقـات دي لا يمكــن تتدخل في بعضها.. لا يمكــن ترتقي.. لا يمكن تسـميه تطوُّر بل تطوير.. أو بمعنى تاني «أب ديــت».. زي البرنامج اللي عـلى الموبايل.. مش بيعمل أب ديــت لوحده.. اللي مصممه هو اللي زرع جواه حتـة التطوير.. نفـس الفكرة.. إنها سُـنة الحياة.. بـل «أندرويد الحياة».

□□□

= لم أ أقصد هذا!.. لم أقصد كيف نشأت!!!.. بل أقصد من أنت؟

- أنا جعان.. تعالى كُل معايا.

= فأعطاني لوحة فنية دائرية الشكل من ألوان مختلفة ورائحة لم أعرف مثلها قط..

- دي اسمها بيتزا.. كُل!

= حسناً..

- مالك! ما تاكُل.

= لقد.. لقد كذبت عليك .. كذبة بيضاء.. لكن أنا لا أكذب عادة.. صدقني.

- كلنا فاكرين نفسنا مش بنكدب، ولو واحد فينا قال «أنا بس كدبت مرة أو اتنين» يبقى فاكر نفسه وصل لمنتهي الصدق والصراحة.. بس في الحقيقة كلنا بنكدب.

من أول ما بنصحي الصبح.. ونقول صباح الخير بابتسامة روتينية فاترة في وش حد ما بنطيقوش ومش بنتمنى له الخير.. كدبة.

تسريحة الشعر كدبة.. الباروكة فوق القرعة كدبة.. الصبغة السوداء فوق الشعر الأبيض كدبة.. طقم الأسنان كدبة.. ريحة البرفان فوق العرق كدبة.

البدلة فوق الفانلة المقطعة كدبة ،عمليات التجميل كدبة.. الروج والأي لاينر والكُحل واللينسز كدبة، المكياج أكبر كدبة.

صورة السندويتش في الإعلان كدبة.. الإعلانات كلها كدب.. الدايت كدبة.. التليفزيون كدبة.. السينما كدبة.. الجرايد والسياسة كدبة.. السيجارة كدبة.. الدواء كدبة.. الماركة كدبة.. والأسماء كدبة.. الأوكازيون كدبة.

الألوان كدبة.. الخط كدبة.. الزمن كدبة.. والعُمر أطول كدبة!.. الحب كدبة.. والكُره كدبة.. الضحكة والدمعة.. كدبة وكدبة .

صوتنا اللي بنغيره وإحنا بنطلب ديليفري كدبة.. خدمة العملاء كدبة.

«على جنب ياسطى» اللي بنقولها وبنت حلوة نازلة.. كدبة.

حتى اللايك اللي بنعمله على الفيس بوك كدبة.. بيبقى يا إما عشان الشخص نفسه.. يا إما عشان نوصل رسالة معينة للشخص ده.. يا إما عشان يرد لنا اللايك تاني.. مصلحة يعني.

الكدبة كدبة، والصدق كدبة.. فـ ساعات بنقول الحقيقة عشان نكدب.

المجاملة كدبة.. الهدية كدبة.. السقفة كدبة، والضحكة في الصورة كدبة.. الصورة نفسها كدبة.

الضحكة لمسئول عشان ينجزلك مصلحة.. كدبة، والضحكة لدكتور في لجنة شفوي على حاجة ما تضحكش عشان الدرجة بردو.. كدبة

«أنا قولت بس أطمن عليك» في مكالمة مدتها دقيقة عشان معاك دقايق مجانية.. كدبة.

حتى الأمثلة الشعبية كدبة.. فـ الجوع مش كافر.. الجوع صادق.. أصدق مننا.. إحنا اللي بنكدب.. بناكل وإحنا مش جعانين.

إزاي الجوع كافر وهو عبادة! ركن من أركان الصيام، إنك تشعر بجوع غير القـادر، وتقدّر حجم النعمـة اللي أنت فيها.. فـ تقرر تساعده بـ إيد.. والإيد التانية تبوسها وش وضهر وتشكر ربنا.

والجـوع إلى الحقيقة.. الجوع إلى العلم والمعرفة، وإلى الإكتشـاف.. هو أشرف أنواع الجوع.

كـما هو حـال الإسراف.. ليـس كل الإسراف حراماً.. فــ إسراف ٧٠ مليـون دولار في إحدى المعامل.. لإجراء تجربة البروتونات المُسرعة.. وتمثيل مشهد الإنفجار الأعظم من جديد.. وتضيع تلك الملايين على جزء من مليون مليون من اللحظة.. ليس إسرافاً..

فـ ترى المرأة تسرف ١ مليار دولار على المكياج.. والشباب ١ مليار أخرى على المخدرات.. والدول تسرف المليارات على الأسلحة.

فــ الإسراف على هذا النوع مـن الجوع إلى العلم لإشـباعه.. أنبل أنواع الإسراف.

كل الكلام والأفعال والأخلاق والمشـاعر والتصرفات والأفكار اللي من غير نية طالعة بصدق من جوة ،، وتحتمل أكتر من معنى.. فـ هي كذبة!

ولو قولتلي إن في حد صادق مع نفسه، ومع غيره.. في كل أقواله وأفعاله.. تبقى كدّاب.



نحن نصدق.. نادراً ما نصدق.. نصدق صدقاً محدوداً.. صدق لحظي.. فما

أن تنطلق الكلمات بين الفم واللسـان.. فتخرج كالرسم على الماء.. كالنقش على الرمال.. أو النفخ في الفضاء.

وبعد ذلك تتغير الظـروف.. ويأتي دور العواطف والأقوال والمصالح.. وتلعب بها الألاعيب، وتُبتـلي النفوس.. فتظلِم وتُظلم.. وتتقلّب القلوب.. فـ بعد النهار يأتي الليل وبعد الليل يأتي النهار.. فـ ندور حول أنفسنا كما تدور الأرض حـول نفسـها، وندور حـول بعضنا البعض كما تـدور الأرض حول شمسها أو كما تدور الأرض حول قمرها!

= تقصد القمر حول الأرض!

- لا.. لو وقفت على سـطح القمر.. هتشوف الأرض هي اللي بتلف حول القمر، لكن إحنا بنقول القمر بيلف حول الأرض عشـان إحنا على الأرض.. وعشان جاذبية الأرض أقوى.

معقول!! حتى دي كدبة!

ولا توجد كذبة بيضاء.. كسطح القمر.. حتى هذه كذبة أيضاً.. فالقمر سطحه قاتم، وما هو إلا إنعكاس لنور الشمس فوقه.. فنراه أبيض.

فالكذب الأبيض.. كالسـم في العسـل، والشطة في الكُشري، والفزعة في فيلم الرعب.. ليس له طعماً...

فتطغى الكذبة على بياضها.. كما تطغى الشطة على طعم الأكل، وتذهب حـلاوة الكذبة في كونها كذبة.. كما تذوب أحداث الفيلم الدرامية وسـط خوف وتأهُّب لردة فعل الفزعة.

فـ ليس هناك كذب مُلوَّن.. فـ الكذب أسود.. حتى يليق بنا.

- قولي بقى.. كدبت عليا في ايه؟!

= لقـد كذبت عليـك! ليس عندي من المال ولا الذهـب ولا الإبل، وليس عندي منزل.. ولا حتى كهف مثلك.. حياتي صعبة ولسـتُ بارعاً في شيء ... أنا فاشل.

- كان فيـه طفل.. أبوه بيّاع ريش.. الطفل ده اتأخر في الكلام ٤ سـنين، واتأخر في الكتابة ٧ سـنين.. وكان سـاقط إعدادية، وسـقط في الرياضيات والمدرسـين كانـوا بيقولوا عليه إنه مـا بيفهمش.. وده خـلّاه يبعد عن الناس وجالـه توَحُّد.. بعـد كده خلّص ثانوية عامة وواجـه صعوبة في إنه يدخل الجامعة، ولمـا تخرَّج من الجامعة اترفد ٣ مرات من وظيفة التدريس عشـان مبيعرفش يشرح.. وفي الآخر بقى ايه؟!

بقى أينشـتاين.. صاحب نظرية النسـبية الخاصة والعامة، اللي قليل أوي حد يفهمها، ولو فهمها مبيعرفش يشرحها، وحصل على جايزة نوبل في حاجة تانية خالص.. في ٣ حروف:

$$E=mc^2$$

طفـل تاني، بعد موت أبوه.. أمه سـابته لجدته.. وهو ٩ سـنين وكان عنده صعوبة في دفع المصاريف.. وساب المدرسة وقرر يشتغل في الزراعة!

الطفل ده بقـى نيوتن.. اللي وضع علم التفاضُـل والتكامُل وهو عنده ٢١ سنة!! ووضع قوانين الحركة والسكون المشهورة .

الطفـل التالـت.. كان بيقعد سرحان في المدرسـة، والمدرسـين قاله عليه غبي.. واترفد من المدرسة بعد ٣ شهور، واتضح إنه مكنش بيسمع كويس..

ونزل يبيع جرايد في الشـارع.. وكان عنده معمل صغير في بيته بس أبوه كان بيحرمه منه.

الطفـل ده توماس إيديسـون.. اللي اخترع ٢٤٣ اختراع، منهم المصباح الكهربائي وآلة التصوير والفوتوجرافي.

التلاتة دول يعتبروا من أهم ١٠٠ شخص في التاريخ!!!

بلاااااش.. كان مِزَوِّر ورق عشـان يشتغل سـواق على عربية إسعاف.. بعـد كـده ربنا فتحها عليـه وبقى يصمم غـلاف برنامج كل أسـبوع.. بعد كده عمل شركة صغيرة.. وأنتج فيلم قصير مدته دقيقة واحدة! واللي بسـببه الشركة أعلنت إفلاسها، ماسكتش وراح اشتغل في جرنال.. واتطرد منة لقلة خياله و إبداعه!!

الشخص ده مين؟!

والت ديـزني.. أيوة صاحب شركـة ديزني.. بتاعة فيلـم شركة المرعبين المحدودة وميكي ماوس، وحصل على ٢٢ جايزة أوسكار!

هنري فورد.. اللي بدأ من الصفر، واشتغل في الزراعة، وضيّع فلوس رجال أعمال كتير.. وأعلن إفلاسه ٥ مرات!

و أول عربيـة صممها اتكلفت ٦٠٠,٠٠٠ دولار!.. وبقى معاه بليون دولار بعد ١٥ سنة بس!.. وصاحب شركة فورد من أحسن شركات السيارات حالياً.

وسـاندرز كنتاكي.. صاحب مطعم كنتاكي.. أنا أه مش بحبه، بس اشتغل في خدمـة السـيارات، واشـتغل فلاح ومطـافي وفي الجيش وفتـح بيته مطعم صغير.. واخترع وصفته اللي عرضها على ١٠٠٠ مطعم ورفضوا يشتروها.

ومن غاسـل أطباق وحارس مطعم ثم حمّال كـراسي وترابيزات في فندق بسـيط.. إلى الدكتور إبراهيم الفقي خبير التنمية البشرية والبرمجة اللغوية العصبية.

وسـتيفن كينـج.. اللي أبوه هرب بحجة إنه رايح يشـتري سـجاير، وأمه اشـتغلت خيّاطية.. سـتيفن أصابـه الضغط اللي أضعف بصره وسـمعه، وما استسـلمش وألّف أول كتاب.. ولكن جالـه إحباط ورماه في الزبالة!.. بس بعد كده كمّل الكتاب وباع منه ٣٥٠ مليون نسخة واتعمل فيلم Carrie!

وزيُّه.. دكتور سـوس، أول كتاب ليه اترفض من ٢٧ ناشر.. بس بعدها بقى أشهر مؤلف كُتب أطفال وأكثرهم مبيعاً!

ونجيـب محفوظ.. بعد رواياتـه المثيرة للجدل واللي مـا اتنشرتش، ومش بـس كده، حاولوا اغتياله.. بقى أكثر أديب عربي اتحولت أعماله إلى سـينما وتليفزيون، وأول عربي يحصل على جائزة نوبل في الأدب!

وبيكسـار Pixar وستيفين جوبز.. اللي اترفد من شركته اللي هو مأسسها في البداية.. وصل وبقى صاحب شركة أبل apple.

وبيـل جيتس.. اللي بدأ من لا شيء وأصبح أغني رجل في العالم وصاحب شركة Microsoft.

أكيـو مورينا.. اللي صنع حلل رز ومعرفش يبيعها عشـان كانت بتحرق الرز.. دلوقتي صاحب شركة SONY.

وزي ما في اللي اتغلب على الفشل والظروف الصعبة.. في اللي اتغلب على المرض والإعاقة الجسدية.. وأثبتوا إن الإعاقة إعاقة فكر مش إعاقة جسد.

أولهم.. طفل أبوه مُدمن كحول وأمه مريضة، قالوا عنه «لا أمل له في الفن».. بس هو كان بيحب الفن والموسيقى، ويوم ما مِشيت معاه شوية.. جاله صمم، مبقاش بيسمع اللي بيعزفه!، وانعزل عن الناس وفكّر ينتحر.. بس عشان هو بيتهوفن ما استسلمش، وبقى أعظم موسيقار وألّف ٩ سيمفونيات، ٣٢ بيانو، ٥ كمان، وغيرهم .

وبعده على طول.. هيلين كيلر.. اللي من صغرها مش بتسمع ولا بتشوف!! وبالتالي معرفتش تتكلم ولا تتعلم.. بس قدرت تتواصل مع عائلتها بـ ١٦٠ إشارة.. مش بس كده، حوّلت الإشارات دي لـ ٩٠ كلمة.. واتعلّمت جغرافيا على أرض الجنينة بتاعتها، وبقت أديبة ومحاضرة عظيمة ومثال مُشرف للمرأة في التحدي والإصرار.. بل للإنسان.

و فان غوخ.. اللي جاله مرض عقلي وودنه اليمين اتقطعت، وكان عايش فترة كبيرة مع الجوع والرسم عشان ظروفه صعبة.. رسم حوالي ٨٠٠ لوحة! مقدرش يبيع منهم إلا لوحة واحدة بس!، وكانت لصاحبه!!!! ودلوقتي بعد ما مات بقى ليه معرض بـ اسمه، ولوحاته بقت أغلي لوحات في العالم.

وأهمهم! ستيفين هاوكينج.. اللي وهو لسه شاب ٢١ سنة جاله مرض عصبي، مرض بيموّت وملوش علاج والدكاترة قالوا مش هيعيش أكتر من سنتين وبعد كده جاله شلل ومبقاش يتحرك.. مش بس كده، جاله إلتهاب في القصبة الهوائية، ومبقاش ينطق ولا يحرك دراعه ولا رجله.

ستيفين هاوكينج لسه عايش.. عنده ٧٤ سنة، ومن أشهر علماء الفيزياء على مستوى العالم، وفي مجال صعب جداً، وهو دراسة الكون والثقوب السوداء والديناميكة الحرارية ودراسات التسلسل الزمني، وقدر يتغلب

على زمايله اللي بيتحركوا وبيفكروا بالورقة والقلم.. ستيفن كان بيحسب كل معادلاته وحساباته في مخه وشركة إنتيل صممت له جهاز مخصوص، كمبيوتر ناطق بيتوصل بعقله، ويترجم حركة عينه وراسه إلى كلام.. يعني يقدر يتكلم من خلال الكمبيوتر ده.

ستيفين أَلَّف كُتب كتير.. من ضمنها كتاب يُصنَّف من أكتر الكتب مبيعاً في التاريخ، أكتر من شكسبير.. بمعدَّل كتاب لكل ٥٠٠ شخص على الكرة الأرضية!

وزي ما في ناس قدرت تتحدي المرض والإعاقة.. في ناس قدرت تحول الصعوبات والإعاقات لنجاح وتميُّز، ونفس نقطة الضعف ده حولتها قوة.

فـ مثلاً برايل اللي أصابه العمى، ومبقاش يشوف من وهو ٣ سنين، قدر يستغل العمى ده في إنه يخترع طريقة يتغلب بيها على العمى -طريقة برايل-، وساعد كل المكفوفين إنهم يقرأوا..

و زيه طه حسين، أصابه العمى وهو ٤ سنين، وبقى عميد الأدب العربي وطلع «عنينا» كلنا في قصة الأيام في ٣ ثانوي.

ودكتور مصطفى محمود.. اللي درس الطب، وكان بيقضي طول اليوم قدام جثث الموتي ويتأمل فيها، جايز لو مكنش ألحد، مكنش وصل لكمية الكتب اللي ألِّفها في جميع المجالات؛ العلمية والدينية والفلسفية والسياسية والروايات وغيره.. ومكنش حصل على الجوايز دي.

فـ من الإلحاد إلى «العلم وا لإيمان» حوالي ٤٠٠ حلقة من أشهر البرامج عالمياً.. واللي كان سبب في هداية ناس كتير، وتزويدها بالإيمان واليقين، ورغم

العلم والشهرة والنجاح الكبير، ورغم البساطة اللي كان فيها.. رفض تولِّي منصب الوزارة، ده غير الأعمال الخيرية من مراكز وقوافل طبية، ومراصد فلكية ومتاحف ومساجد.. فـ هو خير مثال على «عِلم يُنتفَعُ به» بعد مماته.

وأخيراً وليس آخراً.. دكتور أحمد زويل، اللي من وهو ٨ سنين كانوا بينادوه يا دكتور.. خلّص ثانوية عامة ودخل كلية العلوم وتفوّق فيها بـ امتياز وسافر أمريكا بشهادته.. بـ كام كتاب قراه على كام قصة على كام فيلم

لو كان أحمد زويل زعل إنه مادخلش طب ودخل علوم.. وراح قعد في كافيتريا تجارة أو آداب.. كان زمانه مُدرِّس علوم في مدرسة النموذجية بنات وماكنش خد جايزة نوبل في الكيمياء والذرة وجوايز تانية.. وبقى شرف لنفسه ولبيته ولبلده.. ونشر أكثر من ٣٥٠ بحث علمي.. وأصبح من أبرز العلماء في مجال الليزر في الولايات المتحدة بترتيب الـ ٩ ضمن ٢٩ واحد من ضمنهم اينشتاين وجرهام بيل.

خليك سفنجة.. لو قطعتها فتافيت صغيرة بـ إبرة، وطحنتها وفرمتها بشاكوش، وعصرتها في قماش ثقوبه صغيرة، وصفّيته في مصفاة ثقوبها أصغر من القماش.. الذرات اللي اتبقت من كل التقطيع والطحن والعصر ده ، كل نقطة منها هتكبر تاني، وتكوِّن حيوان الإسفنج زي ما كان وكأن مفيش حاجة حصلت.

«جايز مشكلتك تفاحتك.. وأنت نيوتن»!

خلاصة الكلام.. لو قلمك الرصاص اتكسر نصين.. ابري النص التاني.. هيبقى معاك قلمين.

«فـ ليست كل النهايات نهاية.. إذا جعلتها أنت بداية».

= احـــــــذرررررر!! احـذر! وحـــــش.. وحش.. مـا هذا!!!!!!!!
لقد ذهب ما هذا!

- معر.. معرفش.. ده طائر.. أنت أنقذتني.. شكراً.

= هل أستطيع أن أصبح خادمك؟ سأساعدك فيما تطلب.. أريد فقط أن أنام في هذا الكهف.

- ممـم.. مقابل أنك أنقـذت حياتي؟.. مـاشي، من دلوقتي أنت المساعد بتاعي، وهتبات هنا معايا.

= شكراً.. شكراً لك.

- قول لي بقى الساعة كام دلوقتي؟

= ماذا تعني؟

- الساعة؟! التوقيت؟ الزمن؟!

= لا أعرف ماذا تقصد!

الإنسـان الكائـن الوحيـد اللي أدرك الزمـن وقدر يقيسـه وعرف الماضي والحاضر والمستقبل.. قدر يحدد الوقـت من زمان.. ومش بس كده، ده قدر يحفر التاريخ على الصخر، ويسـجل حضاراته فـ مثلا الشـجرة.. اسـتخدم عُمـر الأشـجار عشـان يتعرف عـلى عُمر الحضـارات، لو قطعت الشـجرة هتلاقـي الجزء مكون من حلقات، دواير جوه بعضها.. كل سـنة الشـجرة تعيشـها تسـجلها في شـكل دايرة مش بس كده.. الدايرة تفرق على حسـب

الجـو.. لو المنـاخ صالح للنمو، تلاقي الدايرة تخينـة.. لو المناخ كان صعب، تلاقي الدايرة رفيعة!

يعـني الشـجرة بقـت زي الأرشـيف.. كتـاب مسـجِّل في صفحاتـه الزمن والطقـس.. لحظـة بـ لحظة بعد كده.. الإنسـان وصل لأنه يسـتخدم الفخار في تحديد الزمن عن طريق إنه لما بيحرقه بيطلع طاقة على شكل أشعة يقدر يحسبها، ويقسمها على معدل معين، فـ يعرف الفخار عاش كام سنة ومش بس كده، قدر يحسـب نسـبة تحوُّل البوتاسيوم إلى أرجون في الصخور، وبردو بحسابات دقيقة وعن طريق التفاعل والتحوُّل الذري ده.. قدر يعرف عُمر الصخور.

وأخيراً كربون ١٤، اللي موجود في كل الكائنات الحية، حتى في جسمنا.. وبيفضل يزيـد لحد ما الكائن يموت.. كميته توقـف.. وتبدأ تقل للنص كل كام سنة.. فـ من حتة عضمة، نقدر نحدد عُمر الكائن، ومن أي زمن.. وكأن الشجرة ساعة، والصخرة والفخار ساعة.

ومن الشـجرة اللي بتعيش ٧٠٠٠ سنة، للفخار اللي بيعيش ١٠٠،٠٠٠ سنة، للصخـور اللي بتعيش ٤٠٠ مليون سـنة، للكربون ١٤ الـلي قدرنا من خلاله نحسـب أعمار من مليارات السـنين بخطأ حسابي لا يزيد عن ١٠٠ سنة، إلى الساعات الرملية والمائة، والساعات القمرية والشمسية .

كل السـاعات دي قائمة على التغيير والتآكل، حتى الساعة الشمسية اللي هي عبارة عن انحراف الظل مبني على حركة الشمس، وتغيُّرات مكان الظل، وتغيُّر نسبة الرمل في الساعة الرملية.. فـ الزمن قائم على التغيُّر.. الزمن نفسه مُتغيِّر.

= ماذا لو أن هناك شيء لا يتغير؟!

- الله لا يتغير.. لا يكبر ولا يصغر، لا يشيخ ولا يبدأ ولا ينتهي، ليس له ماضي ولا حاضر ولا مستقبل الله لا يجري عليه طارئ الزمان.. لأن الله خالق الزمان.

الزمن مخلوق من مخلوقات الله، مخلوق مع الكون.. فـ الله كائن قبل الكون وبعد فنائه.. الله قاهر الزمن وباسطه.

الله لا يستجد عليه شيء.. فـ المستقبل بالنسبة إلى الله قد حدث ودُوِّن في أم الكتاب.

المستقبل ماضي ولذلك استخدم الله الفعل الماضي في قرآنه.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١].

لكن نحن عالمنا عالم التأكل والإنحلال.. عالم الزمان، لكن الله فوق الزمان، ولا يخضع للزمان ولا ينتظر شيئاً.

كلُّ ما عدا الله مُتزمِّن بالزمان.. خاضع له، لكن مع اختلاف وتفاوت.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

يعني الملائكة والروح يومهم بخمسين ألف سنة من يومنا.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

و ملائكة أخرى - ملائكة التدبير - يومها بألف سنة ده لأن الملائكة ليها منظومة حركية غيرنا.. مخلوقات تانية، مخلوقات نورانية في ملكوت وعالم تاني وسماء تانية.

إحنا لينا تقويم زمني بنعيش فيه، والإنسان لما يموت هيخرج من تقويم زمني لتقويم زمني تاني مختلف، اليوم فيه مش هو اليوم والسنة مش هي السنة فـ يوم البعث يتهيأله إن كل السنين اللي عاشها واللي عدوا عليه في القبر.. إنهم ساعة، ويحلف على كده، ده لأنه فعلاً خرج من تقويم زمني لتقويم زمني تاني.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم: ٥٥].

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [يونس: ٤٥].

ومع إنه الخالق فوق عباده، ولأنه الخالق فوق عباده.. فهو مع كل مخلوق من مخلوقاته، قريب يجيب من دعاه.

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩].

فيسأله أهل السماوات في يوم قدره ألف سنة، ويسأله أهل الأرض في يوم مقداره ٢٤ ساعة.. ويسأله أهل الذرة والنواة في يوم مقداره جزء على مليون مليون من الثانية.

وده الزمن الموضوعي.. الزمن المادي الملموس.. زمن الساعة.. زمن الأفلاك.. زمن خارجي مشترك.. زمن ساعة اليد أو نتيجة الحائط .

أما الزمن الوجودي.. الزمن الداخلي.. زمن الأحلام.. زمن شخصي

لا يُقاس.. أحداثها سنوات وقرون فتحلم أنك صغير وتكبر يوم بعد يوم وسنة بعد سنة، وتنهي دراستك.. فـ تحب وتتزوج وتُنجب، وتشيخ فتموت.. أحداث وسنين مرت في ٤ ثواني معدودة على ساعتك بجانب المخدة.

و زمن الإمتحان اللي بيعدي في ثانية لما المراقب يقول بصوت مستفز «فاضل ربع ساعة» ودقة قلب زيادة تتولد في اللجنة والوقت يعدي كأنه رُبع ثانية.

كل نظام حركي ليه تقويم مختلف؛

فـ الساعة هي دورة الأرض ١٥ درجة حول نفسها، واليوم هو دورة كاملة للأرض حول نفسها والسنة هي دورة كاملة للأرض حول شمسها.

- وده معناه إن الساعة واليوم والشهر والسنة.. مصطلحات ترمز إلى أوضاع مختلفة من المكان - مكان الأرض حول نفسها وحول الشمس.

وكل الساعات اللي على كوكب الأرض مظبوطة على تقويم النظام الشمسي.

بس النظام الشمسي مش الوحيد في الكون؛

فـ عطارد مثلاً بيدور حول نفسه في ٨٨ يوم، وحول الشمس بردو في ٨٨ يوم!، وده معناه اليوم في عطارد قد السنة.. يومه قد سنته، وده تقويم مختلف.

وكلمة «دلوقتي» مينفعش تتقال على الكون كله.. لاختلاف المكان ولكن ممكن نقولها على تزامُن حدثين في مكانين مختلفين.. فـ مثلاً:

لو أنـت قاعـد في البلكونة في باريـس واتصلت بصاحبـك في نيو يورك هتقولـه «.. ده أنا قاعد دلوقتي بتفرج على شروق الشـمس».. وهو عنده في نيو يـورك ليـل، هنا نقول إن شروق الشـمس في باريس يتزامـن مع الليل في نيو يـورك عـلى كوكب الأرض في تقويـم المجموعة الشمسـية في مجرة درب التبانة في الكون بتاعنا.. بس عشـان إحنا عايشين على نفس الكوكب ونفس المجموعـة والمجـرة والكون، مش لازم نقـول كل التفاصيل دي.. بس لازم عشان نحدد أي حدث نقول في المكان كذا في الوقت كذا.

فـ ممكن النجمة اللي أنت شايفها دي.. تكون انفجرت وقت ما أينشتاين كان عايـش وبيفكّـر في الموضوع ده ووصل للنسـبية، والضـوء الناتج عن الإنفجـار احتاج كل السـنين دي عشـان يوصل لينا، ونجمـة تانية انفجرت دلوقتـي - تزامـن وقت انفجارهـا مع حدث إنـك بتقرأ الكتـاب.. حفيدك يشـوفها بعد ١٠٠ سنة، وميجيش في دماغه أي حاجة من الكلام ده، وكل اللي هيفكر فيه.. مشـهد «تيمـون وبومبا» بتاع «دبان منور لازق في السـجادة الزرقا اللي فوق ديه».(١)



(١) معلومات طريفة: نور الشمس بياخد ٨ دقايق عشان يوصل الأرض.

النسبية كما هي

> يقول أنيس منصور في كتاب «الخالدون المائة وأعظمهم محمد رسول الله» عن المؤلف مايكل هارت.. عن أينشتاين ونظرية النسبية «لا يستطيع أي إنسان أن يشرحها في مجلة لعامة الناس مهما أوتي من القدرة على

التوضيح» وإن أينشتاين نفسه معرفش يشرحها!

ودي ينافي كلام أينشتاين نفسه لما قال «إذا لم تستطع شرح فكرتك لطفل عمره ٦ أعوام فأنت نفسك لم تفهمها بعد!»

ومن هنا جاء التحدي! إني أفهم نظرية النسبية.. وأشرحها لك.

الموضوع بدأ إزاي؟.. قبل أينشتاين كان فيه ٣ حاجات مرتبطين ببعض.. الزمان والمكان وسرعة الضوء.. في معادلة واحدة.

الكل كان معتقد إن الزمان هو الثابت.. والمكان وسرعة الضوء اللي بيتغيروا.. أينشتاين فكّر تفكير طفولي بسيط.. وهنا تكمُن العبقرية، أينشتاين تخيّل نفسه بيسابق شعاع ضوء.. هيحصل ايه لو راكب عجلة فيها كشّاف بيطلع نور قدامه، وهو كل شوية يسرع عشان يسابقه.. اللي استنتجه من الفكرة دي.. إن سرعة الضوء هي اللي ثابتة، وده معناه إن الزمان والمكان هم اللي بيتغيروا (نسبيين)!!..

مش بس كده.. دول مرتبطين ببعض في بُعد واحد اللي هو «الزمكان»

ركز معايا ..

١. الحركة ليست حركة مطلقة وإنما نسبية:

تخيل إنك راكب عربية جنب الشباك وماشي بسرعة جنب شجر.. هتبص على الشجر هتحس إن الشجر اللي بيتحرك، مش أنت.. فجأة جت جنبك عربية بتمشي بنفس السرعة، هتحس إن العربيتين واقفين، والشجر بس اللي بيمشي.. مع إن العربيتين اللي بيتحركوا!

ولو تخيلت إنك راكب طيارة بتتحرك بثبات ومفيش صوت محركات ولا مطبات هوا، وقدامك كوباية ماية المياه ثابتة مش بتتحرك، وأنت حاسس إنك واقف بس في الحقيقة.. أنت بتتحرك والمياه بتتحرك، والطيارة بتتحرك، مش بس كده، الكرة الأرضية كلها بتتحرك وبتلف حول نفسها، وحول الشمس، اللي بتلف حول المجرة، والمجرة كلها بتلف.. ده مفيش حاجة ثابتة بقى!

بس إحنا مش بنحس بالحركة دي.. عشان كل حاجة بتتحرك بنفس السرعة في وقت واحد.. زي العربيتين اللي ماشيين جنب بعض بنفس السرعة!

= أنت عايز تقول ايه؟!

- عايز أقول إن الحركة نسبية.. يعني الطيارة بتتحرك بالنسبة للأرض، والأرض بتتحرك بالنسبة للشمس، والشمس بتتحرك بالنسبة للمجرة، والمجرة بتتحرك بالنسبة للكون، وده معناه إننا منقدرش نقول على حاجة بتتحرك إلا

لما نراقبها من بره.. من رصيف ثابت، وبما إن مفيش مكان ثابت.. فـ الحركة ليست مطلقة، ولكنها نسبية.

٢. سرعة الضوء ثابتة ٢٩٩،٧٩٢،٤٥٨ متر/ ثانية (حوالي ٣٠٠ ألف كيلو متر / ثانية) مهما كانت سرعة المصدر:

تخيل أنك بتجري بسرعة معينة، وفيه رياح (هواء) بتزقك في نفس اتجاهك، سرعتك هتزيد هتساوي (سرعة الجري + سرعة الرياح)، طيب لو الرياح دي عكس اتجاهك، سرعتك هتقل لأن الرياح بتزقك الناحية التانية (سرعة الجري - سرعة الرياح)

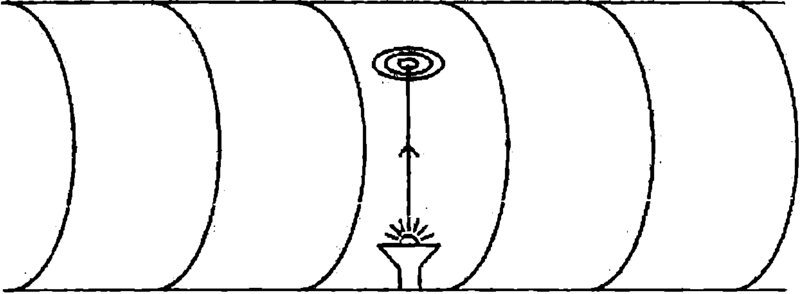
طيب لو جبت مصدر ضوء «كشّاف» ليه سرعة معينة وهي سرعة الضوء، وركّبته في قَطر ليه سرعة معينة بردو.. المفروض سرعة الضوء تزيد عشان القطر (زي ما سرعتك زادت وأنت بتجري عشان الرياح)!

لا!، لقوا إن سرعة الضوء ثابتة.. مهما كانت سرعة المصدر يعني لو جبت مسدس وحطيت فيه رصاصة مصنوعة من الضوء، وضربت.. هتلاقي إن الرصاصة بسرعة الضوء مش سرعة ضربة المسدس!

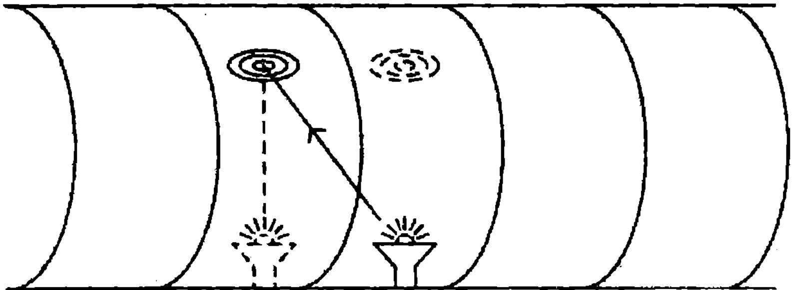
٣. التباطؤ الزمني:

تخيل إنك رائد فضاء على مركبة فضاء.. طايرة في الفضاء، وواحد تاني مسئول مراقبة على الأرض، وأنتو الاتنين معاكوا نفس الساعة بنفس الماركة.. زي بعض بالظبط، وفيه لمبة في أرضية المركبة الفضائية بتطلع نور يخبط في السقف في نقطة معينة وفي وقت معين.. أنت بتقيس الوقت ده، والمراقب بيقيس.

أنت هتشوف النور ماشي في خط عمودي.. لأن كل حاجة بتتحرك بـ نفس السرعة (أنت والمركبة والأرض والسقف والكشاف)



لكن المراقب هيشوف إن النور ماشي في خط مايل.. لأن على ما الضوء يتحرك، ويوصل للنقطة اللي في السقف.. تكون النقطة اتحركت، لكن المراقب ثابت.



و ده معناه إن المسافة زادت، وبالتالي لما أنت تقيس الوقت، والمراقب يقيس الوقت.. مش هيبقوا زي بعض.

المراقب هيسجل زمن أكبر عشان المسافة أكبر.. مش بس كده، لو قارنت ساعتك بـ ساعة المراقب هتلاقي إن ساعتك متأخرة عن ساعة

المراقب، بس أنت - كـ رائد فضاء - مش هتحس إن الزمن أبطأ، لأن كل حاجة على السفينة بطّأت.. ضربات قلبك أبطأ، الماية اللي أنت حطتها تغلي، بتغلي أبطأ، تدفُّق الدم لعقلك أبطأ... إلخ.

وده معناه إن الساعة المربوطة في جسم متحرك أبطأ من الساعة المتعلقة على الحيطة، وكل ما زادت السرعة، الوقت يبطأ أكتر.. لحد ما يوصل لسرعة الضوء، الساعة هتوقف خالص!!

= ماذا تعني! هل تعني أنني عندما أكون على حمارتي أن الوقت يتباطئ لأنني أتحرك وأزيد في سرعتي!!!

- أه، ولو راكب عربية أو أتوبيس، الوقت بيبطئ.. بس بقيمة قليلة جداً - لا تُذكر-، واحد على مليون مليون من الثانية.. لأن السرعة قليلة جداً - نسبةً لسرعة الضوء.

= ماذا لو زادت السرعة؟!

- كل ما زادت السرعة، الزمن يبطأ أكتر.. لو رائد الفضاء سافر بنص سرعة الضوء لمدة ١٠ سنين هيكبر في السن ٥ سنين بس!

ولو سافر بسرعة الضوء، الزمن هيوقف ومش هيكبر في السن!!

ولو سافر بسرعة أكبر من سرعة الضوء.. لمدة ٥٠ سنة، هيرجع الأرض يلاقي عدّى عليها ملايين السنين!!

بلاش، لو فيه اتنين توأم.. واحد فيهم سافر في الفضاء لسنين والتاني فِضِل على الأرض.. اللي سافر هيرجع يلاقي أخوه أكبر منه في السن، وكل ما كانت سرعته أكبر.. كل ما كان الفرق في السن أكتر.

= كفانا نظريات!! هذا ليس منطقيا!!

- دي مش نظريات.. سنة ١٩٧٧، عملوا تجربة على جسيمات اسمها «ميونات» عُمرها لا يتعدي جزئين على مليون من الثانية.. لما وصلت سرعة الميونات دي لسرعة قريبة من سرعة الضوء.. عُمرها زاد ٣٠ ضعف!!

رائد الفضاء الروسي سيرجي كريكاليف اللي عاش في الفضاء ٧٤٨ يوم، وهي أطول مدة لرائد الفضاء بسرعة ٢٧ ألف كيلومتر في "الساعة"، لقوا إنه أصغر من سنه الطبيعي بحوالي ٥٠ / ١ ثانية!! يعني سافر عبر الزمن للمستقبل!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

٤. تقلُّص الأطوال:

تخيل إنك رائد فضاء على مركبة مسافرة من كوكب الأرض لـ كوكب تاني بسرعة ثابتة.. وبتحسب الوقت اللي هتوصل فيه ومسئول المراقبة .(t=s/v) اللي على الأرض بيحسب الوقت بردو

إحنا متفقين إن أنت كرائد الفضاء.. الزمن بتاعك أقل من مسئول المراقبة، وبما إن السرعة ثابتة (v).

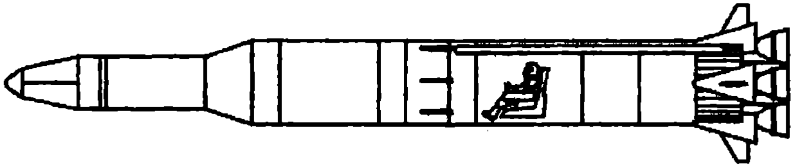
ده معناه إن المسافة بتقل!.. بالنسبة لرائد الفضاء كل شيء بيقل، الزمن بيبطئ والمسافة كمان بتتقلص، كل شيء بيتقلص أو بيتضغط، مركبة الفضاء والأرض والكوكب التاني وحتى رائد الفضاء نفسه تقلَّص!

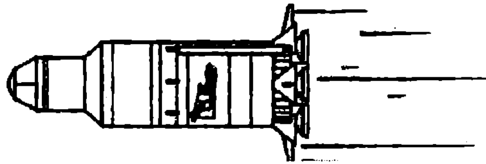
فلو كانت المسافة ١ بقت ٢ / ١، ولو الزمن كان ثانية بقى نُص ثانية، السرعة ثابتة.. وتفسير إن رائد الفضاء مش بيحس إن مركبة الفضاء تقلّصت ومحتوياتها كلها تقلّصت، إن هو كمان تقلّص حتى الشبكية اللي موجودة في

عينه تقلصت، عشـان كده الإشـارة اللي وصلت للمخ طبيعية ومش هيحس بالتقلُّص ده.

و ده معنـاه إن السرعـة مـش بتأثـر عـلى الزمن بـس.. بتأثـر كمان على المكان.

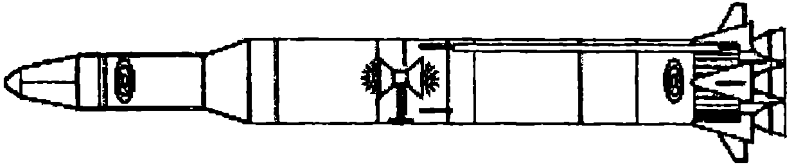
وزي ما السـاعة المربوطة في جسـم مُتحرك أبطأ من الساعة المتعلقة على الحيطة.. فـ المسـطرة اللي طايرة في الفضاء بتتقلص على حسـب سرعتها، ولو وصلت لسرعة الضوء، هتتقلص وطولها هيبقى صفر.





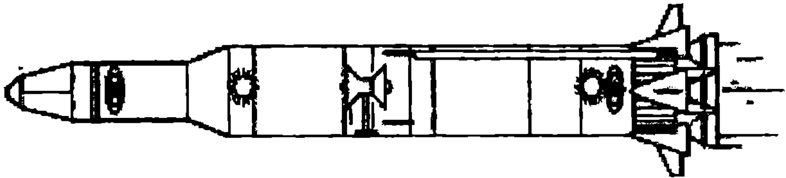
٥. فقدان التزامن:

تخيّـل إنك رائد فضاء على مركبة فضائيـة، وفيها مصدرين ضوء.. واحد بيطلّع ضوء لمقدمة المركبة والتاني بيطلّع ضوء لمؤخرة المركبة في نفس الوقت، والمسافتين قد بعض بالنسبة ليك - كرائد فضاء - الضوء هيوصل للنقطتين في نفس الوقت.

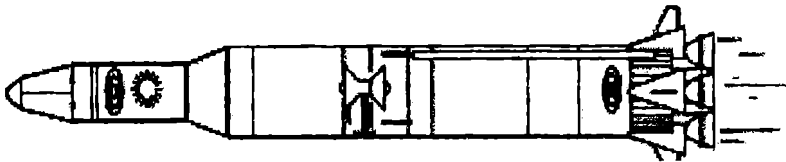


أما بالنسـبة لمسـئول المراقبة: هيشـوف الضوء وصل لمؤخرة المركبة قبل المقدمـة، لأن المركبـة بتتحـرك في الإتجـاه ده، وده معناه إن مؤخـرة المركبة بتقرب لمصدر الضوء (فـ المسـافة بتقل والزمن بيقل)، ومقدمة المركبة بتبعد عن مصدر الضوء (فـ المسافة تزيد والزمن يزيد).

وده معنـاه إن الحدثـين مش بنفس التزامـن - بالنسـبة للمراقب من على سطح الأرض -



طيب لو عدّى جنبك رائد فضاء تاني على مركبة فضاء أسرع منك - يعني هو شايفك بترجع لوراء - هيشوف الضوء وصل للمقدمة قبل المؤخرة.



من الآخر.. تزامُن الأحداث يختلف حسب مكانك من الحدث.

مثال أبسط:

لو أنت واقف في برج القاهرة من فوق بين المقطم والأهرامات، والمسافة بينهم قد بعض بالظبط، ونوّروا في نفس الوقت.. أنت فعلاً هتشوفهم الاتنين منورين في نفس الوقت، لأن النور وصل لعينيك من المكانين في نفس الوقت، لكن لو بالصدفة كان فيه طيارة طايرة فوقك من الأهرامات للمقطم بسرعة أكبر من سرعة الضوء.. الراجل اللي في الطيارة هيشوف المقطم بس اللي منورة والأهرامات ضلمة!، لأن النور اللي في الأهرامات مش قادر يوصل لعين الراجل اللي في الطيارة، لأنه أسرع من سرعة الضوء، ولو بطّأ شوية هيشوف المقطم نورت الأول وبعد كده الأهرامات!

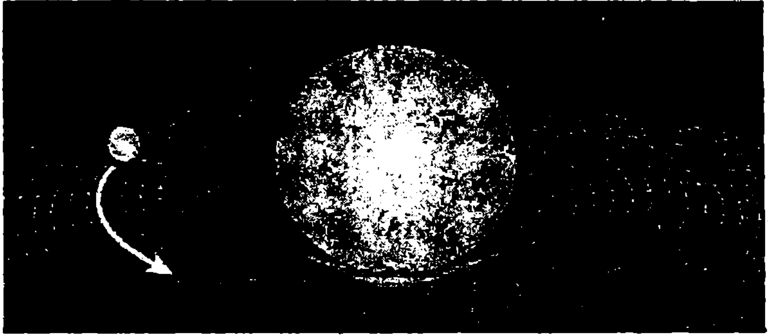
= لحظة! ماذا تعني؟! هل يُعقل أني إذا نظرتُ إلى صبي يلقي الحجر على نافذة زجاج فتُكسر.. من مكانين مختلفين، يمكن أن أرى النافذة مكسورة قبل إلقاء الصبي الحجر؟!!

- إذا كانت سرعتك أكبر من سرعة الضوء.. آه!، بس ده مستحيل، لأن مفيش حاجة أسرع من الضوء!

٦. انحناء الكون:

ببساطة لو جبت شبكة (واعتبرتها الفضاء)، وجبت بطيخة كبيرة (واعتبرها الأرض)، ورميتها في وسط الشبكة.. هيحصل ايه؟

الشبكة هتنزل من النص لتحت ويحصل انحناء في الفضاء، والبطيخة اللي هي الأرض هتفضل تطلع وتنزل، كأنها بتعوم في بحر على وش الموج، طب لو جبت تفاحة واعتبرتها القمر، ورميتها في المدار حول البطيخة.. التفاحة هتلف حول البطيخة (القمر هيلف حول الأرض).



الشبكة مكوّنة من خيطين.. خيط مكان، وخيط زمان، مع بعض يعملوا نسيج الزمكان.

٧. الزمكان والبعد الرابع:

لو كنت واقف في بحر أو على الأرض، وعايز تحدد موقعك على خريطة.. فـ أنت محتاج بُعدين بس الطول والعرض.. فـ أنت عند نقطة اِلتقاء خط الطول كذا مع خط عرض كذا ولو كنت طاير في الهواء أو في طيارة، وعايز تحدد موقعك على الخريطة.. فـ أنت محتاج ٣ إحداثيات أو أبعاد.. الطول والعرض والإرتفاع.. فـ أنت عند نقطة اِلتقاء الـ ٣ أبعاد.

لكن لو بتتحرك وعايز تحدد موقعك.. فـ أنت محتاج بُعد رابع، وهو الزمان.. لأن الزمان والمكان جزء واحد متصل، فالبُعد الرابع هو «الزمكان»، فـ أنت عند نقطة اِلتقاء الـ ٤ أبعاد.. عند خط طول كذا وعرض كذا، على ارتفاع كذا في الوقت كذا، والدليل على كده إن إحنا لو عايزين نحدد الزمان، بنحدده بالمكان من غير ما نحس بنترجم المكان لزمان

ونقول: «وقت الغروب» وهو مش وقت، ده حركة الشمس من مكان لمكان بالنسبة للأرض، وبنقول «ساعة ويوم وشهر وسنة» على حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس.. والعكس صحيح، لو عايزين نحدد مكان، بنحدده بالزمان من غير ما نحس بردو.

إحنا لما بنبص على مكان نجم من النجوم.. فـإحنا بنبص في ماضي النجوم، بينّا وبينها سنين ضوئية، ومع ذلك إحنا مش قادرين نتخيل الشكل الرباعي الأبعاد.. لأن الزمان مش ملموس، مش بنشوفه ولا بنمسكه، مش زي الطول والعرض والارتفاع، وده لأن حواسنا محدودة.

ولتسهيل الموضوع شوية.. تخيَّل إن الحياة فيديو على اليوتيوب، لو وقّفت عند لحظة معينة هتشوف الصورة بُعدين طول وعرض، ولو الفيديو ثُلاثي الأبعاد هنزود بُعد كمان، يبقى طول وعرض وارتفاع، ولو شغلت الفيديو هيبقى ٤ أبعاد، طول وعرض وارتفاع وزمن، وكأن اللقطات المنفصلة دي فيديو متصل بتتابع زمني «التحام بين الزمان والمكان» - الزمكان -.

وده معناه.. إن الأحداث اللي حصلت في الماضي موجودة فعلاً في الزمكان، والأحداث اللي هتحصل في المستقبل موجودة بردو.. زي ما الحاضر موجود حوالينا وزي ما المكان موجود في نقطة في الزمن.. الزمن كله موجود في نقطة في المكان وزي ما اللحظة اللي أنت قاعد تقرأ الكتاب فيها دي موجودة، فـ اللحظة اللي أنت بدأت تقرأ فيها الكتاب موجودة، واللحظة اللي هتقرر تسيب فيها الكتاب بعد ما جالك صداع من المواضيع الغريبة والمعقدة دي، وتقوم تعمل كوباية قهوة.. موجودة.

وده يفسر إن ربنا عارف كل حاجة عملناها وبنعملها وهنعملها، عشان كل حاجة عنده حصلت خلاص، ومتسجلة حرف حرف.

فـ تخيل حياتك شريط قدامك بتتفرج عليه، وليَكُن مدته ٧٠ دقيقة، كل دقيقة بـ سنة.. إحنا بننام في اليوم حوالي ٨ ساعات، يعني تلت اليوم، يعني تلت العُمر، يعني حوالي ٢٤ سنة!!!

يعني بنعيش فعلياً تلتين عمرنا، حوالي ٤٦ سنة.. نقول عدى منهم ٢٠ سنة، وفاضل زيُّهم، وفي أي لحظة ممكن الشريط يوقف ويخلص، بس مش دي القضية.

القضية: أنت عملت ايه في الـ ٢٠ سنة دول؟ هل تستحق لقب إنسان؟ هل تستحق اسمك يتحط في موسوعة إنسانولوجي؟!

عملت ايه لنفسك قبل غيرك، وعملت ايه لغيرك مش لنفسك، استفدت ايه؟ أفدت مين؟ وبـ ايه؟

غيَّرت؟ اتغيَّرت؟!

أنت فخور بـ شريط حياتك؟ راضي عنه؟ مش عايز تعمل Crop لكام دقيقة كده.

طيب ما لسه في فرصة! ولو دقايق في فيديو.. ياما ساعات عَدوا علينا دقايق، وياما دقايق كانوا ساعات.

فـ الدقيقة تساوي ساعة وسنة لو ليها قيمة ونية سليمة، والساعة دقيقة لو نايمة وزيَّها زي غيرها مش دايمة.

آلة الزمن

تخيل إن الكون تفاحة وأنت دودة ماشـية على التفاحة، وكل ما تمـشي الزمن يعدي عليك.. طيـب بما إنك دودة، لو دخلت جوة التفاحة وخرجت من مكان تاني.. بما إن الزمن مرتبـط بالمكان فأنت هتخـرج لزمان تاني!! وده اللي اسـمه الثقب الدودي (الشـق الدودي)، مكان موجـود في الفضاء عبارة عـن ثقب.. حفرة في الزمكان.. منحنيات في الزمكان.. طريق مختصر يخلينا نسابق الضوء، سميها زي ما تحب.

بعد ما تعـدي من الثقب الدودي، هتلاقى نفسـك في عالم تاني، ومجرات تانيـة وكواكب تانية، وشـمس جديدة، بتقويـم جديد، وجاذبيـة مختلفة، وقوانين جديدة.

ونتيجة احـتراق النجوم وانهيارها تحت ضغط.. تتحـوّل لنجم نيتروني، وتكوّن ثقب أسـود.. نقطة سـوداء مظلمة، كثافتها عالية، وجاذبيتها أعلى.. لدرجة إنها بتجذب كل شيء، حتى الضوء ومع زيادة الجاذبية.. الزمن بيتغير ويبطئ ونتيجة كل ده، نلاقي إن الكواكب الجديدة المختلفة عن كواكبنا.. جاذبية وتقويم مختلف خالص!

فـ مثلا: الساعة على الكوكب ده: بتوصل لـ ٧ أو ٨ سنين على كوكب الأرض.

فـ أنـت لو قعدت يـوم ورجعـت الأرض هيكون عدى ١٩٢ سـنة! ولو قعدت شهر ورجعت هيكون عدى ٥,٧٦٠ سنة!! ولو قعدت سنة ور. ت هيكون عدي على الأرض ٧٠,٠٠٠ سنة!!!!!

يعني أنت كده سافرت عبر الزمن.. سافرت للمستقبل!

هو صعب تقعد سنة على الكوكب ده، بس ممكن تضيع الوقت ده بالنوم في جهاز Suspended Animation أو وضع الثبات المعلّق.

ده جِهـاز بيبطئ العمليات الحيوية في الجسـم.. زي التنفس وضربات القلـب وكهرباء المـخ واللاوعي عن طريق التبريد الشـديد باسـتخدام النيتروجين السـائل، وفيه منبه تظبـط عايز تنام قد ايه بالظبط وتصحى، وبكده تحافظ على نسـبة الأكسـجين وكميـة الأكل والشرب اللي معاك، وتحافـظ عـلى خلايـا جسـمك والعمليـات الحيويـة بإنك تقلـل الأيض Metabolism.

= انتظر لحظة!! يعني.. هذا يعني.. أنك.. أنت من الماضي؟ لكن كيف؟! أنت تعلم الكثير عن المستقبل! أخبرني.. أ.. أنت من الماضي أم المستقبل؟!

- اهـدأ بـس! عشـان تسـافر للـماضي.. كل الـلي هتعمله إنك هتسـافر للمسـتقبل، وأكيد أكيـــــــد بعد ٧٠،٠٠٠ سـنة هيكونـوا اخترعوا آلة زمن وترجع للماضي، وده اللي حصل فعلاً.

= كـ.. كيف؟! لا!!! كيف حصلت عليها؟! هذا مستحيل!

- مش مسـتحيل لما يكون بعد ٧٠,٠٠٠ سـنة كل شـخص على الكوكب عنـده آلة زمن في بيته.. زيها زي التليفزيون والموبايل واللاب توب.. عادي

زي ما بتروح تشتري آلة تتفسح بيها من مكان لـ مكان، اللي اسمها عربية.. تروح تشتري آلة تتفسح بيها من زمن لـ زمن.

= هـذا لا يُعقـل أيضاً.. من أين أتيـت بالذهب أو المـال مقابل شراء آلة زمن؟ من أين أتيت بالعملة التي تستعملها بعد ٧٠,٠٠٠ سنة؟!

- بردو مش مسـتحيل.. لما تكون بالنسـبة لهم ديناصور! راجل أرشيف مكانه المتحف! راجل عارف تاريخ الأرض من ٧٠,٠٠٠ سنة.. اعتقد مفيش أسهل من كده.

= مممممـم.. إذاً هذا يفسر كل ما تعرف! نعم، مِن المسـتحيل أن تكون من هذا الكوكب.. من هـذا العصر ومن هذا الزمن! ولكن لحظة! إذا كان لكل شـخص آلة زمن!! لماذا إذاً لا أرى غيرك من سُـياح الزمن يجوبون هذا العصر؟

- مين هيرجع بالزمن ٧٠,٠٠٠ سنة.. ويجي يعيش في كهف؟!

= إذاً لماذا أتيت أنت!.. لا لا أخبرني عن تلك الآلة أولاً!!

- بعـد ما قبضـوا عليـا، افتكروني مجنون.. شـخص جاي مـن ٧٠,٠٠٠ سنة!! وشـكلي غريب ولبسي قديم!! لكن بعد ما عرفوا فعلاً الحقيقة بقيت مشـهور.. بطلع في كل المحطات الفضائية، واشـتريت آلة زمن.. الآلة شبه المركبة الفضائية العادية في هيكلها، بتشـتغل بالطاقة النووية، الوقود بتاعها عبـارة عن نـوع من أنواع نظـير اليورانيوم المُشـع مع الأيدروجين المشـع، ونتيجـة التفاعل الذري ده البروتونات هتسرع في دايرة مفرغة لا نهائية تنتج عنها طاقة هائلة لا نهائية تقدر تشغل الآلة لمدة سنين.

الطاقـة دي هتتوجـه بطريقة مكثفـة وتركيز عالي عـن طريق مصادم الهدرونـات على مـادة النيترينـوس، ودي مادة كتلتها صفر وشـحنتها صفر وعمرها واحد على مليون مليون من الثانية، بس لما الطاقة دي تزيد سرعتها بتوصـل لسرعة الضوء، وده يبطـئ زمنها ويطول عمرهـا بالإضافة إلى مادة الباي ميسـون، وده بعد ما يتـم معالجتها بطريقة تخلي الفـراغ الذري للمادة دي يوصـل لـ ١٠٠٪ مع العلـم إن أي مادة في الكون الفراغ بتاعها بيوصل لـ ٩٩,٩٩٪ حتى جسمنا.

و ده يخـلي الألـة تمشي بسرعة الضـوء، وده كافي يوقف الزمن و يعكسـه لوراء.. كأنك بالظبط مسكت شراب وقلبته لجوه!

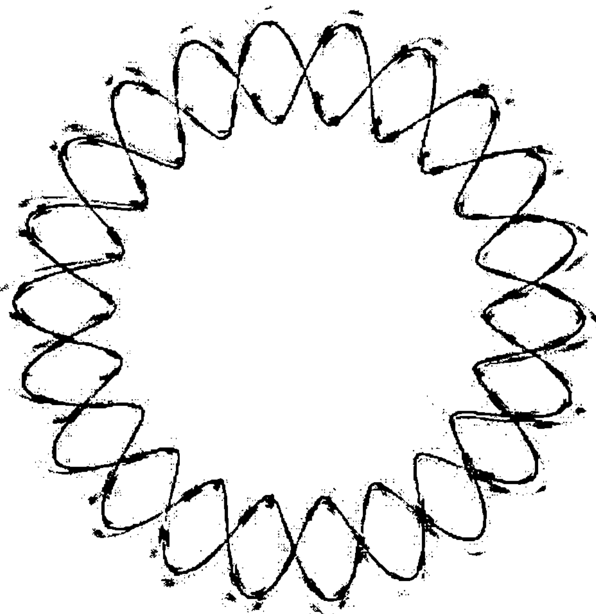
= ولكن كيف تحدد كم سنة بالتحديد تريد السفر؟!

- لو اتخيلت إن الزمكان زي الورقة، لو لفيت الورقة دي زي السـيجارة، وخـدت مقطع في الورقة الملفوفة دي، هتلاقيها عبـارة عن دواير جوه بعض «حلقـات زمنية» في أوقات وعصور مختلفـة.. طيب تخيل لو حطيت الورقة الملفوفـة دي جوه أسـطوانة حلزونية شـبه سوسـتة القلم، مشـحونة بطاقة كهرومغناطيسية!

كـبّر بقى المنظر ده وهنطير بآلـة الزمن جواه.. طبعـاً نتيجة الإلتفافات بتاعة الإسطوانة، آلة الزمن هتلف جوه، وبفضل الطاقة الكهرومغناطيسية.. هيحصل تنافر بينها وبين السفينة.

وده يخلينا نلف في الزمكان وننتقل من مكان لـ مكان، ومن زمان لـ زمان.. ولكن في حاجة! لازم الإسـطوانة تكون طويلة جداً، طول لا نهائي، عشـان لو قصيرة آلة الزمن هتدخل من ناحية وتخرج من الناحية التانية!!

عشان كده هنثني الإسطوانة دي على شكل دايرة، وده هيخلي نقطة البداية جنب نقطة النهاية.. مش كده وبس، ده هيسمح بتداخل حلقات الزمكان ويسهل الإنتقال بين العصور.



طبعاً أنت دلوقتي هتقولي إزاي!! مينفعش، الكلام ده مش صح!! ده جنان! خيال علمي! مستحيل من الناحية الدينية إننا نسافر عبر الزمن.

- طيب دينياً، في يوْمٍ كان مقْدارُهُ خَمْسين أَلْف سنةٍ: بمعنى إن الملايكة من نور، اليوم عندها بـ ٥٠ ألف سنة.. وده معناه إن زي ما إحنا قولنا، كل ما تقرّب من سرعة الضوء الزمن بيتقلص، وده يفسرلنا الحياة الأبدية اللي هنعيشها بعد الموت والبعث. في الجنة هنبقى نورانين، جسمنا من النور، وده معناه إن الزمن هيوقف، ونبقى خالدين.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

والإسراء والمعراج بالرسول من مكان إلى مكان، من زمن إلى زمن، من زمن الأرض قبل الهجرة النبوية بسنة إلى دار الخلد، إلى الجنة والنار بعد البعث والخلود!! مش ده سفر عبر الزمن!

= ولكن الرجوع إلى الماضي وتصحيح أخطائنا وجرائمنا مستحيل!

- لو كان الرجوع إلى الماضي والسفر عبر الزمن هو تصحيح أخطائنا، وكأنها لم تكن! فـ إننا نسافر عبر الزمن كل يوم.. بالاستغفار.

أليس الاستغفار آلة زمن؟! أليس الاستغفار تكفير ذنوب وتصحيح أخطاء؟ أليس عودة إلى الماضي ومحو خطايا من عقود؟!

فـ كم من ذنبٍ أقترفناه من سنين ثم عدنا إليه، فـ تلاشى بالاستغفار، ولم يعد له أثر.. فـ هي عودة إلى الماضي بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

وليس هذا فحسب! أليس صيام يوم عرفة! سفراً عبر المستقبل، وتكفيراً لذنوب سنة آتية!!

أليس التائب من الذنب كمن لا ذنب له!!

بالاستغفار نسافر عبر الزمن.. عبر الماضي والمستقبل.. فـ الاستغفار آلتنا الزمنية!

معلومات طريفة

ثلاثة طرق بسيطة للسفر عبر الزمن:

١. متعملش أي حاجة! واقعد كده.. هتلاقي نفسك سافرت في المستقبل.. أهو عدّى ١٠ ثواني في المستقبل وأنت بتقرأ الجملة دي.. بس نوع ممل من السفر.

٢. امشي.. هتسافر عبر الزمن لما تتحرك.. بحوالي ٣ فيمتو ثانية.. مقارنة بصاحبك اللي قاعد.. وده ممكن يكون السبب في إن المشي.. بيطوِّل العمر!

٣. اقف في مكانك.. هتسافر عبر الزمن لما تبعد عن الجاذبية.. رجلك هتبقى أكبر في السن من راسك بـ ١٠ فيمتو ثانية.. وده ممكن يكون سبب إن الأقدام أول حاجة بتعجِّز وتتعب في جسم الإنسان.

اليوريكا

= لماذا تخبرني بكل هذا؟

- مش أنت المساعد بتاعي.. بفهِّمك عشان هتساعدني.

= أساعدك؟ فيما أساعدك؟!

- في بناء المدينة الفاضلة.. تخيّل لو فيه مدينة بتجمع كل العلماء والأدباء والأشخاص العظماء.. مدينة تجمع «عقول فذَّة».. مدينة فاضلة.

شايف الدولاب اللي وراك ده!.. الدولاب ده مليان رفوف، كل رف مليان مخازن.. كل خزنة فيها «مخ عالم من العلماء».

= ما.. ماذا!! أتسافر عبر الزمن لتسرق العقول؟!!! أنت سارق عقول؟!!

- مش بالظبط كده، لو جبت ورقة وقلم، وكتبت كل حاجة أنت حافظها في مخك، من أرقام: أرقام تليفونات.. تليفونك، تليفون أبوك وأمك وأصحابك وقرايبك وجيرانك والمدرسين والدكاترة والصيدلية والدليفري والبيت وغيره كل رقم من دول مكوّن من أكتر من ١٠ أرقام.

وأرقام الشقق في الأدوار جوه العماير جوه الشارع والحي في قلب المدينة والمحافظة.. تواريخ ميلادك وميلاد أخواتك وأبوك وأمك وأصحابك

وقرايبيـك وولادك وأحفادك.. وجدول الضرب والقسـمة والجمع والطرح، قوانـين الفيزيـاء والرياضيـات.. سرعة الصـوت والضوء، قوانـين الزوايا والمثلثات.. درجة حرارة الإنسـان نسـبة السـكر وضغط الدم، عدد كرات الدم الحمراء والبيضاء.

وكتبت أسماء: اسمك واسم أبوك وأمك وأصحابك وأصحاب صحابك.. وأسماء الأشياء من جماد وحيوان ونبات.. وأسماء الشوارع والمدن والعواصم أسماء لاعيبة الكورة والأندية والمنتخبات، والممثلين والمخرجين والأفلام.. المؤلفـين والكتـب والمسرحيـات.. المغنـين والأغـاني والمعزوفات أسـامي المأكولات والمشروبات.. والأدوية والجرعات.

آيات من القرآن وأحاديث شريفة.. أبيات شعر وأناشيد عفيفة، وتربط ريحة أكلة وصوت غِنوة مع نسـيم الهـوا وكلمة حلوة.. على كورنيش البحر في أحلى خِلوة.

وقرمشة الذرة مع فرقعة قُشاط الطاولة وريحة الشيشة.. وضحكة واحد صاحبـك الخليعة، ولا كرتون كنت بتشـوفه وأنت صُغـير.. مع ريحة برفان وفرحة تطيَّر.. وصوت عصافير وقت الصُبحية.

هتلاقي نفسك مليت كُتب وأجندات! وكل اللي فات.. ممكن تكتبه بلغة تانية وتالتة.. وتملى مجلدات!!

طيـب إزاي! إزاي أنـا حافـظ كل ده!، وفي كَـسر مـن الثانيـة بفتِكره وأسـمَّعه.. أسرع من أي كمبيوتـر، أسرع من البرق في لمح البصر من غير ما اتلخبط والمعلومات تدخل في بعض!

كل ده مستخبي فين؟! في تلافيف وتعاريج المخ فين؟! هو أنا مخي كام جيجا؟!!

ونيجي بعد كل ده نقول أنا مش بعرف أحفظ.. أنا بفهم بس! و"الفهم ملوش معنى من غير حفظ" أنت متعرفش تقرأ الجملة اللي فاتت دي من غير ما تكون حافظ شكل كل حرف واسمه وبيتنطق إزاي، وحركة شفايفك مع لسانك، وفتحة بوقك بارتفاع مُعيَّن مع حَلقك وارتخاء أحبالك الصوتية.. كل ده أنت حافظه!

كل ده معجزة.. اسمها الذاكرة، بتسجِّل كل حركة وكل دقة.. كل حدث حصل جوه أو واقعة حصلت بره، باللحظة والثانية والدقيقة والساعة واليوم والشهر والسنة.. محفوظة واللي بنتخيل إن إحنا نسيناه.. موجود، وبيظهر فجأة في لحظة غضب أو مع طعم دمعة نزلت من عينيك أو فنجان قهوة.. أو حلم.. أو زلة لسان.. أو خطأ إملائي في امتحان.

أو أي حاجة تنادي على الحدث ده جوه الذاكرة!.. فـ يجي جَري! مفيش حاجة بتتنسي أو بتضيع!



الذاكرة مكوَّنة من ذاكرة فورية وذاكرة قصيرة وذاكرة طويلة:

١. الذاكرة الفورية: ذاكرة قصيرة جداً.. مدتها ٣٠ ثانية.. ذاكرة لحظية، مُخصصة للعين عشان تحفظ تفاصيل اللحظة عن طريق تغيُّرات كيميائية بسيطة.

٢. الذاكرة القصيرة.. ذاكرة مؤقتة لدقائق أو ساعات.

٣. الذاكرة الطويلة.. ذاكرة أبدية مدتها سنين أو العُمر كله عن طريق تكوين بروتين.

تخيَّل نفسك في فرح.. وبتبص بعينك تحفظ أماكن العريس والعروسة وأماكن الضيوف.. في الذاكرة الفورية، لكن تاريخ الفرح وتفاصيله في الذاكرة القصيرة.. أما شكل العريس والعروسة واسمه وصوته في الذاكرة الأبدية الذاكرة بتتخزن على شكل بروتين.. حروف تتكوَّن جنب ببعض.. تكوِّن كلمات وجُمل بروتينية.. تدل على صورة أو رقم أو اسم أو صوت أو ريحة ،..تفتكرها في ثانية.

كل ده موجود في مكان في المخ.. اسمه الحصين Hippocampus.



الفيروس كائن حي ميت.. بين مملكة الموت والحياة.. كائن صغير جداً لدرجة إنه مايتشافش بالعين المجردة لا حتى الميكروسكوب، ومنقدرش حتى نفصله عن سائل.. ما يتشافش غير بالميكروسكوب الإلكتروني اللي بيكبَّر من ١٠٠ - ٥٠٠ ألف مرة.. تعالي بُص.

ده فيروس عبارة عن بلورات متجمعة شبه الملح أو السكر.. مادة بروتينية ميتة.. جواها بروتين تاني (دي ان ايه وأر ان ايه)، وعنده ماكنة تصوير وطباعة، المادة دي مكوَّنة من ٢٠ حمض أميني.. حروف بردو تتجمع وتعمل شفرة.. زي الباركود اللي على أي منتج بنشتريه.. كارنيه تعريف للكائن ده، زي بصمة اللإيد أو العين أو الصوت للإنسان.

الفيروس زي الفامبير.. ميت حي.. عنده أنياب يغرسها في ضحيته، سواء إنسان أو حيوان أو حتى نبات، ويحقنها وهو بره الخلية بالـDNA بتاعه،

الخليـة تتلخبـط لما تلاقي حاجة غريبة عنها بس شـبهها.. وفي نفس الوقت مفيـش ميكروب جوه الخلية.. لأن الفـيروس قاعد بره، فـ تفتكر إن ده أمر من الخلية وتبدأ تنسـخ الـ DNA بتاع الفيروس لألآف الفيروسات، والخلية تفضل تتكاثر.. لحد ما تنفجر وتعدِي خلية تانية جنبها وهكذا.

وفجأة نلاقي عندنا مزرعة جيش وجيوش من الفامبير ويتحول الفيروس بعـد مـا كان ميـت لا يتكاثر.. لكائن حـي يتكاثر عن طريـق خلية مش بتاعته، وهو حاطط رِجل على رِجل.. ويتحول من ميت لـ حي.

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم: ١٩].



احترام عقول

= ومَن آخر مَن سرقت عقله؟!

- هنطير بآلة الزمن لسـنة ١٩٥٥ بعد ساعات، دكتور توماس هارفي دخل غرفـة التشريـح.. وبدأ يشرَّح، عمل فتحة على شـكل حرف Y من الكتفين للبطـن، وفحص كل عضو لوحده وفتح الجمجمة وطلّع المخ، وحقن شرايين الدماغ بـ سائل حافظ، ودي حاجة أول مرة يعملها.. وصوَّر المخ كذا صورة مـن كل ناحية ،وبدأ يقطَّع المخ إلى ٢٤٠ قطعـة.. كل قطعة بحجم مكعب السكر، وحط كل قطعة في كيس، وحفظه في كحول، في برطمان إزاز!

الدماغ اللي غـيَّر تفكيرنا عن الكون تغيير جـذري.. الدماغ اللي خيالها

طـار من المكتب للفضاء وسـافر في الزمن وغيّر فيزيـاء الكون.. محبوس في برطمان مايونيز!! زيه زي الخيار المخلل!! مش حرام؟!

دماغ أينشتاين!!!

يُقال إن التوحُّد اللي كان عند أينشـتاين هو السـبب في عبقريته!! وإنه اتأخـر في الكلام ٣ أو ٤ سـنين، وكان عنـده صعوبة في التعامـل مع الناس، ولكـن كان يتواصل مع عـالم الأرقام والرياضيات بسـهولة تختلف أخاديد وتلافيف أينشـتاين عن الأخرين.. يقال أيضاً أن ده يربط مناطق مختلفة من مراكز المخ ببعض

فـ مثلاً يربط مركز الكلام بالتذوق والشـم.. فـ كلمة «ألبرت أينشتاين» تـدل على طعـم الزبـادي، أو اللون الذهبي عنـد البعض! هـل يُعقل أن سر عبقرية أينشـتاين يكمُن في ترابط مراكز الرياضيات والحسـابات في عقل أينشتاين بـ مراكز الفضائية البصرية في عقله!!

ولمـا جمّعت صور مـخ أينشـتاين اللي دكتـور توماس هـار في صوّرها.. وجمّعتها ووصّلتها بالكمبيوتر.. ورسمت لمخه صورة 3D.

لقيـت إن فصين دمـاغ أينشـتاين الجانبيين مختلفين.. فيـه خلايا غروية أكتر من الخلايا العصبية.. ولقيت بردو إن الجزء الخاص بالعمليات الحسابية والبصريات الفضائية أكبر عند أينشتاين ١٥ ٪ من العادي.

أينشـتاين بيقـول.. إنه كان بيمرّن مخـه، وإنه مكنش عبقـري، وكل اللي بيعمله إنه بيسأل أسئلة الأطفال فقط «ليس لأنني شديد الذكاء ولكني أبقى مع المشاكل وقت أطول، في ٩٩ مرة تأتي خطأ، وفي المرة الـ ١٠٠ تأتي صحيحة».

ويقول أيضا «الخيال أهم من المعرفة.. المعرفة محدودة.. لكن الخيال يحيط بالعالم».

حسيت أنه حرام.. أسيب المخ ده محبوس قعدت أفكر!! وفجأة!!

يوريكا!!

خدت جزء من الدماغ، وغرست الحقنة في مكان الذاكرة والأفكار، وحقنته في الفيروس!! وخدت الصور بتاعة المخ، وعملت نموذج من مخ أينشتاين، ونسخته على مادة سليكون من خلال روبوتات مجهرية «نانوبوتات»، وحقنت فيه بروتين الأفكار والذاكرة، وحطيته في كمبيوتر.. ليصبح شبح داخل آلة!! حسابات ومعلومات بدون نسبة أخطاء!



هل الدماغ هيكل عظمي؟! له حدود طبيعية.. أم أنه عضلات، يمكن تدريبها ويمكنها زيادة قدرتها؟!

هل لدينا القدرة على أن نصبح أينشتاين!

هل يأتي يوم ويحتفظوا بعقولنا أملاً في أن يصلوا لتقنية زراعة المخ، وإعادة إحياء العبقرية؟!

هل نحن نحترم عقولنا؟! حتى يحترمنا مَن حولنا؟!

هل تحترمنا عقولنا؟! أم تسخر منا؟!

هل تستحقنا؟ هل نستحقها؟

وما العبقرية؟! أهي مكتسبة أم وراثية؟ فطرية أم جينية؟!

مثل الاسم واللون والشكل والجنسية؟! أم كالفكر والميول؟!

كيف نخرج عن المألوف؟ وما المألوف كي نخرج عنه؟!

هل يكفينا شرف المحاولة؟ محاولة الخروج عن المألوف؟!

محاولة الخروج عن المألوف في حد ذاته شيء مألوف.. فهي مجرد محاولة.

فـ الخروج عن المألـوف لا يتطلب محاولـة.. يتطلب عبقريـة.. بل هو العبقرية.

احترم عقلك!



ثم شعرت بالنعاس.. وتثاقلت جفوني وأخذَت تطغي على مجال رؤيتي.. وشعرت بالدوار وتلاشت الأصوات من حولي حتى اختفت وتخدَّر لساني ولم أشعر بشئ.

وبعد فترة.. عُدت إلى وعيي.. وعادت معه نصف الأصوات.. وتطايرت الكلمات إلى طبلة أذني ولكنها لم تتصاعد إلى عقلي.. فأسمع منها ما أسمع ولكن لا أفهمها.

وكان ما سمعته:

- شيبس

+ تطابق

- إعادة..

+ تطابق

- تأكيد

ثـم زال الضباب من أمام عيناي.. وتحكَّمت في جفناي.. فأحتد بصري.. فوجدت نفسي مقيداً ورأيت ذاك الرجل يتحدث مع نفسـه!، وكان الكهف يرد عليه!!!

ثم أفاقت عضلات لسـاني.. وتفككت شـفتاي.. فأنتجت كلماتي قائلاً: مع.. مع.. مَن تتكلم! فُكَّ قيودي!

SHIPS[١]، عايز تقرير كامل عن البصمات.

+ بصمـة الصوت: تطابـق.. بصمة العين: تطابق.. بصمـة اليد: تطابق.. بصمة الشـفاة: تطابـق.. بصمة الأسـنان: تطابق.. بصمـة الرائحة: تطابق تطابق.. بصمة الأذن: تطابق.. الخط: تطابق.. الـDNA تطابق.

= ما شيبس هذا؟ وعن أي بصمات تتحدث!

- تطابق إزاي؟!.. مش ممكن!

= أخبرني!

- بصماتك أنت.

= ومن أين حصلت على كل تلك البصمات؟!

(١) SHIPS : SHoqrat Intelegent Personal System
تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي التي تُحاكي القدرات الذهنية البشرية وأنماط عملها.. ولديها القدرة على التعلُم والاستنتاج ورد الفعل

- بصمة الصوت خدتها مع أول كلمة قولتها لما دخلت الكهف.. وبصمة إيدك خدتها من الريشة اللي كتبت بيها.. ومن الورقة خدت بصمة الخط.. وخدت بصمة الشفايف مِن على قطعة البيتزا اللي كنت بتاكلها.. وبصمة السنان من مكان القطمة الأخيرة.. اللي كان فيها منوم وأول ما نمت.. ربطتك وخدت بصمة الريحة وبصمة الأذن.

= وبصمة العين؟!!!

- بسيطة.. فاكر النملة اللي هرستها؟ خدت صورة لشبكية عينك لما كنت بتبص عليها تحت الميكروسكوب.

= وماذا عن الـDNA؟

- فيتو.. ده اسم الطائر اللي هجم عليك، وخد شعرة من راسك، وأنا خدت خلية من بصيلة الشعر وحللتها.

= ومع من تطابقت!

- هي دي المشكلة.. معايا أنا!

=!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

- وده معناه حاجة من اتنين يا إما دي مجرد صدفة.. وده مستحيل، أن تتشابه جميع بصمات جسمي وجسمك وخصوصاً الـ DNA.

أما الحل التاني إن..

أنا وأنت..

= !!!!

- توأم

= إلى أين تذهب؟!

- عندي شوية مشاوير كده لازم أروحها.

= أين؟

- رحلات عبر الزمن.

الطرزان

أيها الملِك! لدينا زائر!

أكرمه.

- مَلِك مين! أنا فين! شيبس شيبس!!

= أهـلا بيك في بيتنا.. أنا الغراب وسـأكون مرشـدك في هذه الرحلة.. وأرجو أن أكون خير رفيق.

- جنينة حيوانات!

= لا، بل مدرسة الحيوانات

الأسد (أخلاق): أصغر قلب، أكبر لقب.. فلقب الملك لم يطلق عليه من فراغ.. فهو لا يأكل الجيفة ولا يأكل ما كُرهت رائحته، وإذا شبع فلا يأكل ولا يخفـي طعامه مثل النمر بل يتركه لرعيته مـن الحيوانات.. نبيلٌ فهو يغار عـلى زوجته وأولاده.. وتخشي الحيوانات من بوله! فهو يضع حدود لبيته من البول.. وينام وهو مفتوح العينين.

- لا وكمان فنان، ما شوفتش أنت LionKing.

الفيل (حنين): رغم أنه ضخم فهو يأكل النباتات الخضراء، ولا تطأ قدماه على أي حيوان صغير بل يحمله بخرطومه في رفق وحنان.

صاحب الرأس الكبير والعنق الصغير، معندوش رُكَب عشان كده ربنا أداله أنياب وزلومة عشان يقدر يأكل ويشرب على بعد ٢,٥ متر.

و بالرغم إنه يقدر بضربة يرمي إنسان ٤٠ متر.. الفيل يفضل يبكي على فقيده ويحضن ديله.

- أه ومثقف كمان.. قاعد يقرأ «الإنسان الأزرق» أهو.

الجمل (صبور): تيتانيك الصحراء ده.. يصبر على جوع وعطش وحر.. ربنا ملبسه جاكيت جلد تخين يستحمل شوك الصحراء، وطقم سنان قوي يقرقش النباتات الناشفة.. رجليه عبارة عن مخدة من اللحم عشان تستحمل «شواية» الرمل وما تغوصش فيها.. ربنا مِرَكِّب له ستارة على عينه تحجب عنه عواصف الأتربة، وخياشيم مشقوقة وأمعاء في أنفه تقفل وتفتح، وتمتص الماء من الهواء اللي بيتنفسه.. ده غير الخزانات اللي بتفضي وتملأ، «يقتر» منها على حسب ظروفه درجة حرارته ٤٠ وده عشان يقلل العرق، فيقل فَقد المياه وبالليل درجة حرارته تقل لـ ٣٤ فيحافظ على مخزونه من الماء.

عارف أنت لو شربت رُبع صفيحة مياه مرة واحدة.. كُرات دمك هتفرقع وتموت.. لكن الجمل لأ، يشرب ٣ صفايح مياه عادي.. وده لأن كُرات دمه مطاطة، مهما قلّ الضغط الأزموزي متفرقش معاه.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

الأسد: دعني أرى تلك المطاطية.

الجمل: لا شكراً يا أسد.

الزرافة (شياكة): البرنسيسة دي واخدة من الجمل رقبته الطويلة وأنفه المخضرم، ومن النمر شياكة جِلده، ومن البقرة طقم سنانها..

وفي الرقبة تلاقي العجب، كل زرافة ليها بصمة فريدة في خطوط رقبتها.. مفيش واحدة شبه التانية، ورغم إنها طويلة لكن ٧ فقرات بس.

وعشان كده قلبها قوته ٢٠ ضعف عشان يوصل للرقبة والمخ فوق.

الكلب (وَفي): حاسة السمع تصل إلى ٨٠٠ متر بينما الإنسان ١٥٠ متر و..

- هو الكلب ماله؟! زلـــــــــزاااااااااااال! المكان بيتحرك!

لا ده مش زلزال.. ده الحوت بيتحرك، وإحنا كلنا واقفين فوقه!

الحوت (حـوت): طوله ٣٣ متر، وزنه ١٧٥ طن.. ده لسانه لوحده ٣ طن وقلبه ٣٤ طن.. أبو قلب كبير.. ٧ دقات.. بس!

كل ما القلب يكبر عدد دقاته تقل.. وده منطقي، لأن ضربة القلب الكبير أقوى وبالتالي المسافة أطول.. عشان كده قلب العصفورة ١٢٠ دقة في الدقيقة!

ويقال أن الحوت كان ديناصور زمان.. ولصعوبة الظروف هرب للمياه، وجسمه تكيِّف على كده فـ وزنه زاد، وسنانه وقعت وودانه وقعت وشعره وقع ماعدا الشنب، ورجله اختفت، وديله اتحول زعنفة، وأنفه اتنقل من وشه وطلع فوق رأسه.. عشان يتنفس!

الحوت مش سمكة، هو من الثدييات.. عشان كده عنده رئتين، ينط من

قاع المحيط فوق يشـفُط أكسجين على قد ما يقدر، ويخزنه في دمه ويتنفس منـه تحت المياه، ويطلع ثاني أكسـيد الكربـون في نافورة الميـاه دي وعنده مغناطيس في راسـه عشان يهاجر في البرد من البحار القطبية للاستوائية رغم إنه لابس بالطو من الدهن، واللي الكلب سمعه قبلنا وأنت سمعته ده صريخ الحوت.

- ده أنا كنت هتشلّ!

= هو فعلاً صوت الحوت بيشلّ فريسته.

- ما هو ده ماشي ينط أهو!

= لا ده حبّار البحار.. من فضل ربنا عليه إنه أطرش فـ مش بيسمع صوت الحوت

- وده بيعيط ليه؟

= لا دي دمـوع «تماسـيح» إفـرازات من العين للتخلص مـن الملح الزائد وخصوصاً بعد إلتهام فريستها.

- إلحق، التعبان محبوس!

= سـيبه.. ده بيغيَّر هدومه.. يزنق نفسه في الجحر ويفضل يزحف لحد ما يقلع جلده ويلبس جلد واسع، ولو نابه اتخلع، يطلّع غيره

حالته صعبة.. بيسمع بجلده ويشم بلسانه، ولو عينه تعبت يروح يتفرج على شروق الشمس، تتشفي خلال أسبوع.

- بيغير لونه يعني؟

= لا، الحرباء: هي اللي بتغير لونها، ولسانها أطول منها، وكل عين بتتحرك لوحدها.. تشوف في اتجاهين في وقت واحد، وعشان ضغطها عالي، تطلع دم من عنيها تدافع بيه عن نفسها!

- حربابة بقى، أومال الحصان فين؟

= في الجيم[1].

- ماشي يا شُؤم.

= أنا لستُ شؤماً.. أنا الـ..

القرد: أتركه لي أيها الغراب.

الغراب: حاضر يا زعيم.

القرد: الشؤم كلمة إنسانية تترتب على تصرفات الإنسان، السمك يهرب من صوتك، إذاً أنت شؤم!!

الغراب هو المعلم الأول.. أليس هو من علمكم دفن موتاكم!

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٣١].

ريش الغراب الأسود الذي لا يشيب ليس أسود من قلب الإنسان الذي قتل أخاه.. كما أن فَصّي مخ الغراب أكبر بالنسبة لجسمه عن باقي الطيور.

---

(١) واط.. والواط: ٣٣,٠٠٠ رطل في الهواء لمسافة قدم في الدقيقة ٧٤٦ حصان (وحدة قياس):

تعالى معي إلى محكمة الغربان

في عُـرف مجتمع الغربان، لا يتـزوج الغراب إلا أنثي واحدة.. هذا الغراب خطف أنثي غـراب آخر، وعقاب هذه الجريمة هو القتـل بالمناقير، وكما ترى هو معترف بذنبه ولا يبدي أي مقاومة.. وهذا غراب يبني عشاً أتلفه لجاره، وهو طائر من فصيلة أخرى أما هذا الغراب الندمان الذي يأتي به بودي جردات من الغربان وعينه في الأرض يأكله الندم.. أكل طعام الفراخ الصغيرة، وعقابه هو أن قطَّعوا ريشـه حتى يصبح كـ تلك الفراخ غير قـادر على البحث عن رزقه، فيشـعر بما تشـعر به الصغار.. الغراب صياد شـاطر، يجمـع العيش في عصاية و يرميهـا البحر، يجي يأكلها السـمك فينقض عليه الغـراب ولما حطوا الغراب في أوضة صغيرة مقفولة وحطوا معاه سـلك.. عمل السـلك على شـكل خطاف وجاب الأكل بيه، وعادوا التجربة كذا مرة على كذا غراب بنفس النتيجة.

- متأسف أيها المعلم، كمِّل..

الذبابـة (المعجزة): مكونة من راس وصـدر وبطن و٦ رجول بـ مفاصل عندهـا عنـين كل عين مكونة مـن ٦٠٠٠ كاميرا (عين صغـيرة)، كل كاميرا مزودة بشـبكية وقزحية وقرنية.. متوصلين بـــ ٤٨ ألف كابل عصبي.. العين دي بتلف ٣٦٠ درجة وتلقط ١٠٠ صورة في الثانية.

الدبانـة معندهـاش جهـاز هضمي، بتهضـم الأكل بره جسـمها.. تفرز إنزيمات على الأكل يتهضم، تشـفط شـوية بخرطوم بوقها، جسمها يستفيد بشـوية، وتطير بشـوية، والباقي يخرج كفضلات.. عشان كده اللي بياخده الدبان مبيرجعش.

الدبانة عندها جناحين: الجناح الأول: شايل أشكال وألوان من الأمراض والجراثيم والبكيتريا وبلاوي تانية.. أما الجناح التاني: شايل أشكال وألوان بردو بس من مضادات الأمراض دي ومضاد حيوية وأجسام مضادة وأدوية ومضادات جراثيم.

قلب الذبابة يدق ١٠٠٠ مرة في الدقيقة!

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

النملة (الداهية): لو دخلت بيت النمل.. هتّوه! قلاع وحصون وغرف ودهاليز ومخازن وتلاجات وتكييفات.

النمل كيميائي يأكل خشب ويحوله كرتون يبني بيه مقر بيت.. النمل مهندس يبني مسلات وفتحات تكييف سفلية تدخل هواء بارد وعلوية تطلع هواء سخن.

النمل محارب يقتل الحراس ويستولي على مخازن القبيلة حتى البيض ياخده، ولما يفقس يسخّر الصغار خدم وعبيد النمل يربي حشرات المنّ يحلبها ويعيش على إفرازاتها، كما أن لغة النمل قُبلات وكيمياء لُعاب.

الناموسة (صاحبة مزاج): عندها ١٠٠ عين.. كل عين مستقلة لوحدها في التشريح، وعندها ٤٨ سنة في بوقها، ورغم الـ ١٠٠ عين فهي مش بتشوف ولا أشكال ولا ألوان عشان كده عندها قرون استشعار حراري.. عندها ٣ قلوب، قلب في النص، وقلب لكل جناح.. كل قلب مكوّن من أذينين

وبطينين.. عندها جهاز تحليل دم، مش كل دم بتدوقه بيعجبها.. وعندها جهاز تخفيف، عشان الدم لزج فيقدر يدخل في الخرطوم، الخرطوم نفسه مكوّن من ٦ سكاكين، أربعة منهم عشان تفتح فتحة مربعة، و٢ يتجمعوا تشفط بيهم، وعندها جهاز تخدير.. تحقن الأول وتسحب العينة، وعلى ما مفعول التخدير يروح وتحس باللسعة وتضربها، تكون هي طارت وواقفة في سقف الأوضة تضحك عليك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

النحلة (الباش مهندسة): معندهاش هزار من أول يوم الشغالة تخرج من البيضة، تبدأ تكنس وتلمع وتنضف وتورنش البيت كله بلسانها وبورنيش مخصوص نسميه بروبريس.. وغيرها تقف ترش مياه وتمروّح بجناحاتها.

النحلة مهندسة لا تخطئ في بناء بيوتها السداسية المليمترية من غير مسطرة حرف T أو برَجَل.

الرِجل فيها «فُرشة» تدوَّر بيها في الورد، و«ملقاط» تلقط بيه، وسَبَت تلم فيه رحيق وحبوب لقاح الزهور، ومخلب تدافع بيه بفدائية عن الخلية، فهي تتخلي عن جزء من أحشائها في جسد أعدائها.

أما بالنسبة للجنود الـ fighters.. عندهم جناح بيضرب ٥٠٠ مرة في الثانية.

وأما الملكة.. خلية النحل لا تحتمل أكتر من ملكة، الملكة لو شمّت في الخلية ملكة جديدة.. تقوم معركة وكله يتجمع لحد ما تنتصر ملكة فيهم.

وأخيراً.. النحلة السيكيورتي اللي تقف على باب الخلية تشم الـ ID بتاع اللي داخل واللي خارج.

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨].

- يعني النمل بيتكلم باللعاب والنحل بالريحة!

لغة الحيوان

مش بس كده.. جنود النحل عشان تبلّغ بقية المستعمرة عن الكنز اللي اكتشفته، تعمل حفلات وطقوس رقص غريبة.. فـرقصة حقل البرسيم تختلف عن حقل الزهور.. فمثلاً لو المسافة أقل من ٣٠ قدم تبدأ ترقص في دواير، ولو أكثر ترقص في حركات على شكل ٨، ولتحديد زاوية الشمس تحرك بطنها بزاوية معينة، يعني برقصتها نقلت خرائط طبوجرافية من معلومات عن المسافة وزاوية الشمس ودسامة الأكل، دي ولا شفرة انيجما[١].

أنت علشان تفهم هذه الطلاسم والبهلونيات محتاج مش أقل من تلت ساعة مع فهم وإلمام كافٍ بعلوم الهندسة.. أما النحل يطير في لحظتها!

لغة الصوت

أوركسترا من نوع عجيب يشكّلها صرصور الحقل وده اللي بيقوم بدور عازف الكمان، عنده جناح فيه نتوءات والجناح التاني فيه «مبرد» يعزف بيه، وبق السيكادا ضارب الطبول بيلعب درامز.. تحت ودنه غشاء شبه الطبلة، وكورال النطاط اللي يحُك أرجله وجناحته وترانيم البعوض

١) انيجما: آلة استخبارات ألمانية تستخدم لإنتاج شفرات سرية أثناء الحرب العالمية التانية

ومزامير الدبابير.. موسيقة بذبذبات عالية ومنخفضة وألحان مكتوبة على النوتة.

كل حشرة ليها صوت يميزها وتعرفه بيه أنثاه، وترد عليه.. ولو تشابه صوتان وتقاربت ذبذباته، يبعدوا عن بعض وميفضلوش في نفس المكان.

وأنت ولا فاهم حاجة!

أما إحنا القرود لما نحس بخطر.. نصرخ، وأنت تفتكر إنها صرخة رعب.. بس لا دي لغتنا عندنا ٣ صرخات.. صرخة لو هجم علينا ثعبان وتلاقينا كلنا باصين على الأرض، وصرخة تانية لو فهد هاجمنا، فنروح نستخبي على أصغر أغصان ميعرفش يطلع عليها، وصرخة تالتة لو نسر فنروح نختفي في النباتات الكثيفة.

- أنا مش مصدق إني بكلم قرد!

= وما أدراك أنت!

فلعل في زئير الأسد القوي ضعف للمولي.. وفي فحيح الأفاعي خشوع.. وفي قهقهة الدب دعاء.. وفي صغيب الأرنب مناجاة ..

وفي زقاء الطاووس تذلل.. وفي مواء القطة استعانة.. وفي نباح الكلب استغاثة.. ونهيق الحمار استعاذة.

وما أدراك بالجمال أنت!

فلعل نعيب الغراب خوف.. ونعيق البوم رجاء.

ألم تفهم؟!

أن زقزقة العصفور «تسبيح» وهدهدة الهدهد «تهليل».

ودعاء الكروان «بالمُلك لك لك يا صاحب المُلك».

مَن أدراك أنت!

فلكلٍ لغته ولكن لا تفقهون تسبيحه.

فـ خرير الماء وهدير الموج، وهديل الحمام..

وحفيف الأوراق مع قصف الرعد..

ودويّ النحل ودبيب النمل ..

وأذان الديك مع تنفس الصبح وغشاء الليل.

ودقات القلب وخفقان الدم..

وتكة الأثاث وتكتكة الساعة..

وحسيس النار وزفير اللهب ..

وذبذبة الذرَّة وتموُّج الإلكترون ..

ولفة الأرض ولمعان النجوم ..

وتغيظ الشمس وكسوف القمر.

كلٌّ يُسبِّح ولا تفقه، ولكلٍ لُغته أفلا تفقه!

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

الحيوان أيها المعلم

ألم تتعلموا دفن موتاكم من غراب! والتعاون من النمل، والنظام من النحل، والمسمار من الدودة، والموتور الدوار ورمان البِلي من الخلايا الأولى Flagellates.

وطبيبنا حيوان الوارا الذي يستخدم عُشب الرمرار «مرهم» جروح لتسكين لدغة الثعبان، ولا يدخل أي معركة معه إلا بالقرب من دواءه.

ومن تقليب الدجاج لبيضه.. تعلمنا استخراج الفراخ دون حضانة أمها فلا يفقس البيض دون تقليب بل أنه لا يقلب بيضه في اليوم الأول والأخير لأنه يعلم أن المواد الغذائية تجمعت في الجزء الأسفل من جسمه فإذا بقى بدون تحريك تمزقت أوعيته!

وإلى بنوك الحيوانات والسراديب.. فالإدخار درس من دروس الثعالب والسناجب، يجمعوا غذائهم في الصيف ويدخروه للشتاء.

ولكن للنمل رأي أخر، ففي الصيف ينشط ويجمع ما يجمع من حبوب ويخزنه تحت الأرض في جو رطب فيعالجه بطريقته حتى لا ينبت إلا في الظروف المناسبة، ثم يقطع الجذور والسيقان ويحصد حبوبه، ثم يذهب بها لتجف في الشمس، ومن ثم ليخزنها في ثلاجته إلى الشتاء وإلى الأعجب والأعجب.. نوع آخر من النمل يستخدم أوراق النبات، ويقطعها قطع صغيرة مستديرة وبطريقة لا تعرفها أنت أيها الإنسان.. يجعلها مزرعة للفطريات التي تساعده في غذائه.

والعنكبوت أول من ابتكر فخاً لصيد فريسته بخيوط من حرير.. وأول

من اجتاز نهراً على سجادة حريرية.. ويصنع أيضا من أوراق الشجر زورق ويحمل على مَتنه مُؤنه.. وأول من حفر خنادق في جوف الأرض وحصَّنها بأبواب، وأول من صنع مناطيد من خيوطه ونفخ فيها فقاقيع الماء حتى يتمكن صغاره من النجاة.

هذا مَن هو أوهن البيوت بيوته!

والزنبور هو أول من اخترع الورق ولو أنه تعلم الكتابة لسبقكم إليها، والنبات أول من حوَّل الطاقة الشمسية إلى كهرباء من ملايين السنين.. والنحل أول من كيَّف بيوته عن طريق المراوح ورشاشات الماء.. والناموسة علمتنا قانون الطفو وأرشيميدس.. والبلهارسيا غيَّرت سياسات بلاد والإشتراكية من جسور النمل.. والاستقلال من الطيور.

والتخدير والتحنيط من الدبابير التي تحقن فريستها بمادة مخدرة غير مميتة لحفظ الطعام طازج لحين الاستهلاك!.. والتبريد وتوزيع الضغط من السنجاب الذي يحفر خنادق بتفاوت في العرض والارتفاع.. لتفريغ الهواء.

ولك أن تتخيل أن الفيل هو أول من قام بالـ Snorkeling التنفس تحت الماء.

ومن أجسام الأسماك التي تحتوي على بالون يملأ ويفرغ الهواء، ومن انسيابية ورشاقة هيكلها.. صنعتم الغوصات.. وهندسة الطيران من الحشرات.. واستراتيجية التحليق الرأسية من الطيور، والأفقية من الحشرات، وتفريغ الهواء من الذباب.

وتلك الحشرة التي تُدعى «اليراعة» التي استعان بها خبراء الطيران

الهليكوبتر لتطوير طياراتهم.. إذ تستطيع الوقوف في الهواء والإنعطاف بسرعة كبيرة وزوايا صغيرة.. والطيران عمودياً، بل والطيران إلى الخلف، كما أنها تقوم بتحريك زوج أجنحتها بالتناوب مع الزوج الأخر!

ومن درع السلحفاة كانت دباباتكم.

وإلى العلم الحديث فمن نهج الخفافيش صنعتم الردار.. وتلقيح الأجنَّة في قوارير أو ما تطلقون عليه «أطفال الأنابيب»، فهذا سلو كثير من الحيوانات كالضفدع، بل وتحديد النوع كما هو في النحل!

وإلى الهندسة الوراثية وما علمتكم أصغر كائناتنا «الفيروس» فهو يقص من جينكم ويضع جينه.. ثم يتكاثر، وهذا ما تفعلوه في البكتيريا!

أخبرني ما الفرق بيننا وبينكم

نحن أصناف مُصنَّفة تعرف باسمها.. نحيا كما تحيون، ونموت كما تموتوا، ونبعث ونحاسب، نطلب الطعام والشراب فنسعي ونطلب رزقنا، ونتوقي المهالك.. فنأكل ونشرب وننام.. نمشي ونقفز ونطير.. نلعب ونجري.. نعمل فنتقن.. نحزن ونفرح.

فمنا من يأكل الطيب والآخر يأكل الخبيث ومنا من يأكل ما يقابله.. بعضنا يأذي من أذاه، وآخر يؤذي من لا يؤذيه أو يخشى من يؤذيه، ومنهم من لا ينسي الإساءة وآخر لا يذكرها ولا يلقي لها بالاً وبعضهم على عِلم ومعرفة بما لا تعرفه أنت، وغيره لا يعرف شيئاً وبعضهم يقبل التعليم وبسرعة، وآخر يطول في ذلك، ولا يقبل ذلك بحال.

والنمل يضرب مثلاً رائعاً في التعاون.. فـ بمكالمة تليفون واحدة تراه اصطفَّ في خط أسود.. يتشابك في جسر يحمل عليه فريسته، ولا تُلهيه ملذات الدنيا وسكاكرها عن هدفه.

والقط لا ينسي معروفاً.. والحمار يحنّ لموطنه.. والكلب لا يخون.

ومنا من يدرك مكامن الخطر ومواطن المنفعة، ويعيش في مجتمعات ويتقاسم الوظائف، بل ويتخصص فيها، وفي نفس الوقت يحتفظ كلٌّ بـ حُريته.. فيترك مستعمرته إذا اشتدت الظروف وقَسَت، ويلتفّ بـ لحافه الخاص حتى تهدأ العاصفة، وقد تستمر غيبوبته سنوات.. كل هذا وهو وحيد الخلية.

ومنا من يعرف كيف ومتي وأين يقطع حبله السري، ويميز الصالح من الطالح من أبنائه داخل بيضه، فيقلب بيضه حتى لا يلتصق جنينه بالقشرة، فيضرب الجنين في أسفل منتصف الهدف بمنقاره في أضعف مكان في القشرة!

ما الفرق إذاً؟

هيكلنا العظمي واحد، الذراع في القرد هو الجناح في الخفاش هو الزُعنف في السمكة.. كل عظمة تناظر أختها وكذلك الإنسان، حتى الزرافة فعدد فقرات رقبتها الطويلة ٧ والقنفذ مقصوف الرقبة ٧ وأنت ٧، وتخميسة الأصابع في الضفدع والقرد والسحلية وكَفك.

والقلب واحد بِدءاً من الحمامة والأرنب إلى الحصان والحمار ثم إليك.. بنفس خريطة توزيع شرايينك، ونفس استراتيجية الجهاز الهضمي من بلعومه إلى الإثني عشر والجهاز العضلي، فالكل كان صاحب أربع حتى

الثعبان والطيور والأسماك، ولكن تحوّرت لتلائم وظائفها وغيره من أجهزة التنفس والكليتين وحتى العصبي.

فنحن نتعلّم مثلكم ونفكّر ونشعر ونتطوّر ونتكيّف.

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

واسأل جدودك الدراونة!

ألم تقل أن الثعبان كانت لديه أرجل ولكنه لم يعد بحاجة إليها بعد أن تكيّفت عضلاته على الزحف؟

ألم تقل أيضاً أن الحوت.. ذلك الديناصور الذي كان ومازال من الثدييات، كان يعيش على الأرض ومنذ أن اختبئ في الماء فاختفت معه أرجله وظهرت زعانفه.. وزحفت أنفه من وجهه إلى أعلى رأسه.. وانحسر شعره فلم يبقى منه سوى شنب

أليس هذا هو الـ Upgrading!

ولكن البقاء ليس للأقوى، والبقاء ليس للأصلح، ولا للأجمل.. ولكن البقاء لله!

- ماشاء الله.. قرد حكيم، شطوور.

= كم أنت مغرور أيها الإنسان!

تنظر إلى نفسك وكأنك مركز الكون وهو يدور حولك..

بل أنت الشمس نفسها وتدور حولك الكواكب، وأن النجوم هي فوانيسك في السماء تضيء لك طريقك.

وأن بهائم الأرض مخلوقة لتركبها فقط، والزهور خُلقت لتقطفها وتصنع منها بوكيها، تهديه لمن تحب لتبلي في يومين، أو تصنع منه ريحاً، فـ تتغندر به على خلق الله.

وأن الورود قصدتك أنت لتعيش على بلكونتك.. لتصطبح على عيونك وكأنها هي التي تشتَمُّ أنفك كل صباح.

ودود الأرض ينظر في ساعته منتظراً اللحظة حتى تأتي، وتأخذه طُعماً تقدِّمه للسمك، فتصيد به ما تشاء من سمكٍ قد طال انتظاره - هو أيضاً- قلقاً ليُشوى ويُفرَّق عن عائلته.. لتخرجه من محيطه وتضعه في حوضك وتتزين به غرفتك، أو حوض في مطبخك تتزين به سفرتك فتتظفر به يداك، وتُشبع به معدتك، وتُرضي به كِرشك.. فلا يَرضي.

وأن الغِزلان تترقب صوت بندقيتك لتعلم أنه قد حان وقت نَيل الشهادة.. فتأخذ دماءها مِسكاً في جيبك، ليس هذا فحسب بل أن الذهب يتلألأ الدمع في عينيه، فقد تأخرت في تصويغه ليتكوم في دولابك، وتزغلل به عين الناظرين، أو ترميه على طاولة قمارك.

والعنب قد تنازل عن عرائشه ليأتي تحت قدميك.. فتهرسه وتخمِّره.. فتُحيله إلى معصية بعد أن كان يسبح الله.

وأن الأرض بسطحها وبطنها.. تجود بمعادنها جميعاً لتلبية حاجتك، بل وأن الذرّة بنواتها تركت أفلاكها ومساراتها ونسيت مشاغلها، لتنشطر فتنفجر كقنبلة تقتل بها نفسك.

والأعشاب ترعرعتك لسيادتك.. تخرج منها سمومك ومخدراتك..

فتتمـزّج بهـا لوهلة وتمرض بها عمـراً، فتأتي بذويها من الأعشـاب.. لتخرج مضادات سمومك وذنوبك، لتتداوى بها.

ثم مِن تكبُّرك وتعظّمك في نفسك إلى نُكتة أخرى وهي تعظيمك للمكان الـذي تعيش فيـه.. فتتلاعب بك الظنـون إلى أن الأرض هي المركز والكون من شـمس ونجوم وأفلاك تدور من حولهـا، وحولك طبعاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولكـن أنـت.. وبنفسـك وبأيديك الكريمتـين مَن صنعت التليسـكوب لتتلصـص به على غيرك من مجرتك ومجرات أخرى، وهنا جاءت الصفعة التي أسقطت التاج من فوق رأسك الملك، وسقطت معه هيبته.

فـإذا كانت الأرض سـقطت من مركزهـا، وتبين له أنها تابعـه من توابع الشـمس وليسـت بمفردها، فمعها غيرها من الكواكـب.. طائعين لها وتحت أمر جاذبيتها، بل أن الشـمس بجلالة قدرها مجرد شمس وسط شموس ضمن مجموعـة في منظومـة مـن النجوم ضمن مجـرة بها أكثر مـن ١٠٠ ألف مليون نجم.

ومـن ثـم فـ مجرتنا تلك مـا هي إلا تابعـة أيضاً ضمن مجـرات أخرى، في عناقيد أخرى تحتوي على أعداد من مجرات والكون نفسه يقع داخل أكوان أخرى.

فإذا كانت الأرض بـ شـحمها ولحمها، بحارها وأنهارها، جبالها وسـمائها مجرد ذرة في متاهة في ذلك الصندوق الأسود.

ولم يتركه العلم وشأنه.. فأخذ يشـير بـكل أصابعه، ويقـدم كل أدلته

وبراهينـه إلى وجود حياة على كواكب أخـرى بل نجوم أخرى.. بل في كل مكان..

فاكتشـف كواكب شـبيهة الأرض في جوها وغلافها وأكسجينها ومائها واعتـدال حرارتهـا وأخذ يسرح بخيالـه لوجود بشر في أماكـن أخرى، بل كائنـات أخرى في أماكن أخرى.. ولعلها مخلوقات من نوع أخر؛ نورانية أو إلكترونية أو آيونية.. ومع وجود الأطباق الطائرة والمراكب الفضائية.. أخذ يضع الإحتمالات ويضرب في اللانهائيات.

ولسـتُ كـ الإنسـان لـ أذكر القوي وأهمل الضعيف.. وأنشـغل بالكبير وأنسي الصغير.

فإذا كانت الأرض حبة رمل.. فـ بداخل حبة الرمل تلك.. أفلاك مصغرة من الذرات تشبه في تكوينها أفلاك الكون فـ بالذرة نواة هي شمسها وحولها إلكترونـات كالكواكـب تدور حولها.. وليسـت بتلـك البسـاطة، فالنواة مكونة من أجسـام أخرى بروتونية ونيترونية ومزونية.. موجبات وسوالب وكلاهما.

وإذا تحدثـت عن «أعيَل» من فينـا وأصغرهم حجماً وسِـناً «الفيروس» فحـدِّث ولا حرج، فهو قادر على سـحق «أرجَل» مـن فيكم.. فما يكاد يقع على خلية حتى يغرس مخالبه ويحقنها بسوائله.. فـ يتفيروس كل ما فيها.

وسـأنزل إلى مسـتوى أقل.. وهو الجماد، حيث الذرة وحيث النظام.. فلا يتعـدى إلكترون على آخر، ولا يشـذُّ عن فلك نواتـه وجاذبيتها ذلك المعمار الفني الهندسي الذي يُشبه منظومة شمسية.. بداخله نبض وحركة، بل حركة هادفة نحو التشبُّع والتوازن.

أخبرني أين اللا عقل في ذلك؟!

دعـني أجيـب أنا بما يفقـد العقول.. ففـي غضون مليون سـنة فقط، جئت فتقدمت فاسـتحدثت فأفسـدت بالكبريت والديناميت والأزوت والمازوت، اكتشـفت الذرّة.. ففجرتها، واكتشـفت مبيد الحشرات الضـارة.. فماتت معها النافعة، ومات معها النمل والنحل، وتلوث العسل والبصل.. ولم تُبقِ على شيء.

فمرِضَت البهائم ومرضت أسـماك المـاء وطيور السـماء، ومرِضْتُ أنت فأصبحـت تمشي تـوزع الموت على خلق الله وتقول «مـوت للبيع» وغدوت تشـكو ها هنا وها هنـاك من كَبِدك وكِليتك ورقبتك وفخدتك.. ومسـكت قلبك وهرولت لشيخوختك في الثلاثين وحِلت الأرض إلى جراجك الكبير.. خلّاط البنزين والسولار وسرطانات الرئة والبلعوم.

ثـم وقفت لتفكّـر ماذا تبقى من صحتك.. فـ نمتُ ترضع من سـيجارتك، وتـمُـصّ فِلـترك، وتبصق فـ تسـعل فـ تقيئ، وتسـترح ما بين ذلك بسـيجارة أخرى.

وفي إحـدى ليالي الصيـف الصاخبة.. بين نوبات صداعك المزمن وسـط كلاكسات وموتورات الموتسيكلات والميكروفونات، رفعت عينك وطلبت لحظـة هـدوء.. وما أهـدأ من هذا السـواد إلا سـواد آخر.. سـواد الفضاء، فـ طِرت لتُكمِل مَسيرتك، وتوزع فائض فضالاتك.

فما لبثت أن خرمت أوزونك منطلقاً إلى النجوم.. تحيطها بأطباق التلصص والتجسـس، وتتعثر في أقمارك الصناعية.. وملأت فراغ الكون بـ لِعَبك حتى أفسـدت العلاقات بين الكواكب، وقربت المسافات بينك وبينها، وباعدت بين أقرانك على نفس الكوكب.

وما زلـت تلهو.. فتلاعبت بأثاثات الطبيعـة، وأنزلت أمطارك الحمضية، وصنعت زلازلك وبراكينك وخلقت شـمس إحتباسك الحراري، وزدت من منسوب المياه.. فلعبت بجميع المعادلات المحسوبة!

وآخـر الأمر وليـس آخراً.. تلوثـك الأخلاقي.. ذلك التلـوث «المِكس» مـن ضجيج كلماتك العاريـة وكوابيس المنظر التي تتزاحـم بيننا حتى تنام في أحضاننا.. فتحنو على كلب سـاقه مكسـورة، وتقتل ملايين الأطفال، أيها المخبول!

حتى الفضلات..

الفضلات التي نخرجها نحن الحيوانات يستخدمها النبات كـ سماد وغذاء نافع مفيد، وفضلات النَفَس من ثاني أكسـيد الكربون، يستخدمها النبات في التمثيل الضوئي.. وأيضاً فضلات النبات نتنفسها نحن وأنتم البشر.

أما أنت يا إنسان.. فبالرغم من عِلمك وعقلك، تلقي بفضلاتك الكيميائية في المياه.. فتقتل جيراننا من الأسـماك، وتقتلنا، ثم تقتل نفسـك.. وفضلاتك الجسـدية أيضاً، وتنسى أنه بذلك أنت تُكمل دورة حياة ديدان كالبلهارسيا، التي ستقتلك فيما بعد.

وبغبارك لوّثت غلافنا وفضاءنا، ولم تكتفي بهذا، فلم ترحم ولم تترك من يرحم.. فأنت تلوث وتقضي على من ينظف من ورائك ،، فلم تسلم الأشجار منك، فتقطع بمعدل ١٠٠٠ كيلومتر مربع.

ونسِيَ الإنسـان أنـه حلقة من حلقـات الكون المتـوازن.. وزادته أهمية حلقته نسياناً.

فإن كانت بكتيريا الأرض وديدانها تتغذى على نيتروجين التربة بالتبادل مع النباتات، وتأتي الحشرات للتغذي على النبات، ومن ثم الضفادع وغيرها من الزواحف تلتهم الحشرات.. فتأتي الأُسُود ومن ورائها حاشيتها وماشيتها لتأكل الحشرات في النبات في الزواحف في الحيوانات.. فتأتي أنت باختصار لتأكل كل هذا بوصفاتك وشهيتك، وبعد أن تشبع منها تعود إلى طين الأرض وبكتيريتها وديدانها.. فتأكل هي منك وتشبع، لتُغلق الحلقة مجدداً.

فإذا حاولت التخلص من الحشرات وهي حلقة من حلقات الدائرة.. فلن تجد الزواحف ما تأكل وكذلك الأبقار وكذلك أنا وأنت.

ونسيت أن الحياة كالعِقد.. وأنت حلقة فيه، فإذا انكسرت حلقة - كبيرة أو صغيرة - انفرط عقد الحياة كله!

وإن كنا نقتل.. فالحيوان معذور، يقتل لـ يأكل، على قدر مَعِدَته لـ يَسدّ جوعه، فلا يقتل القطيع كله، ولا يقتل شعوب وهو شبعان فـ قتلُنا يختلف عن قتلكم، وحروبنا تختلف عن حروبكم، حتى حروبنا الكيميائية التي يشنُّها الزنبور على فريسته ليخدرها ويحفظها على بيضه.. لحين يخرج صغاره فيجدوا ما يأكلوه.

فهذا ليس قتلاً وإنما إنسانية حيوان.

أما أنت فتصطاد الدب أمام أمه، لترتدي جلده كمعطف من الفرو.. وكلب البحر الذي يخبئ صغاره في أعالي الصخور.. فتذهب أنت هناك لتهدي جلده جواكيت لسيداتك.

أنت أصغرنا سناً.. ألم تأتي أنت في نهاية شجرة العائلة.. فتلك الحشرة

عُمرها يزيد عن ٥٠ مليون سنة، وتلك الطُحلبة أكثر من ٣٠٠ مليون سنة.. وأنت عُمرك مليون سنة!

فاعترف كما اعترف جدودك.

ألم يقل أحدكم ويُقرّ بشهادة الحفريات أن أصلنا خلية واحدة بسيطة؟!

فمن وحيدة الخلية إلى الرخويات ثم القشريات، ومن اللافقرية إلى الفقرية، ومن بكتيريا لـ طحلب، ومن فطر إلى زهريات، ومن بروتوزوا لاسفنج لديدان وعناكب إلى ذويها من الحشرات ثم أسماك وضفادع وسلاحف ثم طيور وأخيراً الثدييات وأعلاهم الشمبانزي.

ثم جئت أنت أيها الإنسان.

إن التراب مكوّن من ١٦ عنصر هم نفس العناصر التي تُكوّنك أنت يا إنسان.. فلا تُنكر أصلك!

بل إن الله عظّم الجماد.. في الشيء الذي تفعله مرة واحدة في حياتك «الحج»، وتطوف حول جماد، وتقبّل جماد الحجَر الأسود.

فمنه تأتي وإليه تعود ومنه تبعث.. فلماذا التكبُّر والغرور!

﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣].

هيا اخبرني ما الفرق بيني وبينك؟ ما الفرق بين الإنسان والحيوان؟

اعتذار لجميع الحيوانات

فالحيوان ليس شتيمة أو مَسبّة، وليس رمزاً للشهوة، وانتهاك الحقوق ليس من سمات «العايش في الغابة»، فـ للغابة قانون تحترمه الحيوانات ..

فلا نرى حيوان يُثار إلا في موسم تزاوجه، وبهدف التكاثر.. فهي وسيلة وليست غاية، ولم نسمع عن فيل أعتدى على فيل أصغر منه سناً، ولا عن أسد أهان شيخ الأسود الأكبر سناً ولم نسمع عن خنزير أكل مال يتيم، ولا قرد يشرب الخمر والمخدرات، ولا عن طاووس إرهابي.

أما الإنسان فحدِّث ولا حرج!

هل أصبحنا طرزان؟!.. هل أنا انسان أم حيوان؟! هل كنت إنساناً وتحوّلت قرداً؟! أم كنت قرداً واتسخطت إنساناً؟!

من فينا يقف في القفص لنتأمل فيه؟ من فينا المهم صاحب الشأن حتى نقف أمامه في صمت؟!

مَن المميز حتى نحافظ عليه! فالقرود جميعها تشبه بعضها البعض!

القرد! يعطيني درساً من وراء قفص! ولكن قفص مَن؟!

مَن في قفص مَن؟ ومَن يتأمل مَن؟!

القرد في قفص الحديقة وأنا أتأمله؟ وماذا أتأمل؟!

أم أنا في قفص الدنيا وجئت ليتأملني.. ويعطيني درساً؟!

القرد على حق.. ويجب أن أكتشف الحقيقة.

لوغاريتمات

- شيبس.. ايه المكان ده؟!

= هنا الحقيقة

- أنا شايف نوعين من «الأنابيب».. أنابيب حمراء وأنابيب زرقاء، وبينهم وصلات صغيرة.. شيبس، ما امتداد هذه الأنابيب؟

= امتدادها ١٠٠ ألف كيلو متر أي أطول من المسافة بين القاهرة والخرطوم، وهي أكثر متانة من الحديد، وصلابة من الكروم، ومرونة أكثر من الكاوتش.

لاحظ سيدي أن الأنابيب الحمراء أكثر سُمكاً ومُرونة، وذلك لتحمُّل الضغط الأعلى، أما الزرقاء فمزودة بصمامات وذلك لإجبار السائل على السير في اتجاه واحد ٤٠٠٠ مرة في اليوم.

- ايه؟! ليه! سائل ايه ده؟

= هذا «السائل» هو وقود جميع الأجهزة الموجودة في هذا البناء، وكما ترى سيدي هذا «الأسطول الأحمر» يحمل الغذاء والمؤن اللازمة.. وهذه مراكب الأكسجين، وهذا الجيش من العساكر يقوم بدورات يومية

ويُسمَّي «الأسطول الأبيض»، مُزوَّد بكارت ميموري يتذكر به الأعداء، فهو يقضي عليها ثاني مرة أسرع من أول مرة.. وهذا «الأسطول الأصفر» أسطول الأطباء يلحِم الجراح الناتجة عن الحرب.

- ايه الحنفية ديه؟ مكتوب «اضغط هنا».. ايه ده؟

= هذه نقطة من هذا السائل.. يوجد بها ٢٥٠ مليون عامل من الأسطول الأحمر، ١٣ مليون طبيب من الأسطول الأصفر، و٣٧٥ جنديٍ من الأسطول الأبيض.

- في نقطة واحدة! ليه؟!.. حاسب.. انفجاااار

= لا تقلق.. فهذه وظيفة أطباء الفريق الأصفر سوف يتم إصلاحه في ٤ دقائق!

- ايه الصوت ده؟

= هذا صوت «الموتور» الذي يضخ السائل في هذه الأنابيب بمعدل ٧٢٠٠ لتر في اليوم، وزن الموتور ربع كيلو فقط! وهو يضرب في الدقيقة ٧٠ مرة! فيصِل السائل إلى أعلى المبنى في ٨ ثواني، وإلى أسفله في ١٨ ثانية! وهذا وهو في مستواه الأول من الطاقة.

تلك الضربة تستطيع رفع وزن ٦ كيلو لمسافة ١ متر! طاقة هذا الموتور كافية لرفع رجل ٥ طوابق داخل مصعد! وطاقة موتورين كافية لتدوير شاحنة لمدة يوم حول العالم!

- ليه يا عم.. موتور ايه ده؟!!

= هـذا الموتور الصغير مكوّن من ٤ غرف؛ غرفتين على اليمين واثنين على اليسـار وبينهم «تروس» لتوجيه السـائل في اتجاه واحـد، وذلك لأن الغرف على اليسـار تضخ الوقود لجميع أجهزة هذا المبنى وأما اليمين فيستقبل الوقود المستهلك ويعيد تدويره هنا.

- هنا فين؟!

= جهاز «الإسـفنجي» يشـبه السـفنجة في شـكله ووظيفته.. فهو يفلتر الوقود المستهلك فيصبح نظيفاً قابل للاستخدام مرة أخرى، ويطرد الفضلات في أنابيب الهواء، فتخرج من ذلك الشـكمان إلى الخارج بمعدَّل ٢٥ ألف مرة في اليوم!

و تلـك الأنابيب مكونة من ٦٠٠ مليون حويصلة وهي تسـاوي ٩٤ متراً أي طول ملعب تنس!

- والطاقة دي كلها بتيجي منين؟

= من هنا سيدي.. هذه الغرفة.. غرفة المطحنة، تفضَّل ولكن احذر!، فهذه الغرفة مزوَّدة بـ ٣٢ سـكين تنقسـم إلى قواطع ومطاحن وبها مضخات تفرز حوالي لتر ونص في اليوم، لتسهيل عملية الطحن.. وهذا المضرب للتقليب.

ثم ترسـل المنتج المطحون إلى «الخلاط» وهو مزوَّد بـ ٣٥ مليون مضخة، ثم إلى مواسـير الصرف، وهي مُتصلة بالأنابيب الحمراء والزرقاء عن طريق شـفّاطات.. تشـفط بهـا الغذاء والمـؤن إلى الأسـطول الأحمر، ثـم إلى ذلك الفلتر.

- وده ايه ده كمان؟!

= «الفلتر» ينقي السائل ويفلتره ثم يخرج الفضلات إلى المجاري ومواسير الصرف بمعدل ١,٥ لتر في الدقيقة، أي السائل كله في ٤ دقائق! كما أن الفلتر مكوّن من وعاء يشبه الفنجان مُتصل بـ ٢ مليون أنبوب تصُب في خزان، ثم إلى المجاري إلى الخارج للتخلص منه.

- شيبس كلمني عن الحماية!

= ذلك المبنى مغطي بالكامل بـ «مشمّع» Water proof لا يسمح بدخول ماء للمبنى.. ولكن يسمح بخروجه عن طريق فتحات التهوية «التكييف المركزي». فـ في كل ١ سم ٧٠٠ فتحة تهوية! أي ١٥ مليون وحدة تكييف في ذلك المبنى متصلة بـ ٦٥٠ مليون سلك كهرباء!

كما أن هذا البناء قائم على ٢٠٦ «عامود» أقوى من الحديد، وأصلب جزء فيه هو أخف جزء! وتلك العواميد مُسلّحة بـ ٦٠٠ «ترسانة» للحركة تدور على ١٠ مليون تروس صغيرة، وتلك التروس تعمل كروح الفريق.. وبين الـ ٢٠٦ عامود يوجد ٢٣٠ مِفصَل، بين كل مفصل وآخر مخدات وأربطة لتسهيل حركة المبنى.. فمجهود هذا المبنى يساوي رفع ٢٠ طن!

- دي بقى «كاميرا»!

= نعم سيدي ولكنها ليست كأي كاميرا.. فهي تلتقط الصورة في جزء من ألف في الثانية.. أي ١٠٠٠ صورة في الثانية، ويمكن أن تميز ٢ مليون لون، وهي متصلة بمليون سلك كهرباء!

كما أنها تعكس الصورة مقلوبة على تلك الشاشة في الخلف، ومع وجود كاميرتين على تلك المسافة المناسبة، فذلك يعطيها الصورة الثلاثية الأبعاد،

ومـزودة بعدسـة وخاصية الــAutofocus للتركيز على الهـدف مهما بعُد أو قرُب.

-ممممم، عشان كده كل الحماية دي؟!

= أجل سيدي.. فكما ترى وُضعت في حجرة حتى لا يظهر منها إلا الثُلث الأمامي فقط.. ليس فـ حسـب بل أن هذا الثُلث مغطي بهاتين "المسّاحتين" اللتان تنظفان العدسة مرة كل ٣ ثواني، بعد أن يتم رشها بطبقة من الماء.

- بس كده المساحات دي اللي بتقفل وتفتح كل شوية هتأثر على الصورة وكفاءة الكاميرا!؟

= لا سيدي.. فمع تلك السرعة المذهلة للكاميرا وسرعة المساحات أيضاً، فليس هناك مشـكلة.. بل بالعكس، فإن حركة المسـاحات تزيد من كفاءة الكاميرا.. وذلك لأنها تُريح الكاميرا، فهي تغلق ٢٠ مرة في الدقيقة أي ١٠ ٪ (أي أن كل ١٠ ساعات.. ساعة راحة).

- وايه الجهاز ده؟

= هذا «ريسيفر» مركز استقبال الصوت.. أقدم الأجهزة وأولها في استلام وظيفتـه، كما أنه يظـل يَقِـظ طوال اليوم بـل طوال العمـر، وقدرته تزداد ليـلاً لتعويض تقصير الكاميرا وزيـادة القدرة على التمييز عـن بُعد أمّا هذا «القُمع» فيعمل على تجميع الأصوات وصبّها في تلك الأنبوبة لتصل بذبذبات معينـة عن طريق تلك الطبلة، ثم تلتقطها أسـلاك كهربائية.. ولديه القدرة علـى تمييـز ٢٠ ألف ذبذبة! كما أنه مـزوّد بـ Sensor يحتوي على سـائل عند الإهتزاز يعطي تقرير عن حالة توازن المبنى.

- بس إزاي الجهاز ده يستقبل الأصوات في الدوشة اللي جوه المبنى دي كلها؟!

= الجهاز معزول عن الداخل سيدي.. فـ وسط ضجيج الموتور وتزييق المفصلات واحتكاك التروس والشلالات داخل الأنابيب.. فهو يستقبل الأصوات من الخارج فقط.

- و«السلم» ده بيودي على فين؟

= إلى «غرفة الكنترول».. مركز التحكم في هذا المبنى كله، هذه الغرفة مُقسّمة إلى أكثر من ٢٠ مكتب.. كل مكتب متصل بجميع أجهزة هذا المبنى بأسلاك كهرباء يصل عددها إلى ١٢ مليار سِلك، وطولها يبلغ ٤٨٠ ألف كيلومتر! ويصل وزنها إلى ٢ كيلو جرام!

- وايه ده؟ «الكابل العمومي»؟!

= بالفعل.. يخرج من غرفة الكنترول يتفرع إلى أسلاك تصل لكل غرفة وأنبوبة وتوصيلة، وبينها سويتشات لتنظيم الكهرباء

- و..

= قبل أن تسأل.. هذه "القبة المعجزة" مكوّنة من ٢٢ عامود لحماية غرفة الكنترول.

- وعلى ايه كل ده ما يجيبوا جهاز كمبيوتر!

= لا.. هذا ظلم أن تقارنه بجهاز كمبيوتر! فـ..

- شيبس! أنا مش فاهم حاجة.. إحنا فين؟ وايه علاقة المكان ده بالحقيقة؟!

= سيدي نحن بداخل جسدك.

- جسد مين يا عم؟

= نحن بداخل جسد الإنسان.. تلك الأنابيب هي الأوعية الدموية، الحمراء شرايين والزرقاء أوردة، وسائل الوقود هو الدم، والأسطول الأحمر كرات الدم الحمراء، والأسطول الأبيض هو كرات الدم البيضاء، والأصفر هو البلازما.. أما الموتور هو القلب، وتروسه هي صمامات القلب، والجهاز الإسفنجي هو الرئتين، وغرفة المطحنة هي الفم والمضرب هو اللسان، توصل إلى الخلاط وهو المعدة ومنها إلى مواسير الصرف وهي الأمعاء الدقيقة والغليظة.

والفلتر هي الكِليتين، وغطاء المشمّع هو الجلد المزود بجهاز التكييف المركزي (فتحات العرق)، والعواميد القائم عليها المبنى هي العظام وعددها ٢٠٦ والترسانة المسلّحة هي العضلات، والكاميرا العين والمسّاحات هي الجفون، والريسيفر هو الأذن، والقُمع هو صوان الأذن، والسلم هو العمود الفقري الذي يحمي الكابل العمومي أو الحبل الشوكي الموصِّل إلى غرفة الكنترول وهي المخ.

انظر معي إلى كمية السباكة داخل جسمك.. مجموع المواسير داخل هذا المبنى، بما فيها من ملايين الوصلات والمجاري وأنابيب الهواء التي يجري فيها البول والدم ومخلّفات الهضم وعوادم التنفس.

انظر إلى ممرات الولادة بغرفها ودهاليزها، وخراطيم الليمف ومحطاتها.. أنابيب العرق والدموع والشحم والتزييت داخل الجفن.

تلـك الميزانيـة العنيفة التي تعيـش بداخلنا مئات السـنين دون أن ندري مـا بداخلنا.. دون أن تتلـف أو تصدأ، وإن أصابها التلف، أصلحت نفسـها بنفسها، وذلك التوازن المحسوب في الدم من صوديوم وبوتاسيوم ومن سكر وبروتـين وكوليسـتيرول وبولينـا، وفي قلوية الـدم وحموضة البـول ودرجة الحرارة وضغط الدم ونسـبة السكر ونبض القلب ومُعدَّل التنفُّس.. إلى نظام الإمتصـاص، ودودية الهضم ووحـدات الإخراج، ثم الإحـتراق داخل فرن الكبد، وتناغم الهرمونات والإنزيمات.

أي خلل في هذه النِسـب يؤدي إلى مرض شـكل، وأي تعطُّل في أنبوبة من الأنابيب، تترجم إلى صرخة مغص أو انسداد يؤدي إلى ذبحة.

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقـرة: ١٣٨].

(اقرأ الفصل من الأول تاني)

= ما تقارنـش المخ بالكمبيوتر.. لو جبت المـخ وطحنته إلى فتافيت.. لو جبـت فتفوتة مخ قد حباية رمل واحدة، هتلاقي فيها حوالي ١٠٠ ألف خلية عصبية وملايـين الألياف العصبية ومليارات الوصلات، وبالرغم من إن المخ مساحته أقل من ٢ ٪.. إلا إنه بيستهلك ٢٠ ٪ من الأكسجين.

عدد التوصيلات في المخ تسـاوي ١٠٠ ضعف كميـة التوصيلات في جميع أنحاء العالم وده يساوي ١ وجنبه ٩ مليون كيلومتر أصفار.. ومع ذلك يعمل بـ ٢٠ وات بينما يعمـل الكمبيوتر بـ ١٠٠٠ وات سـعة تخزين المخ تملأ ٣٠٠ مليون كراسة معلومات وبدون Upgrade.

في كل لحظة تتدفق شلالات من الإشعارات والرسائل العصبية من منافذ الحِس؛ الجلد والعين والأنف والأذن والأحشاء والقلب والأوعية الدموية والكبد والرئتين.. بالإضافة إلى خطوط الربط بين مراكز المخ نفسه، ويقابل كل ده خطوط زيها.. رايح جاي!

ده العين لوحدها فيها مليون و٥٠٠ ألف كاميرا أكتر من مجموع كاميرات استديوهات كوكب الأرض كله! وكل كاميرا لوحدها خارج منها سلك، وفي الآخر يتجمعوا كلهم في كَبل عصب بصري للعين واحدة!!!

كون عجيب ليه جغرافيته وتاريخه.. اسمه الإنسان.. أنا وأنت.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

لو جبت روبوت وبرمجته إنه يمشي الطريق ده ويلِف شمال ويفتح الباب ويدخل.. وجيت حطيت شنطة في طريقه، أو قطة عدِّت قدامه أو حطيت سهم على الباب.. كل شيء هيتغير والروبوت مش هيعرف يكمل طريقه.. الفكرة في التأقلم والتكيُّف، وده بغض النظر عن إن أنت اللي صنعت كل جزء فيه، وإن أنت اللي برمجته وعن الوقت اللي خدته عشان توصل للمخطوات دي.

وبالرغم من التقدم اللي وصلنا ليه.. أي روبوت أو كمبيوتر أو جهاز ميقدرش يؤدي أكتر من وظيفة مهما فاقت جودته، فقد تكون تلك الوظيفة «ذاكرة» تتمثل في إجراء معادلات رياضية معقدة في زمن لا يستغرق دقة قلب، ولكن ما زال لا يشعر بعناء الحساب، ولا يتذوق طعم الأرقام، ولا شَك الأخطاء واستحالتها.. وقد تكون الوظيفة البصر.. فتقتصر على التقاط الصور، ولكنه لا يلقي لها بالاً، فلا يتذوق جمالها ولا يدرك ماهية الصور.

هـي مجرد.. برمجـة.. وحدة إدخال و إخـراج.. لا تذوُّق، سـواء أن كان مادياً أو معنوياً.

فـ تشبيه المخ بالكمبيوتر.. يعني تشبيه الـ DVD بأنه يفهم ما يعرض من أفلام.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧].

المخ شـبه نُص الكنتالوب.. القشرة اللي بره هـي القشرة المخية، أما تحت القـشرة، اللحم مقسـوم فصـين.. اللي فيهم جميـع المراكز، قـدام: الوظايف العُليا من تفكير وتخطيط وشـخصية الإنسان، ووراء: مركز الإبصار، وعلى الجنبـين: مراكز السـمع والذاكرة.. ومـكان البِذر هو جِـذع المخ، والمهاد وتحت المهاد.. وده المايسـترو، أهم مراكز المخ لدرجـة إنهم كانوا فاكرين إن الـروح هنـا.. أما التجويف فــ ده يمثل الجهاز الحوفي، وده المسـئول عن الذاكرة والسلوك والإنفعالات والعواطف والمشاعر.

كل وظيفـة ليها جزء في حكومة المـخ، زي الحكومة الفعلية في أي بلد.. مستويات:

المستوى الأدنى.. هو مستوى العمل والخدمة العامة، والسيكرتارية وقلم الشطب والأرشيف، وظائف روتينية كالهضم والتنفس ورمشة العين وضقة القلب.. معلومات بدائية، مشـفرة ومبرمجة، ثم محفوظة وتُطبع أوتوماتيكياً.. ومسـتوى أعلى هو وزارة التخطيـط والتدبير والتفكير، ومـن فوقها حاكم يتأمل ويبتكر ويضع مخططات لكل ما هو جديد!

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

ومـن عجائب المخ إنه بيشـعر بالطـرف حتى بعد بتره، فيشـعر المريض أنــه قادر على تحريك ذراعــه والتصفيق.. والعكــس في مريض الجلطة فهو لا يشـعر بها فحسـب، بل أنه ينكر ذراعه ويقول هي ليسـت ملكي ويُقسم عـلى ذلك! وآخـرون يتجاهلـون نِصف جسـدهم.. فيحلـق الرجل نِصف لحيتـه الأيمن، ويرتدي كُم قميصه الأيمن وشرابه الأيمن ويأكل نِصف طبقه الأيمـن.. ويتجاهل النصف الأيسر تماماً.. وهي تُزيـِّن نِصف وجهها الأيسر ليس لأن «العبوة كانت صغيرة شوية» ولا لأنها لا تراه!

ومنهم مَن تصيب الجلطة زرار play في مركز اليوتيوب أي مركز الإبصار الحركي.. فيرى ما حوله مجرد صور متفرقة، ولا يرى حركة.

لأن هـذا المركز مثـل أفلام الكرتون.. فهو يجمع الصـور ويُضفي عليها جانب الحركة.

وفاقـد البـصر الذي يمـارس حياته بشـكل طبيعي، ويتحرك بسـهولة في أماكن لا يعرفها، ويستطيع أن يضع ظرفاً داخل صندوق البريد.

- عجيب! طب وايه لازمة فصين المخ وهم زي بعض؟

= لا مـش زي بعـض، الفص اليمين مسـئول عـن إدراك الأبعـاد الثلاثية والقـدرات الفراغية والهندسـة والخيـال.. وده أكثر تطـوراً في الرجل.. أما الفص الشـمال فهو مسـئول عن اللغـة والتعبير، وده أكثر في السـت.. فـلو افترضنا إن التفكير مَكتَب.. فـالرجل يضع كل وظيفة في درج منفصل.. أما المرأة فتسـتخدم سطح المكتب، وده يفسر القصور في الكلام عند الرجل في التعبير عن مشـاعره على عكس المرأة، كـما أن الرجل أكثر إتصالاً بالخارج أي مراكز الإبصار والسمع.. لكن المرأة أكثر إتصالاً بالداخل أي الإحساس

الداخلي، وهذا ما يجعل العواطف تتطغي على التحليل في التفكير، والتركيز على التفاصيل أكثر من الهدف العام، على عكس الرجل.

ولكن قدرات السمع، وحاسة الشم، والرؤية في الظلام واللمس والتذوق وتحمل الآلام أعلى في المرأة!

- أه، يعني الراجل بيفكر بعقله والست تفكر بقلبها؟

= لا.. في نوعين من العقل؛ العقل المنطقي التحليلي والعقل العاطفي الإنفعالي

- طيب.. طيب، ده الفرق بين الراجل والست.. أنا عايز الفرق بين الراجل والقرد!

= الفرق حَرف!

- حرف؟! إزاي؟!!

= القرد قالك إنه عنده عقل وقادر على التفكير والتطوُّر والتعلّم.. الفرق إن الإنسان قادر على التعقُّل والتفكُّر والتطوير والتعليم.

- لا واحدة واحدة بقى

= الإنسان قادر على توقُّع الأسوء والأفضل، وتقدير النتائج مُسبقاً وتصوُّر البدائل، ثم التخطيط لتحقيق الأفضل، باختصار التساؤل و الخيال وتحديد الـ long life goals وذلك بفضل حجم المخ الأكبر ٣ أضعاف، وتضخم القشرة المخية وذلك بسبب شريط الـ «دنا».

الذي يحتوي على ٣٠٠ ألف تيرا بايت! أي ٣٠٠ مليون جيجا.. وهو ما

يساوي ٣ وجنبها ١٣ صفر معلومة بالاضافة للتغيير في بِنيَة اليدين والقدمين، واستقامة الأصابع وطول إصبع الإبهام بالتناسب مع الأصابع الأخرى، وزيادة التحكم العصبي.

تيجي نجرّب؟

طِن الخشب أتقل ولا طِن الحديد[1]؟

- أنت هتشتغلني يا شيبس! قد بعض طبعاً.

= لا.. طن الخشب أتقل من الحديد، وده طبقاً لقانون أرشميدس إن عشان طن الخشب أكبر في الحجم، ده هيخليه يزيح كمية هواء أكتر من كمية الهواء اللي هيزيحا الحديد.

طيب عارف إن الأرض اللي واقف عليها دي بتطير بسرعة ٦٦٠٠ ميل، وبتلف بسرعة ١٠٠٠ ميل!

وإن حركة الشمس مُعقدة جداً.. فهي تتذبذب يمين وشمال في حركة دورانية كأنها إنسان بيجري بسرعة ٢١٧ كيلومتر في الثانية!

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨].

وإن الأرض مجرد حاجة من ضمن حاجات كتير بتلف في فقاعة الكون

---

(١) الحديد: لم يخرج من الأرض ولكنه نزل من السماء على شكل نيازك واصطدم بالأرض واستقر في بطنها.

﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٦] (باعتبار البسملة آية) وهو العدد الذري للحديد.

رقم السورة ٥٧ وهو الوزن الذري للحديد.

الـلي بتمدد كل ثانية، وإن الكون كله مُنحني زي البحر، والكواكب بتعوم فيه زي كِوَر بلاستيك في المياه.. الموج يرفعها وينزلها.

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠].

و لو اعتبرنا إن الكون كله صحراء.. فـ بعدد حبات الرمل نجوم.

وبعض الكواكب زي الزهرة يومها أطول من سـنتها.. يعني بتدور حول الشمس في ٢٢٥ يوم، وتدور حول نفسها في ١٤٣ يوماً! ونيبتون يومه نُص يوم الأرض وسنته ١٦٥ سنة أرضية!!

طيـب تعرف إن الأرض بتقع على التفاحة.. زي ما تفاحة نيوتن بتقع على الأرض، وده طبقاً لقانون نيوتن نفســه! بس عشـان الأرض أكبر من التفاحة بعدد غير متناهي ده يخلي المســافة اللي الأرض بتتحركها ضئيلة تكاد تساوي صفر، فـ مانحسش بيها.

وتعـرف إن إحنا نقدر نحرك كوكب الأرض من مكانه.. بس ده في حالة لو عرفنا نقطة ارتكازه ووقفنا على أرض تانية، وجبنا حديدة * طويلة يكون ذراعهـا الطويل أطول من القصير بـ ١٠٠ بليون بليون مرة.. نقدر نحركه في ١٣٠ ألف مليون سنة لمسافة ١ سم (طبقاً لقانون الروافع).

طيـب إحنا متفقين إن الأرض كـورة.. يعني ده معناه إن أنا لو وقفت على سطح القطب الشمالي وواحد تاني موازي ليا على الناحية التانية على القطب الجنوبي.. واقف برضه بس رجله تحت وراسه فوق!

- إزاي؟!

لـو جبت كورة ونملتـين.. نملة وقفت عـلى الكورة من فـوق، والنملة التانيـة وقفـت على الكورة بـس من تحت.. كـده النملة اللي فـوق رجلها تحـت وراسـها فوق عـادي.. لكن النملة اللي تحت راسـها تحـت ورجلها فـوق.. وممكن تُقع، يعني وإحنا قاعدين كده.. ممكن تكون راسـك تحت ورجلـك فـوق، أو العمارة كلها متشـقلبة! مش بس كده ده السـماء كلها تحت والأرض هي اللي فوق!

وهي فعلاً كده بالنسبة للواحد اللي واقف قصادك على الناحية التانية من الأرض!.. وهو بالنسبالك بردو راسه تحت ورجله فوق!

يعـني لو أنـت فضلت تحفـر في الأرض تحـت رجلك بطول قُطـر الكرة الأرضيـة.. هتفضل تحفر لحد ما تلاقي رِجـل واحد.. على الناحية التانية من الأرض.

- طب ليه أنا مش بحس بـ ده؟

= لمـا تجيب الكـورة دي وتعلّقها في صندوق ضلمة من جـوا، وكان جوا الكورة دي جاذبية.. النملة مش هتحس هي فوق ولا تحت، وده اللي بيحصل معانـا، يعني المؤشر بتاعنا هو الجاذبية.. عشـان كده لمـا تتطلع في الفضاء.. مفيش فوق من تحت!

ولـو طلعت القمر الـلي فوق الأرض ده.. ووقفت عليـه، تيجي تبص على الأرض.. تلاقيها فوق!!!

- الأرض فوق القمر؟

= أه، والقمـر فـوق الأرض.. لـو طلعـت الفضاء وبصيـت تحت.. مش

هتلاقي حاجة، كل حاجة فوق -بالنسبة لك- ولما الأرض تلف حول القمر وبالنسبالك تبقى تحت القمر.. ساعتها مش هتشوف الأرض أصلاً.

إلا لو حطيت خشبة تحت الكرة الأرضية.. أو حطيت الكرة الأرضية على ترابيزة.. ساعتها هيبقى ليك فوق من تحت، لأن هيبقى ليك مؤشر، لكن هي عايمة في فراغ أسود ملوش تحت من فوق.

- ايه ده!!!! ايه اللي أنت عملته ده؟

= أنا خدتك ومشيت على تلافيف مخك.. ودخلت في أخاديد وخبايا عقلك.

الموضوع مش بالبساطة دي!

إن عقلك يفوق كل هذه المتاهات، لأنه وسعها واحتواها في مداركه.. عقلك أدرك الكون.. إحنا فكّرنا فيه واكتشفناه، وحللناه، وتناقشنا فيه، ثم اعترضنا، فراجعناه، وحفظناه ففهمناه بعد أن تخيلناه.

و ده مش عشان عقلنا كبير! لأ، مخ الحوت أكبر، والكوليرا أصغر والذرة بتنسف جبل.

لـك أن تتخيل إن الـDNA بتاع البشر كلهم من سيدنا آدم لحد النهاردة لا يملأ فنجان قهوة!

إذاً العبارة ليست بالأحجام!

كورة الجيلي دي هي اللي اخترعت فنون وآداب الأرض، وشيِّدت حضارات الدهر.. هي اللي مليانة مواهب وخوارق.. استنتاجات وخيال.

داخل هذه الكتلة الهلامية.. يسكن الألم، وتنام الذكريات لم تُحذف منها لقطة، وتولد الإرادة وتتأهب اللذة.

قد يكون الكون كبيراً هائلاً.. ولكن له حدود.. مُتحيز في مكان، متزمن به.. له سقف وقاع!

ولكن أخبرني أنت! ما حدودك! إلى أي مدي تُحلِّق أجنحة خيالك؟

العقل هو أخطر شيء موجود على وجه الأرض.. فهو أقوى من العضلات وأصلب من الدبابات، فهو الذي فجّر قنبلته النووية وهو الذي أبطلها، وبينما العضلات تَسخَر من الميكروب.. العقول تُسخِّر الميكروب عبيد تنتج لها الإنسولين والأمبيسيلين وعائلات المضادات الحيوية.

تخيل ما يحدث إذا استطاع العلم أن يُخرج عقلك، ويوصله بأجهزة وحواسيب، ويستفيد بكل شِبر فيه، وطاقة كل خلية تكوّنه، واستطاع تسجيل عواطفك وخواطرك وأفكارك.. وتمكّن من تدوين مذاقات الذكريات وطعم الملوخية ودفئ الأنامل وملمس خصلة شعر وترنيمة صوت حنون وروائح الأحلام!

فالخيال هو بروجيكتور.. شاشة عرض داخلية لما يدور داخلك من مشاهد بصرية وخواطر سمعية وتمتمات كلامية وشِفرات رقمية وموجات لونية.

وإليك بعض الخوارق:

الأول: مولود بـ هارد ديسك داخل مخه.. قرأ أكثر من ١٢ ألف كتاب وحفظهم.. فهو يقرأ بمعدل ٨ صفحات في أقل من دقيقة، لأنه يقرأ صفحتين

مـع بعض في نفـس الوقت، العين اليمين تقرأ الصفحة اليمين والعين الشـمال تقرأ الصفحة الشمال، وبيفتكر حوالي ٩٨ ٪ من اللي قراه!!

والتاني: يستطيع إجراء من ٢٠ إلى ٣٠ عملية حسابية في الثانية! من أرقام مكونة من ٥٠٠٠ خانة بعد الفاصلة وتصل إلى أُس ٥٠!!

والآخـر يذكُر اليوم المقابل للأسـبوع في أي تاريخ تقول له.. لفترة تصل إلى ٢٢ ألف سنة قبل وبعد الميلاد!

والأخير يحفظ جميع نتائج كرة القدم، باليوم وأسـماء الفرق ومَن سـجَّل في جميع البطولات!

هنـاك عبقري نائـم بداخل كلٍ منا.. فـ شـيخوخة المخ لا تصيب إلا من توقف عن استخدامه!

فإن كان ليس من الممكن تغيير الماضي.. فمن الممكن أن تسبح بفكرك في الماضي والحاضر والمستقبل.

فقط فكِّر! في تجربة واحدة معينة.. متي وأين حدثت؟! ما شعورك؟

أيـن تنـام هـذه الذكريـات! وتسـتيقظ فجـأة مهرولـة إليـك عندمـا تستدعيها؟

والآن فكِّر في المستقبل!

أفـكارك عندهـا القـدرة على السـفر مـن مـكان إلى آخر مهـما طالت المسافات.. فأنت في منزلك تطير بعقلك إلى الصين وتحلُم بـ باريس.

يا لهذا العقل الذي يعمل وينشط منذ الصباح حتى المساء في وقت متأخر

مـن الليـل ويمنعك أن تنـام، ومن ثم لا يتوقـف عن الأحلام حتى يسـتيقظ فتُكمل تلك الحلقة الـمُفرغة.

- ويا ترى ايه أعجب شيء في العقل؟

- الأحـلام.. وما أدراك ما الأحلام! ولنا في الأحـلام خيال! ولنا في الخيال حياة!

فتجـد العقـل يسـمع دون أُذن ويـرى دون عين، ويشـعر دون مثيرات خارجية، ويشـم ما هو غير وجود ويمشي وأقدامنا نائمة.. ثم يجري ويتعب، فيطير ليحلق من هنا إلى هناك، فتحلم مرة أنك في لندن وأنت لم تزرها قط! وترى أشخاص لا تعرفها.

وكيـف نطوي أزماننا تحـت آباطنا.. فنأتي بلقطة مـن الحاضر على لحظة من المستقبل ونعصر عليهما من الماضي.. فنرى مشهدين في ذات الوقت حتى أنك تستطيع بعقلك أن تمسح كل معارفك وما تعلمته.. فتشعر لوهلة أن مخك «اتفرمت» ولا تذكر حتى معنى كلمة اسـمك، وهذا ما نشعر به في لحظة الـ Mental Block.

ولو سـألتني عن أخطر حاجـة ممكن تحصل في تاريـخ البشرية.. أقولك إن حـد يتحكم في أحلامه.. تخيل واحد يمد إيـده جوه مخه، يمد صوابعه بين تلافيـف مخه وينقّـي منها اللي هو عايـزه.. يمشي بصباعه كـده على شريط ذكرياته أو حبل أفكاره، كأنه بيختار كتاب من المكتبة يقراه.

فـ مرة يحلم إنه غني ولابس ومِتشـيِّك وحاجز أسـبوع في أفخم مكان في العـالم ويـدوق أحلى أكل في حياتـه ويحس بطعمه.. عـادي ويقوم راكب

طيارته.. لأ، طيارة ايه.. صاروخه.. وصاروخ ليه؟ يطير هو.. ويطير ليه؟!
هو مجرد يفكر بس يلاقي نفسه على الـمُشترى، يشتري منه كام حاجة كده
من غير فلوس لابنه اللي هيخلفه كمان كام ثانية.

ومع التكرار والخبرة.. يقدر بعد ما يصحى ينام تاني ويكمل حِلمه..
قصدي يكمل حياته.

تخيل! وصلنا لكده في يوم من الأيام.. وأنت داخل تنام.. هتحس بـ ايه؟
ولما تصحى هتحس بـ ايه؟ وتصحى ليه أصلاً؟

والحلم بالنسبالك أصبح واقع! وهو ايه الفرق بين الحلم والحقيقة؟!

اليقين؟ لا.. أنت بتبقى بتحلم وأنت كُلك يقين إن ده حقيقة.

الإحساس؟ لا بردو.

الدِقة؟ بالعكس.. وأنت نايم بتلغي كل المؤثرات من حوليك.. مفيش حاجة
واعية غير اللاوعي.. فبتقدر تشوف مساحة خيالك وقدرات عقلك الحقيقية.

الفرق الوحيد.. إن الحلم حلم.. بيفضل حلو لحد ما يخلص.

- طيب ما هو أي حاجة في الحياة كده.. يبقى ايه الفرق بين الحلم
والحياة؟

= الفرق مش في الزمن.. فـ الزمن شيء نسبي وإحنا عارفين

لما تصحي من حياتك.. هتحس نفس إحساس لما تفوق من حلمك..
بس الفرق إن الحياة هي الحلم الوحيد اللي تقدر تتحكم فيه.. وعشان كده
هتتحاسب عليه.

الحلم نعمة من ربنا.. ربنا خلقه ببلاش.. تحلم وأنت صاحي، وأنت نايم، تحلـم في أي وقت، أي مكان، وبدون حدود.. الغـني بيحلم والفقير بيحلم.. السليم بيحلم والعليل بيحلم.. والصحيح بيحلم والعاجز، والعجوز والجنين بيحلم.. آه، الجنين بيحلم! وكل ما كان حلمك ملوش سقف كل ما طموحك يزيد.

طب ما تيجي نحلم..

الحلم فكرة.. والفكرة لا تفنى ولا تسـتحدث من عدم.. ولكنها تنتقل من عقل إلى آخر.

الفكرة شجرة.. اسقيها تكبر.. انساها تموت.

الفكرة كالمطر.. ولكن تهطل من الأرض إلى السماء!

ثم إلى الذاكرة..

مما لا شك فيه أن ذاكرة الإنسان أكثر تطوراً منها في الحيوان.. وهذا يعود لحجم مخه وتطوُّر مراكزه المجاورة له وظيفةً وتشريحاً.

ولكن الإنتقال عبر الزمن لا يكون إلا في الإنسان.. ولا أقصد عبر آلة الزمن.. كما أنت عليه الآن، ولستُ أقصد العودة لاسترجاع أحداث مضت عليك أمس أو قبل أمس أو حتى قبل سنين، ولكن العودة بالزمن إلى الماضي السحيق والقدرة على تخيُّل ما كان قبل أن نكون.. قبل ميلادنا.. بل قبل ميلاد الكون.

فإذا أخبرت طفلك أنك كنت هنا في بطن أمك.. أثار ذلك ذهنه بتخيلاته التلقائية.. كيف كنت ألعب هنا؟ وكيف خرجت؟!

ولماذا أكلت أمي لعبتي؟ ولماذا أكلتني أنا؟!

ليس هذا فحسب، بل القدرة على تخيُّل المستقبل.. ماذا حدث غداً؟! وماذا بعد سنة؟ وماذا بعد الموت؟!!

وإذا عُدت فأخبرت طفلك.. ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر؟ سوف ترى شرارة ذهنه في عينه، وهو يخبرك أنه سيصبح طبيباً ليعالج تلك الواوا!

وأقول «طفلك» حتى تدرك أن تلك الخاصية ليست نِتاج ذكاء أو كِبَر سِن، ولكنها غريزة إنسانية.

فالخيال إنساني بحت بكل ما تحمل الكلمة من معنى، حاله حال السببية..

- النسبية تاني؟

= لا لا.. السببية، يكفي أن تجلس مع طفلك لتفهم السببية.. فـعن كمية الأسئلة التي ستنهال عليك حتى تنهره أنت بـ « كفاية أسئلة جالي صداع»، فيؤمن الطفل بعبارة « إذا عُرف السبب، بَطُلَ العجب «.. ويعلم تمام العلم أن الأجسام الثابتة لا تتحرك إلا إذا حركها شيء « قانون حفظ الطاقة».

فالطفل يرى أحسن مما نرى.. وبراءته هي أعمق من تفكيرنا.. لأنه يسأل أسئلة وجودية لا تخطر ببالنا، وهذا ما دفع أينشتاين.. كما يدفعنا إلى حب الاستطلاع والبحث.

والبحث ليس مقتصراً علينا.. فالنبات يبحث عن أكسجينه، والنمل يبحث عن خزينه، والنحل يبحث عن رحيقه، ولكن كما لاحظت فهو يبحث للضرورة والبقاء، ولكن نحن.. فنبحث لمجرد البحث، والاستزياد والمعرفة، وحب الجديد والاستطلاع.. فـصعود القمر ليس بضرورة للبقاء.

كما أن من سمات المجتمع الإنساني: التوقُّع.. وإن كانت الحيوانات تتوقع هجوم أو هروب غيرها من خلال جسده أو سلوكه.. ولكن التوقع في الإنسان أكثر عقلانية حتى يصل إلى خلق علوم في «قراءة الأفكار» و«لغة الجسد».

لا ننكر أن الحيوانات والطيور والحشرات والأسماك تتحاور وتُسبِّح.. ولها القدرة على التواصل.. وكلٌّ لديه لغته، والفرق يكمُن هنا في أن لغتنا نحن من اخترعناها، وليست غريزة فينا.. فـ لكل بلد لغتها، بل لكل شعب لهجته، ولكل طائفة لكنتها.. فـ القط يستطيع التواصل مع ابنه، ولكن لا يستطيع التفاهم مع الأسد.. وإن استطاع فلن يستطيع عَقد هدنة مع الفأر.

لكننا تواصلنا بجميع طوائفنا.. وشعوبنا.. بل مع الحيوانات.. وحتى الجماد سخَّرناه.. فـ لغة العصر حالياً هي لغة «إلكترونية» جامِدة - مِن الجماد -.

الفرق الثاني أننا تواصلنا عبر الزمن.. وأصبح تاريخنا كله واحد.. منذ آدم عليه السلام حتى يومنا هذا.. فترى الزمن تُطوى صفحاته في سطور بين أيدينا، ورأينا كيف سجَّل الفرعوني تاريخه، ليصل إلينا فيُخبرنا به.. وكيف سافر القرآن عبر الزمن!

ولإدراك تطورُّ اللغة.. ترقَّب الجنين.. كيف بدأ كلامه بحركات، ثم أصوات، ثم نطق حروف.. فـ كلمات ثم إلى تركيب عَبارات، حتى صار شكسبيراً!

وليس تطوُّر اللغة فقط..

ففي قديم الأزل كنا نعيش في غابات.. وتجري حولنا الفيلة والضباع والدببة والغزلان.. فـ كنا نـأكل مع حيواناتنا على سُفرة واحدة.. فنقضي نهارنا في نحت أفكار لصيد طعامنا، وفي الليل نخيط ثوب أخوافنا من أن نكون طعاماً لطعامنا.. فتارة نسكن الأشجار، وأخرى نأوى الكهوف، فنبيت وننام كالذئاب بعين وعين، لنستيقظ على حلم الإبتكار.. فمِن جلود الماعز كانت خيامنا، ومن أنياب الفيلة كانت خناجرنا، ومن عظامها أسلحة، ومن الشجر زينة.

حتى لمعت في أعيننا الحجارة.. فـ بِتنا سعداء بالسكاكين ورؤوس الحراب والرحايا.. فقد وصلنا لنهاية هذا العالم.. فنطهو طعامنا على نيران الحطب وشرارة الحجر، ونخزنه تحت الرمال.. فكان آخر صيحات العلم هو الفأس والمحراث، وزهو عصرنا هذا هو السهم والقوس.. فـ كانت كُليات القمة أنا ذاك هي الزراعة والتربية.. ولكن تربية الدواجن والمواشي، وكان أثرياء القوم وقتها من يملك كوخاً أو قصراً من الطين، أو إحدى مركبات الحمير!

ثم اهتدينا إلى البحر.. لنشُقَّه بأخشاب المراكب والسفن، ومِن لَعق الحجارة ونَهش اللحوم إلى جَذِّ الخشب، ثم صهر المعادن ..فـ سئمنا عمل اليدين و إتجهنا إلى عمل العقل.. فجاء عصر الراحة، فأصبحنا ننتج الطاقة التي تدير وتعمل بدلاً مِنّا.

فمن النار إلى الفحم، ومن الفحم إلى البترول والغاز الطبيعي، ثم إلى الكهرباء لتدير بلاداً وعالم بأكمله، ومنها إلى الطاقة النووية التي تدير وتدمِّر سياسات، حتى أصبح لكل منا أسانسير لشقة في عمارة، وتأتي إليك المياه طوعاً ،و النور سعياً في أنابيب وكبلات، لتضيء فيضيء معها عالمك.

فتجلس فتأكل الكاب كيك وترشف من قهوتك، وأذنك تسمع راديو مكان آخر وزمان غير الزمان.. وتُجيب أذنك الأخرى على هاتف من قارة مجاورة، ومن شُرفة تلفازك تنظر إلى ما تلتقطه أقمارك وستلايتاتك، وتُذيب ثلوج الطعام في الميكرو ويف، وتُخزِّن فائضك في ثلاجة، فتهبط من ناطحة سحابك ٢٠ دوراً في دقيقة أو نصفها.. لتركب ما صادفك اليوم من موديلات السيارات لتلحق ميعاد الطائرة.. فيوقفك الزحام لترد على من يذكِّرك بميعاد أقراص الفيتامين والمكملات الغذائية التي تحملها في جيبك.. فتشكو له همك وفقرك، لأن الغني يطير على طائرته الخاصة.

ورداً للجميل.. أصبحنا نُسكِن الحيوانات منازلنا بعد أن شاركناهم بيوتهم، وننام في أحضانها.

وسبب عدم ملاحظة هذا التحوُّل الجذري من طرزان لديفيد بيكهام هو التسلسل البطيء الذي حدث تدريجياً، ولكن الآن تراه خرافياً مدهشاً عندما تقرأه في صفحة واحدة!

إن عَقد المقارنة بين ساكن الكهوف صديق الحيوانات.. وبين مالك القصور أليف الحيوانات، يبدو خيالياً.. بل إن الفرق يبدو سحراً وشعوذة.. فـ بعد التنافس على تشققات اليدين، أصبحت تضع المونيكير والمرطبات، وبعد أن كانت الشفاه تعضُّ على الحجر، أصبحت تعضُّ على إصبع الروج، وجاء عصر «راحة» اليد و«عناء» الذهن.

وما زالت تلك الحيوانات على نهج جدودها تلهو وتلعب في الغابات.. والفرق أنها لم تجدنا حولها كما تعودت، وبعضها في الأقفاص، نذهب إليها

لنلقي التحية ونستعيد الذكريات، ونخرج هواتفنا لنلتقط «سيلفي» مع جيراننا ونخرج لهم ألسنتنا غيظاً لما وصلنا إليه في مليون سنة فقط.

فما زال القرد يقفز بين الأشجار دون أسانسير، وما زالت الطيور ترهق أجنحتها دون هيليكوبتر، وما زال النمل يخزن بدون ثلاجات، وما زال السنجاب بدون بنوك، وما زالت الفيلة تهرول لتلد وليدها في الماء بدون حضّانات ولا أطفال أنابيب، وما زالت الأشجار تُسجِّل ذكريات سنينها في دوائر جذعها.. بينما نحن نسجل الفيمتو ثانية صوتاً وصورة في جيوبنا، وما زالت الديدان تُفتِّش في الأرض.. بينما نحن نُفتِّش عن بديل الأرض وما زال العنكبوت ينسج شباكه الضعيفة، ويبني بيتاً وهو على علم بأنه أوهن البيوت.. بينما نحن نتوسع في شبكتنا الإنترنتية ونبني أقوى الحصون.

حتى تَجرَّدنا من جذورنا الحيوانية، وكِدنا أن ننسى أننا كنا نسبح في نفس المستنقع، وليس ببعيد على حفيد حفدة أحفادنا أن ينسى أصله وفصله وكوكبه.. وكأن هذا الماضي ليلة من حواديت ألف ليلة وليلة قد انسلخت من بين صفحاتها.

فـ كلانا يُولَد كالديدان، ثم نصنع شرانق وننطلق كفرشات ذوات أجنحة.. ولكننا نستطيع بعد أن ننضج أن نناقش الأديان والأسماء والكتب.. نستطيع أن نقول لا، فنحارب المرض والجهل والفقر.. فنغيِّر أذهاننا وأذهان من حولنا.. نستطيع أن نغيِّر الأرض.. بل نتركها ونجوب الفضاء وراء كواكب جديدة.. ونستطيع أن نبني ونهدم ما بنيناه لنبني آخر، ونأكل ونصوم.. ونشتهي ونمتنع.

فـ شلالات نياجرا ظلت تنحدر آلاف السنين تشرب منها الحيوانات..

حتى جاء رجل ووضع فيها عجلة، فأخرجت كهرباء وأضاءت المدينة والرياح ظلت تهب وتطير فيها الطيور.. حتى طوّعها الإنسان بمروحة أخرجت كهرباء وسيَّرها لسفنه، والأشجار ظلت تنمو.. حتى أشعل منها ناره ونوره للعالم.

نعم، النمل يبني بيوتاً ويسكن شقوق الحوائط، والحلزون يكِنُّ في قواقعه، والفَرَاش يقضي عطلاته في شرنقته.. فلا تزيد معرفتهم بالحياة عن تلك المليمترات، لكن الإنسان يعلم خبايا القواقع وتكوينها، ويدرك أن هذا الشق في ذاك الحائط، وأن الحائط في إحدى غرف الشقة رقم ٥ من بين شقق العمارة.. في شارع من الشوارع.. داخل حي من أحياء بنت المعز، القاهرة، عاصمة مصر.. التي يزيد عدد سكانها عن ٩٠ مليون.. تقع وسط ثلاث قرات، تدنو من مركز الكرة الأرضية.. التي هي بدورها تابعة لمنظومة شمسية في مجرة من ضمن مجرات تسبح في فقاعة الكون السوداء، ويعرف أن كل هذا في سماء الدنيا الأولى، وأن هناك سِت سماوات أخرى.

الإنسان هو الكتاب الجامع.. والكون صفحاته، طُويَت بين ذراعيه.

و أخلاقيات الإنسان مُفرقة على حِدي في العديد من الحيوانات.. فترى مَكره في الثعلب وصَبره في الجمل ونُبله في الحصان، ووفاءه في الكلب.. وفي شجاعة أسد، وفي لصوصية الطفيليات، وإجرام العنكبوت، وتنكُّر الحرابي وتخفِّي الخفافيش، وتغيُّر الثعابين ودَهاء الأفاعي.. وغناء العصافير وترانيم البلابل، وزهو الطواويس، وسعي النمل، وكرم عطاء النحل.

فـ السماء عقله.. والأرض أصله.

الإنسان في قمة هذه السلالة تفوّق عليها بقدرته الهائلة على التكيُّف،

وبفضل جهازه العصبي الراقي.. فلم ينتظر أن تتطور ذراعه ليصيد فريسته، ولكن بها صنع النصل والسهم والبندقية ليصيد ملكهم الأسد.. ولم ينتظر أن ينام فيستيقظ على صوت رفرفة جناحيه لكي يطير، وأخذ يجوب وراء النجوم في صواريخ.. ولم يمكث في سريره حتى تنمو خياشيمه ومجاديفه، فركب المحيطات في تيتانيك وغاص فيها بكبسولات.. ولم يحسب أيامه إنتظاراً للبيات الشتوي ليرى قبيلته، بل أخذ ينسج خيوط شبكته العنكبوتية «الإنترنت».

وكما زُودت أنف الجمل بالآلاف بصيلات الشعر.. فـ فتحات أجسامنا تحرُسها جيوش الخلايا وكمائن الحراسة ومكائد الليمف، لتواجه أعدائها من جراثيم وأتربة، ففي زحام الميكروبات وتلفُظ الفضلات وسيلان اللعاب وتهافُت الأنفس.. تلتئم الجروح.

وكما تصبغ السحلية لونها بلون الشجرة.. يصبغ الزنجي مظلة بشرته لتحميه من فرط أشعة الشمس، وكما يُبطِّن الحوت جلده بدهون تدفئه.. يختلف توزيع دهون الإسكيموز، وكما تفلطحت أوراق شجر الموز لتلقط ثاني أكسيد الكربون.. فأنف القوقازي يسمح له بشفط أكبر قدر ممكن من الأكسجين اللازم، وكما تتلون الفراشات بألوان الربيع.. تتلون عيوننا وتتجمل رسوماتها.

بالإضافة إلى كرم العطاء والإحتياطي الفائض من أجسامنا.. فـ لدينا ٧ أضعاف ما نحتاجه من الرئتين، والجلد الذي يتجدد إلى ما لا نهاية، ومصانع الدم التي تنتج ٦٠ مليون في الساعة، ومخزون الكالسيوم في العظام، ومن الحيوانات المنوية في الدفعة الواحدة ما يساوي شعب قارة بالكامل!

حتى أنه يمكن تلخيص ما يعيش به الإنسان في ورقة بقالة:

$^{1}/_{8}$ تُمن كبدة

$^{1}/_{4}$ رُبع رئة

$^{1}/_{3}$ تِلت كلية

½ نُص مخ

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

- ولكن لحظة! هل هذا هو الإنسان! شوية لحم على عضم.. خريطة شرايين وتفريعة أعصاب، مدفوس في نصها قلب، وفصين مخ.. محطوطين في شنطة جلد طبيعي؟!

هو ده الإنسان! مجرد فيديو كول! اللي بنشوفه في المراية، ونسمعه في تسجيل.. القابل للوزن والقياس؟!

مُقيَّد في هيكلي، محبوس في جلدي!

يعني لو جبت مخ إلكتروني وكاميرا ٦٠ ميجا بيكسل وراديو ورادار، وقلب بلاستيك ورئة سفنج.. وشوية لمبات على وصلات ودواير كهرباء، على كام ترانزيستور.. ورمتهم في هيكل ألاموتال متغطي بجلد كاوتش.. كده كونت بني آدم!

هل هذا إنسان؟ أم مجرد روبوت! لعبة بـ زمبلك!

= الكمبيوتر يقدر يحفظ المعلومات اللي هياخدها، ويجمع ويطرح، ولكن لن يبتكر ولن يخرج عن المألوف.

فـ ١ + ١ = ٢

فقط يفعل ما يُملي عليه!

والكاميرا سـوف تلتقط صور وبجودة عاليـة، ولكنها لن تتذوق جمالها ولن تفهم فحواها.. والقلب سيخفق، ولكنه لن ينبض بالحب والإحساس.

- إذاً مـا الذي يُفـرِّق هذا الكيـس الأبيض الطائف على المـاء.. عن هذا القنديـل الأبيض السـابح في الماء؟! ما الفرق بين الـدودة وحلوى الجيلي؟! ما الفرق بين الحصى والحِلبة الحصى؟!

مـا الفرق بـين اللعبة والبني آدم؟ مـا الذي يدير الزمبلـك، فتدبُّ الروح داخل الجسد؟!

= أيوة أيوة.. زي ما أنت قلت.. الروووووح.

الروح هي الزمبلك.. الفيشـة اللي بتطلـع كهرباء المخ الحقيقية اللي عن طريقها بتسـوق الجسم كله. هي من أمر ربي.. ذلك السر الإلهي الذي يدبُّ في الشـئ، فيُضفـي عليه جانـب الحياة، تلك « النفخة » من الله لكل جسـد منا.. ليتحول من دمية هامدة في علبتها.. إنساناً

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

هـي القدسـية التـي عظمت من شـأنه.. لتسـجد الملائكـة لآدم.. فـلم يسجدوا للطين، بل للروح.

﴿ سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجـر: ٢٩].. ونركـز على حرف الـ «فـ».

الـروح هي الطاقـة.. البطارية التي تدير الروبـوت.. فـ بفضلها يصبح لديك شخص وشخصية وخيال وضمير.. بفضلها تكون أنت «نفسك».

- لا ثواني معلش.. هو فيه فرق؟

= أكيـد طبعاً.. الفرق بين الروح والنفس، كالفرق بين السـماء والأرض حرفيـاً.. فـ الروح هي السـماء ومـن السـماء.. والنفس مـن الأرض وإلى الأرض.. فالروح من الله، والنفس منك.

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩].

فتسـعى الـروح لترتقي بنفسـك للمثل العليـا والكمال الربَّـاني، والترفُّع والقِيَـم.. أمـا النفـس فتنجـذب إلى طـين أرضها، مـن غرائزها وشـهواتها، فالروح تشـده إلى السـماء، والتراب يجذبه إلى الأرض.. وتبقى نفسـه مُعلَّقة مع أحلامه.

﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طـه: ١٥].. ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠].. ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة: ٣٠]..

﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الحديد: ١٤].. ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

فالنفس هي التي تموت.. وليس «روحه طلعت»!

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت: ٥٧]..

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ﴾ [البقـرة: ٧٢].. ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ﴾ [الإسراء: ٣٣]..

فتُبتلي النفوس وتُمتحن.. وتُبعث لتحاسب.. أما الروح فهي أمانة مستودعة مأجورة لفترة زمنية وجيزة.

﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ﴾ [يونس: ٣٠].. ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].. ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٥].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨].. ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ [ق: ٢١].. ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ [البقرة: ٤٨].

فـ النفس أمارة بالسوء إلا من رحم ربي، وهي مطمئنة في أحسن أحوالها إذا ما صادقت الروح، وهي ما بين ذلك وذاك.. لوّامة.

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].. ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر: ٢٧].. ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢].

وبين صراع النفس والروح.. نشأ الضمير.

إن الضمير هو «البوصلة» GPS يحدد الطريق الذي وصلت إليه نفسك بأخلاقها.

وهو الذي يرجّح كافة الميزان.. ميزان الروح والنفس.. فهو يجلو صدأ النفس لتَشِفّ نور الروح.

وقد تجلّى الضمير ليظهر في الحيوانات.. فترى في القطة شعورها بالذنب إذا سرقت، وترى وفاء الكلب وصَحو ضميره، وترى خجل الجمل وترفُّع الأسود.

ثم تجلّى في أشد صوره، عندما اشتكت مريضة بأن ذراعها اليسرى تخنُق «نفسها» وذراعها اليمنى تسعى لتنقذ «روحها» لتمسك باليسرى وتمنعها.

فهـذه هي الروح تحاول إنقاذ النفس من جسـدها.. ولكن الجسـد عبد النفس وطيّع لها.. فهي تحاول إنقاذ النفس من نفسها.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

- وما دليلك؟

= الألم! الألم النفسي هو أشـد أنواع الألم.. فقـد تضرب طفلاً بـ لُطف وتوَبِّـخه، فيبكي.. وقد تضربه بشدة مازحاً فيضحك.

الألم النفسي أشـد أنواع الألم.. فألم الضرس يذهب بمفعول المسكنات، وآلام العيون تداويها القطرات، وآلام الجلد تطفئها المرطبات، وآلام العظام تُسـكتها أقراص الكالسيوم، وآلام الكُلى تُذيبها الموجات الصوتية.. أما آلام النفس فلا تشفيها أجزخانات العِلم.. ولا تُروضّها عِقاقير الطب.

والدليل على أن النفس هي الإنسان، وليس جسده.. هي «قطع غيار البني آدمين اللي في السوق» وما يحدث من عمليات استبدال وزرع أعضاء.. وخلع وتركيب ديكورات

فالإنسـان يسـتطيع أن يعيش بقلب فبريكا، ويسـتبدل كِليـة بأخرى، ويضـع بذور كبد فيزرعها، ويرتدي عدسـة داخل عينـه وفوقها، ويُعوِّض طرف صناعي، ويسـتقبل دم بشر آخر، ويأكل بأسـنان غيره.. وما نشاهده من، حقن قطع السيليكون، وتثبيت مسامير وشرائح الألومنيوم، وقواقع أذن بلاستيك وأسنان بورسلين، وقدم حديدية.. ولا يتغير، ولا تتغير شخصيته ولا حياته.. فـ «نفسه» هي «نفسه».

وما يُشاع عن التغيُّر في السلوك.. هو تأثير نفسي ليس أكثر، وهو تأثير وليس تغييراً.. كما يؤثر سقوط الشعر على مزاج أي شخص وإنما ما يغير هو الإضطراب النفسي والمرض السايكو.. فـ يحيل الرجل إلى آخر.. بل وتنفصم شخصيته، وتنقسم معها حياته، وتتشقق ملامح «نفسه».

وها أنا أجلس وأفتح فمي.. وفي زوري يد طبيب أسنان، فيخلع أعضاء أسناني التالفة، ويركِّب غيرها من مادة سيراميك لأطحن بها طعامي.. وأنا أجلس منتظراً أشاهده في ملل، وبجانبي طفل مفتوحٌ رأسه يلهو في هاتفه بينما يخيِّط طبيب آخر رأسه في غُرز يُكدِّس تحتها مخه.. فيختفي ويختفي معها سر الحياة.

وبالغرفة المجاورة يستلقي رجل.. ليستيقظ على حياة يعيشها بقلبٍ غير قلبه.. قد نبض لشخص آخر، وكِلية استعارها من كائن تاني.

وفي الدور الأعلى إمرأة تُصنفر وجهها، وتدهن وتلمِّع أسنانها، وتبري أنفها.. ثم تذهب لتعود.. فقد نسيت أن تلحِم شبكية عينها الليزر.. ثم توقِّع على بوليصة التأمين، وكأنها في صيانة عند إحدى شركات التوكيل.

ولم نسمع عن حبوب السعادة ولا أقراص الحب، ولا عن سيرنجات النجاح وفوّار الحزن.. وإن كانت هناك مُسكِّنات ألم ومضادات اكتئاب.. فهي مُسكِّن عُضوي، ما يلبث مفعولها حتى يزول.

وما رأيك بالابتسامة التلقائية عندما تقابل شخص تحبه، والابتسامة المفتعلة عندما تلتقط صورة.. تلك الإرادية وذاك اللا إرادية!

فـ مريض الجلطة في نُصفه اليمين.. لو أمرته يضحك.. هتظهر ابتسامة

على نُص وشـه اليمين بس، ويفضل النُص الشـمال مشلول.. أما لو شاف حد بيحبه وضحك له، تظهر ابتسامة تلقائية جميلة على وشه كله!

وكأن هذا الفرق بين الضحكة الجسـدية والضحكة النفسـية.. أو بمعنى أصح الحركة الجسدية والراحة النفسية!

لو إيدك اتقطعت.. يا ترى ربنا هيبعثك بيها ولا لأ؟

الإنسـان مكوّن من ٣ حاجـات.. حاجة قابلة للقيـاس والوزن.. طول وعرض.. متحيزة في مكان، متزمنة بزمان.. بتتغير وتكبر، وتشيخ وتموت.

مـن صحة لمرض لسـمنة لوهن وهزل.. من نشـاط لكسـل لنوم.. جوع وشبع.. دم وشرايين ودماغ.. كل دي صفات حيوانسانية.. حيوانية.. انسانية. الحاجـة التانيـة.. العكس.. لا تكـبر ولاتصغر.. لا تمـرض ولا تموت.. غير زمكانية.. ملهاش ماضي ولا حاضر ولا مستقبل، لها صفات إلاهية.. من عند الله.. صفات روحانية.. وهي الروح.

طـب لـو خـدت إيـدك الـلي قطعتهـا.. زرعتهـا لواحـد تـاني.. أو قلبـك أو كليتـك أو.. أو.. أو.. هيبقـى قلـب مـين؟! أكيـد مـش أنـت؟ و دي الحاجة التالتة.. النفس اللي قاعدة على كرسي التحكم.. ماتشوفهاش ولا تدركهـا.. لأنك فيها.. أو هي جواك، زيّـها زي حركة الأرض.. مندركهاش غير من برا.. من القمر ... فاكر؟

أيوووووة النسبية..

وأكـبر دليل على كده.. الفرق بين الميت والحـي.. ده عنده إيد وده عنده إيد، ده عنده قلب وده قلب.. ايه الحاجة اللي شـيلتها منه؟.. ليه ده حي وده

ميت؟.. ليه ده فيه «روح» وده مفهوش «روح»؟.. ليه ده «بيتنفس» وده لا؟!

فـ أنا لستُ هاتفاً عَطِبت شاشته.. أو جهازاً سقطت نسخة ويندوزه.. لستُ بـ إلكترونات تتقافز على قطعة زجاج فتعكس ألواناً تضيئ في عين من يراها.

أنا لستُ موضوعاً.. وإن كنت موضوعاً فأنا موضوعٌ بداخل جسد فحسب.

وكما فصصنا المخ بالكامل، وشرحنا ما فيه وما حوله، وهرسنا وراء العقل ولم نجده، فالنفس ليست كالبول والدم يمكن قياسها.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

- طيب.. إذا كنت أنا وأنت مش مجرد هرمونات وكيماويات.. وشوية قوانين وأيونات.. فـ لماذا أحب أنا الملوخية وأشتهيها، وتكرهها أنت وتفر من سيرتها، ولماذا أحب فلان وتكرهه أنت، ولماذا ألبس أحمر وتفضِّل أنت الأزرق؟

باختصار.. ما الفرق بين إنسان وآخر؟!

التفاضُل والتكامُل

> دخلت مكان مكوّن من شاشات.. مئات آلاف الطوابق كل طابـق مكوّن مـن آلاف الشاشـات.. كأنه شاشـة مكونة من شاشـات أصغـر.. خزائن وأرقام وشاشـات كمبيوترات وكاميرات، حسابات وأسماء وتواريخ.

ليس بنكاً من البنوك ولا مركز استخبارات.. وليس فيلم Matrix.

أين أنا؟!

فاقتربت لاقرأ ما على الشاشة.. هذا اسمٌ كامل وأرقام لا أفهم منها شيئا! وهذه شاشة أخرى.. بـ اسم آخر وأرقام أخرى.

فعلت ذلك مراراً وتكراراً.. ولم أفهم شيئا!

ما هذا المكان! وما .... لحظة! هذا.. هذا اسمي!

اسمي بالكامل.. يمتد إلى أجداد جدودي، فتأكدت أن هذا أنا.. ٨٠ سنة! ٨٠ سنة ايه؟ أنا مش ٨٠ سنة!!

وايه الأرقام دي!

وايه الشريط اللي ماشي تحت ده! ده عداد ثواني؟!

ده بيسـجل كل ثانية في دقيقة في سـاعة في يوم.. في أسـبوع في شـهر في سنة!!!

شيبس!! ايه ده؟

= لا أعلم، سيدي

- أدخِل الزمن!

اخـترت يوم الإثنين ١٣.. واخترت الشـهر، واخترت سـني، ٢٠ سـنة: ٣٠ جنيه.. درجتين.

اخترت يوماً آخر في سنة أخرى: ٢٠٠ جنية.. كريب وقع.

اخترت يوماً آخر في شهر آخر: ٠ جنية.. امتياز!.. فتفوتة أكل.

اليوم اللي بعده: ١٠٠٠ جنيه.. مرض.. نقطة مياه.

يوم في سنة أخرى: حادث.. إنسان!

يوم آخر في سن الـ ٨٠: مليون جنية.. وفاة!

اليوم اللي بعده: ...

اللي بعده:..

اللي بعده: ..

شيبس! مش فاهم حاجة!

= إحنا في محاكاة لمخازن توزيع الأرزاق.

في أول يوم كسبت ٣٠ جنيه.. بس نقصت درجتين في الإمتحان.

تاني مرة كسـبت ٢٠٠ جنية.. وأنت مروَّح اشـتريت كريب شـاورما، وزعلت أوي لما وقع منك.. بس أنت متعرفش إن ده كان رزق القطة.. القطة ليها شاشة لوحدها مكتوب فيها رزقها.

اليوم اللي بعده الفكّة اللي معاك وقعت منك.. وروّحت مَشيّ على رجلك.. بس أنت متعرفش إن اللي خد الفكة دي طفل مسكين راح جاب بيه عيش من الفـرن يفطر بيـه.. ده رزق الطفل ده، ودي شاشـته.. ورزق صاحب الفرن، ودي شاشـته.. بـس في يومها جبت امتياز، واتعشـيت عشـوة حلوة.. وأنت بتاكل.. فتفوتة أكل وقعت منك، وده كان خزين النملة لفترة الشتاء كاملة!

وتاني يوم هريت نفسك شغل.. وكسبت ١٠٠٠ جنية، بس تعبت وجبت بيهـم دواء.. وأنت بتاخـد الدواء.. نقطة مياه وقعـت.. وعدِّت نفس النملة بتاعـة امبارح.. بس مشربتهـاش.. هي عارفة إن ده مـش رزقها ورزق نملة تانية، تعول بيت تاني خالص!

بعد كام يوم عملت حادثة.. واتعرفت على إنسان كويس.

واليـوم الأخير.. أنت مُت فيه.. وصفر هـو رزقك من الفلوس.. صفر.. صفر.. صفر!!

بس أنا هطلب منك تجيب اليوم اللي بعده.

- دعوة!!

= الـرزق مش بس فلوس.. الـرزق ممكن يكون حكمـة، علم.. صحة، منصب.. ذكاء، جمال.. موهبة، أخلاق.. طلاقة لسان، إنسان.. حب، وأجمل رزق وهو دعوة.

وكـما أن الحياة لها رزق.. فـ للموت رزق. ورزق الموت قد يكون صدقة جارية.. أو عِلم يُنتفع به.. أو دعوة من ابن صالح.

فـ متزعلـش لمـا يكون نظـرك ضعيـف، غيرك معنـدوش عـين أصلاً.. ومتضايقـش لما تكون تعبان ومش قادر تقوم تغسـل وشـك.. غيرك بيغسـل كِليتـه كل يوم.. وموبايلك اللي بـاظ ده، رزق العامل اللي هيصلحه.. ولون السقف اللي فجأة بقى مش عاجبك، رزق النقّاش.

لـو ضربت الحجـر ده.. قسـمته نصين.. هتلاقـي حجر تحتيه، اقسـمه نصين.. هتلاقي حجر تالت تحتيه، اقمسه نصين.. هتلاقي دودة بتاكل.. ربنا بعتلهـا رزقها تحـت الصخور دي، ولو تحت الأرض بطبقتها السـبعة.. رزقها هيوصلها!

وكيف لله أن يذكر دودة تحت الأرض.. وينسي مَن فوق الأرض!

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

الحاجـات اللي بتتكلم فيها دي حاجات بسـيطة.. بنتكلم في نملة وقطة.. وأنا وأنت!

نسـينا إن في أفـواج نمل على كوكـب الأرض.. وإن النمل أنـواع.. وإنه مجـرد حشرة من آلاف مؤلفة من حـشرات تانية.. وإن القطـة فرد من عيلة كبيرة، اسمها ثدييات.. وإن شجرة الثدييات تنقسم إلى أرقام وأعداد مهولة مـن عائلات الحيوانات التي بدورها تنقسـم لتفاريع أصغر فـ أصغر.. وغير الثدييات، مـن زواحف وغير الزواحف، محيطات وبحار مليانة بعدد ذرات

جزيئات المياه مخلوقات وكائنات من سكان البحر.. والأعجب، الطيور المعلّقة في الجو.. هتجيب رزقها منين، قبل ما تكون رزق حد تاني؟.. كل ده ولسه مجيناش جنب زعيم الأرض.. الإنسان، اللي رزقه محيّره.

ففي تلك اللحظة - التي أكتب فيها - أصبحنا ٩٠ مليون في مصر.. ٩٠ مليون فرد.. ٩٠ مليون رزق.

١٢٠ مليون كابوريا حمراء تزحف نحو الشاطئ لتضع بيضها.. في وقت معلوم، في نصف الليل عند اكتمال القمر.. وبسبب مغناطيسية القمر.. عند الجذر تضع كل كابوريا ١٠٠ ألف بيضة سوداء.. حتى يتحول لون البحر إلى اللون الأسود، فتنضج البيضة إلى يرقة، ويتحول لخبز البحر.

وقنفذ البحر يفعل ما فعلته الكابوريا.. فهذا رزق سكان البحر.. «فطار كل يوم».. ومن ثم يأتي أكبر فرن.. الذي ينتج خبز الفطار في كل ساعة.. ١٠٠٠ مليون جنين من المحار الأعظم.

وهذه أفواج ومدارس الرِنجة التي تقذف عناقيد البيض ذي اللون الأبيض.. فتحول البحر إلى وعاء من اللبن.. وعلى عكس ما حدث مع الكابوريا ... فـ عند مد البحر.. فيخرج على الشاطئ.. فتشمُّه أسراب الطيور، فتعلم أن هذا رزقها قد جاء.. فتسعى إليه.

وترد الضفادع جميل سكان البحر.. فـ تضع الضفادع بيضها على أوراق الأشجار التي اتخذها بيتاً له.. فأصناف تتحول لأبو جنيبة، وأخرى إلى ضفادع ناضجة، فيتساقط أبو جنيبة مثل قطرة الماء في البحار.. طُعماً للسمك وتذهب الضفادع الناضجة لنسور وصقور الأرض.

وبيض فراشة البومة التي تشبه علب البونبون.. فتخرج اليرقة، وأول ما تفعله لا يكون بكاءً أو صياحاً.. مجرد أن تفتح أعينها على الدنيا.. تأكل كل يرقة البيضة التي خرجت منها التي تشبه البسكوت في طعمها.. فتقرمش منها ما يطيب.

والدبور الجرَّاح، أستاذ في علم التخدير.. الذي يحقن بيضه داخل يرقة دودة الكرنب.. فعندما ينضج ويكبر.. يدمر يرقة الكرنب، لتأكل منه صغار الدبور.. فينقذ يرقات الدبور، وينقذ الكرنب.

«مصائب قوم عند قوم فوائد».

فـ رزقك موجود ومقدَّر قبل أن تولد.. بل قبل أن توجد.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠].

وهذه شاشات بها أرزاق مَن لم يولدوا بعد.. كلٌ مدون ومحفوظ في الكتاب.

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

وتوزيع الأرزاق بحكمة هي حكمة لحكمة لا يعلمها إلا الحكيم.

فـ لو كان الرزق فدان.. فـ كل واحد هياخد رزقه ٢٤ قيراط.. فـ واحد يكون رزقه ٤ مال، ١٠ صحة، ٥ عيال، ٥ سعادة.. وواحد كون رزقه ١٠ موهبة، ١٠ مال، ٢ سعادة، ٢ صحة.. وكمل على كده تباديل وتوافيق.

ومثال على كده شاشة رقم ٩٥٢ و١٢٠٩.. الإتنين اسمهم.. سيد متولي بدوي.. بس واحد غني وواحد فقير؛

عم سيد راجل غلبان، عنده عربية فول، والبشاشة بتنط من وشه وكل الناس بتحبه.. مُلتزم وتسأله يقولك الحمد لله، الجنة للغلابة.. يعني رزقه اللي ربنا قسمه له.. مساعده إنه يكون إنسان كويس.

دكتور سيد مليونير وصاحب شركة أدوية.. إنسان محترم وبيبيع الأدوية بسعر كويس.. بس عنده مرض يخليه يغيَّر دمه كل أسبوعين.. يعني رزقه اللي ربنا قسمه له.. مساعده يكون راجل كويس بردو

لو بدّلت رزق عم سيد بـ دكتور سيد..

عم سيد بقى مش مُلتزم.. نسي شغله ونسي أهله والبشاشة اختفت من عنيه.. الدنيا شغلته وظَلم نفسه وظلم ولاده.. ودكتور سيد سرق وقتل.. عشان يغطي مصاريف علاجه.

ربنا بـ علمه عارف.. إن فلان الفقير لو أداله فلوس، هيبقى مُفتري وظالم وهيتغير، وكده يبقى ربنا ظلمه.. وعارف إن الغني لو مش معاه فلوس، هيسرق ويقتل، وكده هيبقى ربنا ظلمه.

وحاشي لله أن يظلم ذرّة تراب.. فهو يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ويعطي الأخرة لمن يحب.

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧].

حتى توزيع الإبتلائات برحمة هي رحمة لرحمة لا يقدرها إلا الرحيم.

تخيَّل معاك شُنَط فيها ابتلائات (إمتحانات).. شنطة فيها ٣ وشنطة فيها ٧ وشنطة فيها ١٠ وشنطة فيها ٢٠.. على قد ابتلائك، على قد الجزاء اللي هتاخده.. فـ اللي شنطته فيها ١٠ غير اللي شنطته فيها ٢٠.

وكل ما كان إمتحانك أصعب.. كل ما درجاتك كانت أكتر!

فـ رزقك هو الرزق الوحيد المناسب لتوزيعة حياتك.

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١].

وكل ما عليك هو السعي.

أيصعب على خالق الكون، رافع السماء وباسط الأرض ومالك الخزائن، أن يأتي لك برغيف خبز زيادة؟

أليس الإلكترون لا يستطيع أن ينتقل من مدار إلى آخر إلا إذا سَعى.. ودفع «طاقة» مقابل إنتقاله من طابق البدروم إلى طابق أكثر رفاهية.. أليست الطيور تهاجر من قارة إلى أخرى.. وتقطع عرض المحيط.. لتصل إلى رزقها ثم تعود.. والفهد تنشقُّ له الأنفس لـ يغنَم بفريسته.. وفريسته تلهث لـ تجد رزقها.. ورزقها يسعى.

فقد يكون في رزقك رزق لغيرك.. وقد تكون أنت في حد ذاتك رزق غيرك.

إن الله عودني عادة، وعودتُ عباده عادة، فَأخاف أن أقطع عادتي عن عباده، فَيقطع عادته عني.. عودني أن يُعطيني، فَعودت عباده أن أعطيهم، فَأخاف إن منعت عنهم عَطيتي، أن يمنع الله عني عَطيته»

ولأن الإنسان تابع لهذا الكون، وسيد الكائنات وخليفة الله في الأرض.. فعليه أن يكون تاجاً وقدوة لسائر المخلوقات في السعي وطلب الرزق.

فإن طلبت رزقك، جاء إليك.. وإذا أتقنت، سعى إليك.. وإن سعيت، بُورك لك.

فالرزق يطلبنا كما نطلبه.. والله يرزقنا ولكن لا يطعمنا في أفواهنا.

- ولمّا رزقي مُقدَّر ومكتوب.. فلِمَ السعي؟

= إن لم تسع.. فلن تنال رزقك، وإذا سعيت نلت رزقك.. وهذا مكتوب وذاك مكتوب.

- وإذا ضاعفت السعي؟

= تضاعف رزقك.. وكان هذا مكتوباً.

- وإن لم يتضاعف؟

= كان هذا رزقك.. وكان مكتوباً أيضاً.

فـ ممكن تكون بتروح كل يوم بتاكسي بـ ٥ جنيه.. وجيت في يوم قولت أوفر وأروح بأتوبيس بـ جنيه.. فـ تجد أن الله لم يرزقك في هذا اليوم إلا بهذا الجنيه! فكأن الـ ٥ جنيه هي رزق التاكسي وأنت وسيلته إليها.. وكأن الجنيه هو رزق الأوتوبيس وأنت وسيلته إليها.

أما أنت.. فلن تنال إلا ما قسمه الله لك، لحكمة هو يعلمها.

- طب وأنا ذنبي ايه.. ولزمتي ايه في الدنيا وكل شيء مُقدَّر.. وأنا مُجبر عليه.. ومُسيّر مش مُخيّر؟

اتولـدت في كرتونـة عليهـا "تيكيـت" مكتـوب عليـه اسـمي وجنسي وجنسـيتي، وأبويا وأمي وفصيلة دمي، والعادات والتقاليد، ولوني وشـعري وشكلي ووزني، وطولي وعرضي ومرضي، وكوكبي وزماني وتقويمي الشمسي.

وُلِدتُ فلم اختار فَقري!

واتوزَّعت عليا.. «ليسـتة» بأسـامي أقاربي وجيراني.. وشِـيك بمن أحب ومـن أكره.. اتوزع عليا ورق بالصح والغلط.. الخير والشر.. وكده «حلو» وكده «كُخ».. اتوزعِت عليا نتيجة بمواعيد الشـهور وأسـمائها وتواريخها.. وخريطة زمنية بمواعيد الفصول.. وأطلس كَوني بأسماء الأبراج والنجوم.

واترسَـمت عـلى خريطة الأمـراض الوراثيـة.. مِنا اللي اتولـد مريض.. والباقي مات مريض.

اتولدنـا وعيشـنا نـاكل ونـشرب وننـام ونتكاثـر.. وإحنـا عارفـين إننا هنموت.

اتولدنا عشان نموت.

فـ لو نجحـت، تقوللي «ده من توفيق ربنا».. ولـو حصلتلي مصيبة «قَدَر ومكتوب ولا مفر منه»!

فـإذا كان قـدري معلومـاً.. ورزقي مكتوبـاً.. وعمري محسـوباً، فلماذا الدنيا؟!

= نعم، إن أفعالك معلومة، لأن الله أحاط بكل شيء علماً.. وبعلمه وسع كل ما كان، فهو سـابق الزمان ومالك المكان.. إن أفعالك مُقدَّرة.. وليسـت مقدورة ومجبرة عليك.

وإن كان اسمك ولونك.. هو الحرية والإختيار بالنسبة لك.

فما بالك بمن يغيرون أسماءهم.. ويبدِّلون جلودهم وألوانهم.. ويحوِّلون جنسهم.. ويتخلي كل منهم عن جنسيته.. ويهجرون بلادهم.. ويُلحدون بأديانهم.. ويتبرأون من عاداتهم وتقاليدهم.. ويختارون من ليسوا بوالديهم، أباً وأماً لهم.. بل وينشئون عائلة وأسرة لهم.

وأطفال الثلاسيميا يغيِّرون دماءهم.. وأصحاب الفشل الكلوي يُلقون بكليتهم.. ثم يتجولون بكلية غيرهم.. ومرضي الكبد يزرعون أكبادهم.. وتُجَّار الأعضاء يبيعون أبدانهم مُفككة.

ومعايير الخير والشر تخبَّطت.. وأصبح الحلو كُخاً.. والصح عيباً.. ووُضعت القوانين لتُخرق.. حتى قوانين الفيزياء نشِذُّ عنها.. فما أن نُثبت صحتها حتى تُثبت هي عِلتها.

وكأن الثابت الوحيد هو التغيُّر!

هل أصبحت مخيراً الآن؟ أأصبحت حراً؟

ومع ذلك.. لا يحاسبنا الله على أسمائنا ولا أوزاننا، ولا أشكالنا ولا عيبنا الخلقي، ولا عن شروق الشمس ونتيجة الحائط.

فـ الحرية شيء نسبي.. كما أن القيود نسبية.

فـ «حرية» شرب الخمر، إهدار حياة.. و«قيود» المرور، تحفظ حياة!

فلم يكن الطول والوزن يوماً قيوداً.. ولا حرية.. وإنما وسيلة.. أداة لتحقيق غاية.. وحتى المرض وسيلة لغاية العلاج.

وليس الجوع كالصوم.. وليس الأرق كالسهر.

نحن نختار في كل لحظة.. الحياة اختيارات زي الـ MCQ.

صحيح أنك وُلِدتُ لتموت.. ولكن بين ميلادك وموتك.. تصنع حياتك وتضع بصمتك.

فإن كان خلقك كعدمك.. وحياتك كمماتك.. لَمَا خلقك الله.

فتولد لتفكِّر وتخترع.. فتبدع وتبتكر.. وتبني وتهدم.

فلو كان اتوزع عليك ورق بالخير والشر.. والصح والغلط.. والحلال والحرام.. فـ ده عشان تختار.

وإذا كان اتوزع عليك مواعيد الشهور وخرايط الزمن، فأنت اللي فسَّرتها، ووضعت قوانينها، وفهمتها وحفظتها، وراقبتها وسجلتها.. وأخرجت قواعد استثنائها، وكتبتها ووزعتها عشان تعلِّم بيها غيرك.

وإذا كان اتوزع عليك المرض.. فأنت اللي اكتشفت المرض، وأنت اللي حطيت أسبابه وأدويته، واستراتيجية علاجه.. وجرَّبت أكتر من دواء، و«اخترت» الأحسن فيهم.

وده سبب خلقك.. إنك تجرب فـ تختار الأحسن.

فأنت من تُبصر وتختار غَض بصرك.. وأنت من تتكلم، فتختار أن تحمد أو تسِب.. وأنت من تحرك يدك فتختار أن تلقي السلام أو تشن الحرب.. وتقدر دلوقتي وبكل كامل إرادتك.. أنك تقفل الكتاب.. أو تكمِّل قرايته.. أو تجيب الصفحة اللي قبلها، أو تبدأ من أول الكتاب.. كتاب الحياة.

أنت مـن اخترت، وإذا وجدت حيرة في اختيارك.. فـ اعلم أنها مساعدة من الله لما فيه خير لك.

فليس الخير ما تهواه.. وليس الشر ما تهابه.

أنت مُسيَّر حتى تعلم.. ومُخيَّر حتى تفهم.

ولم نُخلق لنمرض فحسب.. بل خُلقنا لنمرض.. فنشعر بنعمة الصحة.. فنشكر.

ولم نكبر لنهرم فجأة.. ولم نولد لنموت فحسب.

«مَرِضنا فشعرنا فشكرنا».

وأنت حينما تتنبأ بخسوف الشمس وحركتها.. وماذا سيكون شكلها وماذا ستفعل بعد ١٠ سنين.. فأنت لم تُجبرها، ولم تُقدِّر لها هذا.. ولكن بـ عِلمك أحطت بذلك.. ولم يكن قدر، بل تقدير!

فـما بالك بمن أحاط بكل شيء علماً.. ووسـع عِلمـه الأكوان.. وهو من خلق الشمس كما خلقك.. وخلق الغيب ويعلمه!

أما عن لماذا الدنيا؟!

فإذا كان بعد ما اتولدنا وعيشنا.. وعملنا وسوينا.. وموتنا.. يوم ما نبعث ونتحاسب.. البعض هينكر اللي عملُه في الدنيا، وهو عملُه!

فما بالك لو مفيش دنيا!! «هتحاسب على حاجة َمعملتهاش»؟!

- ولماذا الحساب؟

= لأن الدنيا ليست عبثاً وأنت لم تُخلق هباءً، خلقك الله وعظَّمك وأعلى

شأنك.. ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته.. فـ أنت عظيم، عظيم في نفسك.. عظيم عند ربك.

وإذا ظلم عظيمٌ عظيماً.. تدخَّل الأعظم، ولأنه الأعظم.. فـ حسابه عظيم.. وعذابه أليم.

ولو كانت الدنيا إمتحان.. فلكل إمتحان درجة.. ولكل درجة حساب.. ثواباً كان أم عقاب.. لكلٍ درجته ورتبته.. وكما هو الحال في الذرّة.. فلا يترقَّى إلكترون من درجة لأخرى.. إلا بثمن مدفوع من العمل والسعي.

فكيف يستوي الخامل والنَشِط؟!

فالعذاب هو العدل المطلق ويأتي بعد الحقيقة المطلقة.. وهي الموت.

وعذاب الدنيا رحمة.. وتخفيف عن عذاب أشد.. فـ قطع يد السارق.. عذاب أهون يخفف عذاب أعظم.. وفقر الدنيا عذاب يخفف عنه نعيم الآخرة.. بل ويُغني عنه.

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وهذا الفرق بين انسان وآخر.

فـ مِن مادة واحدة بدأ الكون، وهي الهيدروجين.. كما خلق الإنسان من طين.. ومن خلية واحدة بدأ الإنسان، وهي الجنين.. ومن أربعة عناصر تكونت جينات البشر أجمعين.. ومن ٢٦ حرف جاء القرآن المبين، وتألفت ملء الأرض كُتب مِن علم ودين.. وكما أن سم الثعبان وطبق اللحم، كلاهما بروتين.. والفرق بين كربوهيدرات السكر والنشا، هو في ترتيب

الإثنين.. كما يُمكن تلخيص الحياة في شفرة من رقمين.. بل رقم واحد.. واحد صحيح.

كل من كان + يكون + سيكون على الأرض = رقم واحد

أول من جاء الدنيا هو سيدنا آدم ورقمه ١, ٠.. وإذا افترضنا أن رقمك هو ٤٥٦٧, ٠ وأخوك رقمه هو ٤٥٦٨, ٠.. وأنا ٣٨٧٩, ٠.. فلا بد أنا آخر واحد في الدنيا هو من سيكمل الواحد الصحيح.. واحد صحيح.. واحد بسيط.. بس جواه جميع الأرقام اللانهائية.

أنت كَسر من الواحد.. يتوحد لوحده ليصبح واحداً.. محدش شبهك.. أنت حرف.. أنت سطر.. أنت آية من الوجود.

وبما إن الموضوع بقى حصة حساب.. تعالوا نكمِّل كده زي ما خدنا في درس التبسيط زمان؟

لو جبنا أي اتنين بني أدمين.. أو كل البني أدمين حتى، وقولنا نشطب الحاجات اللي زي بعض:

هنشيل الجلد مع الجلد.. والعضم مع العضم.. واللحم مع اللحم.. والشعر مع الشعر.. والعين مع العين.. والأذن مع الأذن.. والكبد والطحال والبنكرياس والقلب بشراينه مع الرئتين.

شيل شيل كل ده..

لحد ما نوصل للمخ مع المخ.. نشيل؟

- أه.. تشريحيا، المخ شبه المخ.. يعني مادياً إحنا متشابهين تماماً.. متساويين.

بس أنا مش زيك في حاجة، الفرق فين؟

= الفرق في الجوهر

تخيّل حتة صلصال.. ماشية على طريق أسفلت.. لمدة ٢٠ سنة بتتشكل، كل سنة بمجال.. وكل شهر بحال.. وكل يوم تجربة.. وكل ثانية موقف.. وكل لحظة بتفرق وتغيّر.. تترسم على الصلصال وتسيب أثر.. من موقف، لذكرى.. من حلو لوحش.. بين نجاح وفشل.. خيال وواقع.. نفس والتانية، تتكوّن شخصية ليها فكر وسلوك مستقل.. ليها طبع وتصرف وذكاء.

كل ثانية في حياتك.. بتشكّل صلصال شخصيتك.. ومفيش حياة حد زي التاني.. زيّك أنت وأخوك التوأم.

- أخويا؟ أاااه.. فعلاً أنا أذكي منه

الذكاء ليس شيئاً مطلقاً كما نظن،.. مفيش حد ذكي كده وخلاص.. ذكي وبس.. الذكاء نسبي بردو، وتخصصات.. يعني لو عايزين نوصف حد ذكي.. لازم نوظّف ذكاءه؛ ذكاء لغوي.. رياضي، بصري، موسيقى، حركي.. علاقات، فهم الذات، التصنيف.. ذكاء تحليلي، إبداعي، انفعالي ..

زي الأرزاق.. ليها توزيعة تناسب حياة وباقي رزق كل إنسان.

ذكي اللغة.. اللي بنقول عليه «لَبِق» بيعرف يتكلم ويعبر وده مرتبط بحاجات كتير منها منطقتين في الفص الأيسر Wernicke & Broca.

ومرتبط بطريق الأسفلت اللي مِشي عليه صلصال شخصيته، كطبيعة عمله أو مكان سكنه، واختلاطه بأطياف الناس بألوانها.. (غالباً أكتر في الستات).

الذكاء الرياضي أو الحسابي.. المرتبط بأرقام وعمليات حسابية، وده ليه مكان مخصص في المخ، ومرتبط بطريقة تدريب المركز ده.. بالإضافة لميوله، وتذوقه للأرقام وعشقه لإنحنائات أشكالها (غالباً أكتر في الرجال).

والذكاء البصري المكاني أو البعد الثلاثي.. اللي بيتَّرجم لرسم أو نحت أو شطرنج.. أو ركنة عربية (وطبعاً بعد ما قولت ركنة عربية.. عرفنا إنه أكتر في الرجال).

وذكاء الموسيقى والتأليف اللي بنقول عليه «عنده ودن موسيقية»، وذكاء بدني في الكورة والرقص والجراحة، وذكاء تسويقي في الإعلانات، وذكاء إستراتيجي في الحروب.. ذكاء العلاقات وفهم الذات، والتعرُّف على مَواطن القوة ومكامِن الضعف، وذكاء تحليلي يظهر في الدراسة وتقسيم الأفكار.

إذاً فالذكاء مُكتسب.

فالعقل ليس CD أو قرصاً صلباً.. بل هو كالعضلات يقوَى بتمرينه، ويضمُر إذا أهملته.. وعشان أثبتلك كده، لو إديتك أصعب فزورة في العالم أو أصعب امتحانات الـ IQ وبعد كده إديتك إجابته وحفظتها وسألتك السؤال تاني هتجاوبه.

نعم، نحن متساويين في شيء واحد.. نحن نتساوي في إختلافنا.

لو جبت عدد ٢ تورتة؛ تورتة غالية وعظيمة، وتورتة رخيصة وعلى قدها.. الإتنين مكوناتهم شوية دقيق ولبن وسكر وبيض.. مضروبين في بعض، زي البني آدم.. من نطفة لعلقة لمضغة لعضم مِتعاص لحم، ومتوصل بأسلاك كهرباء، وعايشين بين قلب وعقل..

الفرق في الحشو والتزويق.. المعدن والعمل.

يعني لو حطيتك في كافة ميزان، والناحية التانية إنسان تاني.. مين كافته أتقل؟

والميزان ده بيكيل بمكيال ايه.. ايه وحدة قياسه؟

إحنا زي بعض، كوحدة إدخال.. بس مش زي بعض.. كوحدة إخراج.

فالدنيا ليس فيها مساواة.. كلها تفاضلات، كل نبتة لها شكل ورائحة.. وكل دودة لها دورة حياة.. وكل فاكهة لها طعم.. وكل حشرة لها فصيلة.. وكل طائر له سرب.. وكل دابة لها قطيع.. وكل إنسان له بصمة.. بل يزداد التفاضُل في الإنسان، لزيادة دائرة النفس، وما تمثله من شخصية ونمط وسلوك.. حتى الجماد، فلا ذرّة تشبه ذرة في نواتها، ولا توزيعها ووزنها.

إذاً فهي قاعدة.. خُلقنا درجات.. بل خُلق الكون كله درجات في تفاوت.

وكما خُلقنا درجات.. نموت درجات، ونبعث درجات.. ونحاسب بدرجات.. فالجنة درجات.. والنار أسوء الدرجات.

والظلم هنا أن تتساوي تلك الدرجات.

فلا تتساوي كلمتان.. ولا يوجد شيء في الدنيا له مثيله.. ولو وُجد لما وُجد.

انظر حولك.. ترى من يركب عجلة وبجانبه من يركب سيارة متواضعة، ومن خلفه سيارة فخمة، وفوقهم يمر من يركب طائرة، ويسابقه من يركب طائرته الخاصة التي ستهبط بعد قليل في مطار يملكه غيره.. في بلد بحاكم آخر.. في قارة كوكب ملك لمالك الملك.

فالتفاوت حقيقة جوهرية.

والمفروض أن نتعاون.. فيأخذ هذا ثمرة موهبة ذاك، فيستفيد بها ويُفيد آخر.. والذاك يجني ثمار عمله ويأخذ ثمار موهبة ثالث آخر.. ليس تفضُّلاً ولكن بمقابل.. وتبادل منافع.. حتى يكون الفضل لله وحده.

فالحيوان يتغذى على النبات والنبات ينبُت على الجماد.. والإنسان يعيش على ثلاثتهم.. بل وعلى ذويه من بني الإنسان.. وكلنا مخلوقات طينية تتغذى علينا حشرات الأرض وطفيلاتها.. والقوي أودع فينا القوة، والغني وهب لنا الغنى.. والرازق قدر لكلٍ رزقه.. فهي صفاته وزع منها علينا في تفاضل.. حتى نكمل بعضنا البعض.

وهذا هو الشِق الآخر من النظرية "التكامُل".. خُلقنا أجزاء من الواحد.. لنكمل الواحد الصحيح.

فكلٌ مرفوع ومرفوع عليه.. مرفوع بما تميز فيه ومرفوع عليه فيما لا يعقله من صفات أخرى تميّز بها غيره.

الجِزماتي مرفوع في شيء يجيده.. فبدونه نصبح حُفاة، وبدون خياط نصبح عُراة، ولولا السباك لـ طفحت مجاري شوارعنا، ولولا عامل النظافة لـ خُضنا في قذارتنا، ولولا الصنايعي لـ خَرُبَت عمائر أراضينا، ولولا الفلاح لما أكلنا، ولولا المُدرِّس ما تخرَّج أطباؤنا ومهندسونا.

فليست هناك مهنة عظيمة وأخرى حقيرة ما دامت حلال.

الحياة دايرة.. مفهاش أضلاع.. كلنا نقط بنكمِّل بعض عشان نرسم الدايرة.

فأنت عندما تركب القطار، فأنت تركب عالجاهز ثمرة كفاح ملايين من العاملين والمهندسين وعُمَّال الصيانة.. ومن قبلهم من ضحّي بسنين حياته مقابل هذا الإختراع، وعندما تأكل تفاحة.. فأنت تأكل «عَرَق» فلاح تقشَّفت يداه من إحتكاك فأسه مع طبقات جلده، وتتلذذ بـ «عِلم» صانع مخصبات الأرض، وتلتهم «مجهود» مهندسي أنابيب الري.. فتشبَع نتاج مجتمع كامل متكامل.

نتكامل كما تتكامل أجسدنا.. بل جسد الفرد الواحد من أجهزته وأعضائه وأنسجته وخلاياه ومكونتها.. تعمل سوياً في تناغُم.. فـ تتناغم حركة العينين مع ديناميكا العضلات وهيكلة العظام، ودقات القلب ومحطات المخ.. كما تتشابك قوانين الفيزياء، من جاذبية الأرض وضغط الهواء وقوانين الطفو واتجاه الرياح.

وإذا اختل هذا الهارموني.. أصبحت عِلة ومرضاً.

فـ مجموع كل إنسان يساوي مجموع كل إنسان في سياق قانون «التفاضُل والتكامُل».

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

(سخريًّا وليست سُخرية)

- شيبس.. أنا تعبت ودماغي لفت.. وعايز ارتاح.

أوسكار أحسن مشهد

جلسـتُ على إحـدى حلقات كوكـب زحـل.. وتدلّت قدماي في أثير الفضاء.

وأخذتُ أرتشـف مـن فنجان قهوتي التـي لم تبرد، لعدم وجود هـواء، ومن خلفي دبان تيمـون المنور اللازق في السـجادة الزرقاء، وألقيت بنظري على كوكبي، وما شـاهدته يشبه بالظبط فيلم صيني.. بدون صوت، وكأن السماعات لا تعمل.

النـاس كلها شـبه بعـض «زومبيز» هائمة عـلى وجهها، أو نمل مستسـلم طايـف على وش المياه، الموج بيوديه ويجيبه.. نمل متجمَّع على فتفوتة سـكر واحدة، وسايب تورتاية الأرض الواسعة، وكأنه عامل دايت.

الدنيا من فوق شـكلها أحـلى.. بدون صوت.. بدون جمـال، الناس كلها سِـحنة واحدة.. هيأكل ماشية تزق بعض واحد ورا التاني.. إلى مقبرة الحياة، هيـكل يموت، وغيره يتولد.. في نفس اللحظة قدام عينيا شـايفاهم.. عرايس ودُمي متحركة.. مترَبّطة في بعض بـ فِتَل، وكلها مشدودة.. بس لتحت.

وإذا ألقيـت إليهـم القهـوة من فنجاني - أعلـم أنها سـتبقى مُعلّقة في أثير الفضـاء أسـيرة الجاذبية - سـوف ينهالون عليهـا بلا عِلم إن كانت سـادة أو زيادة.. أو حتى قهوة أم بنزين.

عمَّ يبحث هؤلاء؟ عن السعادة؟! عن المال الذي يجلب السعادة؟

فما رأيك أن أعلى نسبة انتحار في بلاد الرفاهية والترف! السويد وسويسرا وكندا، وفي الأثرياء والمشاهير!

فهو يضع كل ثروته في إزازة فينيك يشربها، أو في طلقة يغرسها بين فصي مخه، فتمزقه.. أو في حبل غسيل يلتف حول قصبته الهوائية.. فيهرس شرايينه، لـ يُغلقها.. لأنه عَرِف أن السعادة ليست في المال!

ويكفي تلك الكلمة لتعرف أنت أيضاً أن السعادة ليست مالاً.. هي «البورصة».

فـ شيك المليون جنيه لا يدخل جيبك.. وإنما يدخل جمجمتك، ليحل محل عقلك لتفكر به، فتصبح كل الأمور سهلة يسيرة.. فيطير عقلك في طائرة.. ويبيت في يخت.. ومن صيد السمك إلى صيد النساء.. ومن الفول إلى السوشي.. ومن الطاولة إلى القمار والخمر.. فتعلف في أموالك من طعامك وصحتك.. فتستيقظ على ذبحة صدرية.. لتنفق ما يأتي في يدك في سبيل صحتك وفي سبيل الله.. فتعود لصلاتك.. وما أن تشفى حتى تعود، فتخسر ما تبقى لك.. إلا كام جنيه، ثمن إزازة «فنيك» تشربها لتموت.

ولو كانت السعادة في نظرة الناس.. فرأي الناس مثل البورصة.. يتغير كل يوم.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

إذاً فأين السعادة؟!

تعالوا نفكر براحة زي ما بنعمل.. نمسك واحدة واحدة.

غِنى العين في الجمال، والجمال نسبي مؤقت، هيزول في يوم من الأيام.. وغِنى الأذن في تزويق الكلام.. وغِنى الأنف في الرائحة، وحتى الرائحة تذهب نشوتها بمجرد أن تشمها ويتشبّع عصبك بها فيسيولوجياً.. وغِنى الفم في الطعام، والطعام ما يلبس أن يُهضم حتى يخرج.. فتجوع، فهو غِنى مؤقت.. أو فقر لا نهائي.. وغِنى الجلد في ثوب يكسوه، فيبلى، أو لبستين ويترمي.. وغنى القلب في حب الناس، حتى الحب يتغير.. يذهب ويعود.

فلا تجعل سعادتك في شيء مادي، فيزول.. ولا تجعلها بين كَفَّي أحد، فيجور.

وما أغلى ما يملك الإنسان؟!

- نَفسُه

= إذا فالغنى غنى أغلى ما يملك الإنسان.. غنى النفس.. غِنى يُغني عن غِنى كل ما سبق.. غِنى يُغنيك.

ولم أجد لغِني النفس كلمة توفيها حقها إلا الرضا.

فمهما استزدت من المال، لن يشبع جيبك.. ومهما تزوَّدت من مال، فلن يملأ جفونك.. ومهما رأيت من جمال، فلن ترضي بهِ عيناك.. وما أن تملك الشئ حتى يذهب سحره.. ويسيل لعابك على غيره.

لأن ما يحكمنا هو الرغبة وحب الإمتلاك.. والرغبة لا تعرف إلا الرغبة، ولا تفهم ولا تعقل، فهي تريد فقط، ولا يلجمها إلا الرضا.

والرغبة هي التي تخلق الوهم الذي يعطي قيمة وأهمية لما نحب.. فإما أن تتنازل رغبتنا، ونرضي.. وإما أن يتنازل الرضا.. فترغب رغبتنا أكثر.. ثم نسرق ونقتل غيرنا ثم نقتل أنفُسنا.

«لَيْسَ الْغِنى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنى غِنَى النَّفْسِ» صدق رسول الله

والإقتناع والتأقلم والتكيُّف.. نوع من أنواع الرضا القليل.

فالإقتناع: هو ما يجعلك تعدل عن فكرة إلتحاقك بكلية الطب عندما تعلم أنها ٨ سنوات..

والتأقلم: هو محاولة أن تواكب السير بعد إلتحاقك بها.

والتكيُّف: هو أن تستمتع بما يحدث بداخلها.

والغباء: هو إن بعد كل ده.. تدخل بردو

ومن عدم الرضا يُولد الخوف ثم ينمو ليصبح توتر ثم قلق، وينشأ الشعور بالذنب ثم يسود الإكتئاب، وقد يتحول ألم عضوي.

وإذا طلبت من شيبس تحليل المشهد حولي سيقول لي:

= إن جميع تلك الإضطرابات.. نتيجة إضطراب آخر في هرمونات السعادة.. من دوبامين وسريتونين.. ليس أكثر، كما أن النسيم والرياح هي توليفة غازات الأكسجين، والنيتروجين وثاني أكسيد الكربون، وكما أن العسل والبجل.. هو جلوكوز وفركتوز وسكروز.. وكما أن دقة القلب هي زيادة في الأدرينالين.. ودربكة البطن هي انقباضات في الأمعاء.. والإغماء هو هبوط في الدورة الدموية وانخفاض في سكر الدم وحب الشباب هو

ارتفاع في نسبة التيستوستيرون.. وكما أن البحر والنهر اختلاف في نسب السوديوم والبوتاسيوم.

وكما أن الألم الرجيع أو ما نطلق عليه «وجع في صدري مسمّع في صهري» هو تحفيز لعصب مشترك في تغذية المنطقتين.. فهو ألم كاذب لا وجود له.. وكما أن الكتاب بروتينات وأحماض ترقد في أطراف أعصاب ذهني.. وفي عينك ومضات كهروكيميائية تنتقل من كابل عينك إلى مركز الإبصار في مخك.

وكذلك السعادة.. هي زيادة في السيريتونين، والحب زيادة في الأوكسيتوسين، وكذلك القُبلة فهي جرعة من اللعاب تنتقل وفقاً لقانون الضغط السلبي.

ما رأيك الآن!! لن تُقبّل أحد بعد اليوم!

ولكن إليك ما يفعله عقلك.. خدعة سحرية تجعلك تتجاهل تلك النظرة التحليلية وتندمج مع اللحظة ويلغي كل المؤثرات حوله.. وهذا ما يجب على الطبيب أن يفعله في عيادته، والحانوتي في مقبرته، والقاضي في محكمته، والجندي في ساحته.

وذلك ما يفسر لنا ما يفعله القلق والخوف بنا، ولكن مع الفرق.. فالقلق يلغي المؤثرات حولك.. ولكن ينسي أن المؤثرات بداخلك.

القلق ليس فقراً في الماديات.. ولكنه فقر معنوي.

والقلق ليس علاجه الغِنى، ولا يشفيه التفوّق العلمي، ولا يداويه صيدليات وِسط البلد، التي قد تُسكّن ألمه العضوي، وما تلبث أن تشفي حتى تعود..

فالقلق ألم نفسي لا يشفيه إلا علاج روحاني، لذلك فالحل أن تخلع رداء قلقك وترتدي طوق نجاة سلامك الداخلي.

ف علاجه: حبّاية رضا ٥ مرات في اليوم.. وساعة صفا قبل النوم.

وهل السعادة في النجاح؟

ممكن تبقى واحد عاش طول حياته مع كُتب، نام على كُتب وصحي بكُتب وأكل الكُتب، ومن إبتدائية لإعدادية لثانوية، هوب جامعة، هوب تخرَّج.. جواز.. وظيفة، ومن ترقية لأخرى، ومن عيل للتاني.. كل دي نجاحات، وفجأة! تلاقي بـُمبة من عيل سِن كُتبك أكبر منه.. تفوّقك على دنيا ما عشتهاش.. تصحى من غيبوبتك تلاقي عمرك خِلص من غير ما تحس.

ما اتعلمتش حاجة غير كلام على ورق.. علوم نظرية تأكّل عيش.. بل إن ممكن تلخص عمرك في ورقة نتيجة!

- وهل العمر الحقيقي.. يتلخص في ورقة نتيجة، مكتوب فيها يوم وشهر وسنة!.. هل العمر يُقاس بالزمن؟!

طب العُمر بيزيد ولا بيقل؟

هل العمر هو عبارة عن الزمن اللي الخلية خدته عشان تنمو فيه؟ هو الزمن اللي بنقيس فيه القلب ده عايش وبيدق بقاله كام سنة؟!

هل العمر شيء مادي لهذه الدرجة؟ وإذا كان مادياً.. ليه مش بيزيد ويقل؟!

= العمر هو طول الزمن وامتداده لأحداث أكثر

- وضّح أكتر.

= لو خدت حتة مِن العمر تحت الميكروسكوب وكبرتها.. هتلاقي إن العمر ثلاثي الأبعاد.. له طول وعرض وعمق.. فطول العمر مقدور أجلاً.. ولكن عرضه لك، وهي اللحظة التي توسّع فيها، حتى يصبح عرضه أطول من طوله.. وعمقه هو أن يترك أثر بعد أن ينتهي طوله وعرضه.

فالعمر كالنهر.. يُقاس طوله وهو ما يتَّسع من مصدره إلى ينبوعه.. ويُقاس عرضه وهو ما يتَّسع لما يتدفق من انفعالات، أي أن للحظة طولها وهي ما تتسع لتدرك الحدث.. والعرض هو انفعالك لذلك الحدث.. أما العمق فهو أثر ذلك الحدث في من حولك.

وزي ما كانوا بيقولولنا في المدرسة ..

طلّع كِتابك.. افتح صفحتك.. واكتب تاريخ النهاردة.. واكتب عملت ايه!

طب صفحة امبارح.. طب أول ..

خلصت صُفحك في ايه؟ صفحة فاضية.. صفحة فيها شخبطة.. صفحة مقطوعة.. عيشت كام صفحة، ومليت منهم كام!

وعلى قد عدد صفحاتك على قد ما يكون حسابك.. والكتير في العدد قليل في الأعذار.

شبابك.. وأنت بصحتك عملت ايه؟ كِبرت امتي؟ ضيعت شبابك في ايه وليه؟.. عجّزت بدري؟ عجزت ليه؟!

عِلمك.. عملت بيه؟! نفعت؟ استنفعت؟ طب لازمته ايه؟! محتفظ به في إزازة في مخك؟ حطيته في قنبلة من غير قصدك؟!

فلوسـك! كل حاجة سـؤال إلا ده اتنين.. جبته منين؟ وراح فين؟! جبت سجاير؟ ولا نيكوتين؟

ساعدت مين؟ ساعدت نفسك؟طب في ايه من التلاتة؟ عمرك؟ صحتك؟ علمك؟

ساعدت مين غيرك؟ بـ ايه؟ ليه؟ مصلحة! مروّحة؟!

إيدك الشمال؟ ولا اليمين؟ ولا الإتنين؟!

كان يوم سبت ولا حد ولا اتنين!

قُدام نفسك؟ ولا قُدام الناس؟ ولا رب العالمين!

كُلّـك على بعضك هتتحط على الميزان.. مش بيقيش أوزان.. مش بكيلو ولا جرام ولا أطنان!

ده ميزان قلب وعقل ولسان.

ميزان حق.

يا ترى لما توزن نفسك.. هتبقى عايزه قليل ولا كتير.

اوزن نفسك.. شوف قيمتك كام؟!

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٨].

ومتنساش إنك جيت الدنيا في لفة.. ومشيت في لفة، وبين اللفة واللفة.. هتاخد لفة، وممكن اللفة الأخيرة تبقى لفة هدايا، أو تلاقي اللفة لفة.. زي السباق.. فيه كام لفة، الحياة كلها لفة.. بتلف علينا، وإحنا بنلف فيها.. كل واحد ليه لفة، بس جوة اللفة.. فيه ١٠٠٠ لفة ولفة.

وكم من فشل كان أول طريق النجاح.. وأثرى في النفس والعقل أكثر من النجاح، وكم من نجاح كان فشلاً في حد ذاته.. وأرسخ في النفس والعقل مطامع رخيصة صغيرة عِوضاً عن مطامعنا السامية.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

إن النجاح كالمال.. ليس غاية في حد ذاته.

وبعد أن أصبحت الوسيلة غاية، والغاية معدومة.. تخبطت المعايير.

فبعد أن كانت الجِمال تشق الرمال في صبر وجرأة تواجه مخاوف الصحاري، وكانت الكارو ما يميز الملوك والأثرياء، وكانت الخيول أسرع وسيلة مواصلات.. الآن أصبح الشحاذ يملك خيلاً، وأصبحنا نجوب العالم في ملل على إحدى كراسي طائرة فاخرة تشُق السحاب، وتطوي أطراف الأرض فوق بعضها.. فتقلِّص الزمن، وأصبحت السيارة الملاكي هي الكركوبة والروبابيكيا، وأصبح القطار هو سِلو المواطن.

ومن الإسطبل إلى الجراج.. ومن الغيط إلى الشركات والكومباوندز..

وبعد ما كان القمر فانوساً يضيئ في الليل.. وآية نتغزل بها.. أصبح مكاناً ومعمل تجارب، وأصبح للبكتيريا شخصية وكيان، له ألف حساب وحساب،

وتُصنع لها خصيصاً كبسولات مضادة لها، وخُصِّصَت لها علوم ومواد في كليات الطب.. وبعد أن كانت الذرّة رملاً من بقايا الجبل.. أصبحت تنسف الجبل نفسه.

وكانت النار كهرباء ومطهى ومدفئة ووقود الإمبراطور.. وكان الأكابر ينزلون الآبار ليشربوا الماء.

وكيف كان الجبهان يأتي في شهور من أقصى الهند يجوب المحيط بثمن الذهب ليُزيِّن الآن طبق لسان عصفور كل واحد منا، ورأينا كيف كان الذهب مثل الثلج تلهو به الأطفال، وكرات يتقاذفونها.. ولكن أصبح الآن أغلى ما نقدسه.. ورأينا كيف جعل الزفت (البترول) الحفاة العراة يتطاولون في البنيان، حتى أصبحت زجاجة المياه أغلي من لتر البنزين.. وكيف كان الماس والجواهر يوماً فحماً أسوداً.. وكيف أصبح العفن بنسيليناً والفضلات سماداً.

أنت بالنسبة لملوك زمان والأباطرة ساحر أفاق.. قارون عصرك.

فتجلس الآن في قطار مُكيَّف تقرأ ما طُبع لك، وتركب سيارتك وتحجز مقعد في طيارتك وفي جيبك يجلس راديو وتلفاز وكاميرا وشبكة تربطك بأبعد بقاع الأرض في زمن دقة قلب، وتنفخ في ملل.. وبينما أنت نائم يسعى إليك الغاز والكهرباء والماء والهواء والعالم كله في أسلاك.. والعِلم في إلكترونات تتقافز على شاشة هاتفك، وتتذبذب في سماعات أذنك.

واختفت المسافات بين الكواكب فأصبحت أقرب لنا من المسافة بين بعضنا البعض.. فأصبحنا متوحدين في تواصلنا الإجتماعي، وأصبح العِلم في المرتبة القبل الأخيرة.. بينما يتربع على الهرم مشاهير السينما ولاعبو الكرة..

وكأن المنزلة تتناسب عكسياً مع العلم.. وأصبح الإسفاف هو الموضة.

وأصبحت وسيلتنا غاية.. وغايتنا معدومة.

نعم، هو عصر العِلم.. بل جهل العِلم!

وتحوّلت أسلاك الكهرباء مشانق.. وأنابيب الماء تمعدنت.. وقطار الموت.. والهواء تكيَّف.

زمن الأوزون المخروم.

زمن الكثير فيه قليل.

فـ أصبح من يملك عربة يريد إثنين، ومن يملك طائرة يحلم بمطار، ومن يملك مطار يبني قاعدة صواريخ.. وصارت الحضارة مدينة، والمدينة قرى صغيرة، وأصبحنا ننام نهارنا.. ونعيش ليلنا، وأصبح نور الشمس يدير مصانع، وأصبحت فاكهة الشتاء في الصيف.. والصيف في الشتاء.. واختفي فصلا الربيع والخريف.

وأصبح الضمير ظاهرُه «مستتر».. «غائب» غير ظاهر.. «متصلاً» بالمصالح، وباطنُه «منفصلاً» عن الواقع.

وأصبح الإعوجاج استقامة، وفي النقصان كمال.. وأصبح المرض سلعة، والتشوهات وسيلة شحاتة، وللأعضاء تجارة!

وكل ما ظن الإنسان أن شيئاً ما سيسعده.. كان ظناً سوءاً.. فهو دائم التطلُّع إلى ما ليس معه.

إنها طبيعة الحياة.. متاع الغرور.. أليست دار الإنتقال؟!

أومال اسمها دُنيا ليه؟!

الدنيا زي البلاي ستيشـن.. كل ما تعدي مرحلة، تيجي مرحلة أصعب.. ومهما رجعت مش هترجع للمرحلة اللي قبلها أصعب حاجة.. و لما بنلعب لعبة في البلاي ستيشـن بنلعبها Hard ومش بنستمتع بيها لو سـهلة.. اشمعنا الحياة عايزينها «إيزي»؟!

الحياة كده كده ضايعة.. فـإنك تضيّع حياتك في حاجة صعبة.. دراسة، مهنة، هدف.. أي حاجة تفتخر وأنت بتموت، وبعد ما تموت تشـفع لك، وتحس إن حياتك كان ليها لازمة.

وزي ما اللعبة ليها شـفرة.. الحياة ليها شـفرات.. بس الفرق إن الحياة محاولة واحدة، ومش من الذكاء أبداً.. إنك تسيب دراعك لحد غيرك يلعب في حياتك.. ويتحكّم فيها وفيك، لأن ما حدش هيلعبلك حياتك أحسـن من حياته.. غير أبوك وأمك.. وهم عايزينك أنت تلعبها.

- فكرتني بآية تلخّص الفصل كله:

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

يا الله!

٣٠١٦

- شيبس! فيه ايه؟.. ايه اللي بيحصل؟

= اضطراب في مجال الجاذبية.

- ليه إحنا فين؟!

= لا أعلم.

- شيبس! بتعمل ايه؟

= قراءة للمستقبل.

- شيبس! اهبط حالاً بآلة الزمن.

= حاضر، سيدي.

- عايز تقرير حالاً

= بعد العلم اللي توصل ليه الإنسان، ونتيجة الصراع والحروب.. أدي انفجار ١٣ قنبلة هيدروجينية اندماجية إلى انشطار جزء من الكوكب.. فأصبح الكوكب نصف كورة، وطبعاً الكوكب فقد جزء من كتلته، وبالتالي فقد جاذبيته.

ونتيجة الانفجار الهائل ده.. نشأت سحابة دخان هائلة.. أصبحت تغطي

ما تبقى من الكوكب.. حتى حجبت أشعة الشمس من وصولها إلى سطح الكوكب المنهار لمدة تزيد عن سنة، وأدى ذلك إلى انخفاض درجة الحرارة لدرجة السقيع، وساد الكوكب شتاء نووي مرعب.. أدى إلى وفاة جميع النباتات والحيوانات، وانخفاض الجاذبية أدى إلى ارتفاع منسوب البحار والمحيطات، وساعد على هذا هروب قمر الكوكب من مداره، مما زوّد معدل هطول الأمطار بنسبة ٤٠٠٪.. يعني تقريباً طول السنة، السنة اللي طالت وامتدت لـ ١٤٦٠ يوم.. واليوم ٩٦ ساعة.

ومن ثم اعتاد سطح الكوكب على البراكين.. وألِف الزلازل.. وتشققت قشرتها وتقيأت ما في باطنها.. وأسودت السماء.. فطال ليلها.. وأستتر نهارها.. وتجمّد صيفها.. وتقرّص بردها.. وهاجت بحارها.. واستوحشت محيطاتها.. وتراكمت الأتربة داخل ذرات هوائها.

وتبدّلت نِسب مكونات الهواء.. حتى اختنق الأكسجين.. واحترق ثاني أكسيد الكربون.. وتسيّل النيتروجين.. واتسع خرم الأوزون ليشمل طبقات الغلاف الجوي كله.. الذي انضغطت طبقاته فلم يتبقى منها سوى خُرمُه.. وارتفع ضغط الجو حتى صار يهرس كل ما يقابله.. وانحسرت المياه.. وتشوهت ذراتها.. وبارت الأرض.. وفسدت تربتها.. وتَلِفت البيئة.. واختلت موازينها.

- وما موقف الإنسان؟

= بعد أن تلاشت جميع المحاصيل، وانقرضت كل الحيوانات، ولم يبقى من الهواء أكسجين، والماء لم يعد له أثر يُذكر، وحتى الأمطار كانت مسمومة.. انعدمت مقوّمات الحياة على نصف الكوكب هذا.

ولكن الإنسان استطاع أن ينجو وسط هذه الظروف.. فـ بعِلمه؛

حـوَّل احتياجات جسـمه مـن عناصر الحديـد والكلسـيوم.. وأحماض البروتين والسـكر.. وضغطها في أقراص تشـبه أقراص الفيتامين.. واسـتغنى عن محاصيل الكون.. وصنع أكسـجينه الخاص وعبّأه في أنابيب أسـطوانية، يرشـف منها ليل نهار.. وتوّصل في معمله إلى أشباه الماء وأخذ يتجرع منها.. وحَمى جسمه من الضغط الجوي في بذلات من فولاذ.

ومع انهيار نصف مسـاحة الكوكب، وبعد أن استنفذ مخزون الأشجار.. اضطـر إلى اقتلاع مسـامير الأرض، فأخذ في نسـف الجبال حتـى يبني محلها بيوته.. وبالرغم من استحالة الاستمرارية على هذا الكوكب، أكمل الإنسان حياته.. ولكن حياة هي والجحيم واحد.

- شيبس.. ايه اللي هناك ده؟ تعالي نروح نشوف

= ده سوق عكاظ

- المشي في البدلة دي صعب أوي.. لو فضلنا نزحف كده هنوصل بعد شهر.

= لا، الشهر ١٢٠ يوم.. سنصل بعد ساعة فقط.

- الحمد لله.

= الساعة هنا ٢٤٠ دقيقة.. أي تساوي ٤ ساعات مما تعرف.

* بعد ٨ ساعات *

÷ لـو سـمحت عايز ٦ كوبايات مياه.. واحدة للـشرب واتنين وضوء و٣ استحم بيهم.

+ آسف، مفيش غير ٥ بس.

÷ تمام هاخدهم.

+ مقابل ايه؟

÷ ٤ طن بترول.

+ أنا آسف المياه غليت.. الكوباية بـ طن بترول.

÷ تمام ٥ طن.. والعربية واقفة بره.

÷ لو سمحت عايز ٣ أكياس هواء بس كتّر لي أكسجين.

+ بنسبة كام؟

÷ زوِّد على قد ما تقدر.

+ هتدفع ايه؟

÷ اتفضل.

+ الكيس ده فيه ايه؟

÷ دي الكِلية الشِمال بتاعتي.

+ شغالة بنسبة كام؟

÷ نعم؟!

+ أستاذ علاء.. شوف الكِلية دي شغالة بنسبة كام.. وحضرتك استني شوية ... اللي بعده.

÷ لو سمحت كنت عايز سَنتين.

+ تمام.. بس هنا بحاسب باليوم.

÷ تمام.. ٨٠ مليار دولار؟

+ مممم، ٨٠ مليار ميجيبوش تَمن ٩ شهور.

÷ ١٠٠ مليار اخد بيهم سنة؟

+ ممنوع الفِصال حضرتك.

÷ تمام هاتلي بـ ١٠٠ مليار.

+ اتفضل ١٠ شهور و٣ أسابيع.

÷ من فضلك عايز يومين «بَصَر»، بنتي هتخلف بكرة ونفسي أشوف حفيدي.

+ هتدفع ايه يا حاج؟

÷ يومين سمع.

+ البصر أغلى من السمع يا حاج.

÷ كام يوم طيب يا بني.

+ عشان خاطرك بس يا حاج.. ٥ أيام سمع بـ ودن واحدة.

÷ ربنا يكرمك يا بني ويديك صحة تحافظ بيها على صحتك.. ويحفظك يارب.. وما توقع في زنقة هواء أو مياة أبداً.

÷ كنت عاوزة ساعتين نوم وتلاته راحة بال.

+ مش موجود والله.

÷ طب متعرفش ألاقيهم فين؟

+ هتلاقيهم في القناعة والرضا بالمقسوم.. متبصش لغيرك وارضى.. ربنا هيرضيك وحافظ على نِعم ربنا عليك، مش معنى إنها ببلاش تهمل فيها.. حافظ على صحتك وحواسك ... ويا عضو النهاردة ببلاش.. بكرة يبقى بفلوس، وحافظ على الهواء والمياة.. ربنا خلقهم بمقدار معين.

الرسول ﷺ قال: «**لا تسرف في الماء ولو كنت على نهر جار**».

كيف وصلنا إلى هذا الحد بالرغم من كل ذلك العِلم؟

الإنسان أخذ يشق المحيط.. ويجوب الفضاء.. ويفتش في باطن الأراضين.. ويحفر طرقه في أعالي الجبال.. ويمشي على الماء.. وينام في كبسولات في أعماقه.. ويتنقل داخل أنفاق الأرض.. ويشارك السُحب مع الطيور.. ويسكن القمر.

خلق الله له عينين فـمدّ بصره وراء النجوم إلى أطراف أصابع المجرات.. وأذنين فسمع ما يدور في أعماق المحيط من حوار الحيتان.. ويدان تشكلان الحديد المنصهر.. وعقل فاق أثير الكون وقوانينه.

الإنسان الذي روّض الحيوانات.. واستأنث الوحوش.. وعلّم الدواب.. وتعلّم لغة الحشرات.. وفك شفرات النبات.. وربّي سلالات البكتيريا، بل اتخذها عبيداً تنتج له دواءه.. ولعب مع الفيروس.. وسخَّر الإلكترون يجمع ويطرح له.. وهندّس الجينات على مزاجه.. فأخذ يدمج ما يروق له من صفات.. ويستأصل ما لا يرضيه.. وشرب الغازات.. وتنفس تحت الماء.. وحوّل الصيف شتاءً.. وزرع القلب الميت في الحي

وتهيأ له النور في شعاع ليزر يتداوى ويعمّر به.. وانقسمت له الذرّة في موجات طاقة تُدير له حياته.. وتحوّلت الشمس له كهرباء.. والهواء ماء.. والماء نار وحرارة تدفئ له برودة أعصابه.. فاشتعلت في فتيل غضبه.. فـ روّض الكون ولم يروّض نفسه.. حتى صار عِلمه بغياً.

وما العجيب في ذلك؟.. فكلما أزددنا علماً.. أزددنا بغياً.. وزِدنا تكبُّراً وجهلاً.

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [الشوري: ١٤].

﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [الجاثية: ١٧].

- تعالى نشوف ايه مكتب التنسيق ده!

÷ لو سمحت.. أنا كنت جاي بخصوص تنسيق الثانوية العامة سنة ٢٠١٥ / ٢٠١٦.

+ حضرتك جاي متأخر!

÷ معلش والله الشارع مقفول زبالة، والجاذبية هناك كانت شديدة شوية.

+ حضرتك كان ممكن تاخد طيارة!

÷ والله ملقتش... الدنيا واقفة فوق بسبب الأبراج وناطحات السحاب.

+ مفيش مشكلة

÷ معلش.. ملاقيش عندك أنبوبة أكسجين زيادة، اللي انا لابسها قربت تخلص.

+ حضرتك عارف والله من ساعة ما آخر جزء مش مخروم في الأوزون ما اتخرم، وفي مشكلة في الأنابيب ... عندي أكياس أكسجين صغيرة.

÷ تمام، هات اتنين.. عاوز اعرف ابني عمل ايه في التنسيق؟

+ للأسف يا افندم.. ابن حضرتك مجلوش أي كليات قمة وهيضطر يسيب الكوكب أو يدخل كليات عادية.

+ يعني ايه... ابني مش هيبقى زبّال؟ ده حلم حياته، مِن وهو صغير.. نِفسك تبقى ايه.. عامل نضافة!

+ انا آسف يا أفندم.

÷ طيب بلاش.. يدخل زراعة وري.. المحاصيل خلصانة ومفيش مياة وعايشين على تحلية مياه المحيط.

+ للأسف يا أفندم بردو مجموعه مجبش.

+ يعني ايه.. بعد كل الفلوس اللي دفعتها وسنين التعليم.. هروح أرمي ابني في كلية طب!

+ أو هندسة يا أفندم.

÷ طيب حتى خدمة اجتماعية ... الناس من كتر القعدة في البيت وقدام الإنترنت نسيت إزاي بتتعامل مع بعض.. ومحتاجين تنمية بشرية.

+ العـدد اكتمل بردو.. حضرتك متضطر تسـفّره بـره الكوكب ... أنت عـارف إن الكوكب عليه مليون واحد.. عـدد ضخم جداً وإحنا مضطرين نسـفّرهم كواكب بره عشـان الإمكانيت المتوفرة هنا محدودة.. نسـبة المياه ١٠ ٪ ونصهـا ملـوّث ومالحـة، والهـواء نسـبة الأكسـجين ٣ ٪ وكل شـوية حرايق... ومتقولش دخّله مطافي، عشان مفيش مكان بردو.

+ أيوه بـس الكواكب التانية مُجمدة.. والحياة صعبة هناك والأتموسـفير كله أمونيا والجاذبية زفت واليوم ١٤٧ ساعة.

+ دخله رائد فضاء طيب ... أهو يبقى رايح جاي على الكوكب ويقعدله يومين هنا ويومين هناك.

+ رائـد ايه وفضاء ايه ... العالم كلـه رُوّاد ودكاترة.. محدش بقى محتاج عِلم ولا علاج.. إحنا محتاجين طبيعة ونضافة.

+ آسف!

+ طيب تربية رياضية؟

+ وزن ابن حضرتك كام؟

+ ١٥٠ كيلو جرام.

+ للأسف الوزن المسموح ١١٩ كيلو

+ طيب إديني قايمة الكواكب المتاحة وأمري لله.

صحيـح التنبـؤ بالمسـتقبل صعب ولا يُسـمن ولا يُغني.. ولكن المسـتقبل لا يـأتي من فراغ.. فهو موجـود في اللحظة.. دفين الحاضر، زي الشـجرة في البذرة.. والجنين في الخلية.

الفواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل وهمية تتداخل في بعضها.. كالليل والنهار.

يمكن استنتاجه عن طريق استقراء الشواهد، وترتيب الإحتمالات، والأخذ بالأسباب.. فنتنبأ بـ حركة الشمس، أو وقوع مذنب، أو موت نجم.. قبل الحدث بسنوات.

والله أمرنا بالعلم.. بمختلف مجالاته وكيفياته:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] بيولوجيا والتشريح والطب.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٨] علوم الفلك والفضاء

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: ١٩] علوم الصخور والجولوجيا

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠] علوم الأرض والجغرافيا

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الروم: ٤٢] علوم التاريخ.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠] هو أمر صريح بالنظر في التطور.. ذلك الطريق الشائك.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] علوم الجينات.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣] علوم الأجنة.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] علم نفس.

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].. ثم أمر صريح بالنظر في جميع علوم الأرض والسماء.. بل السماوات.. ثم علوم الدين.

فالعلم يقتضي النظر والتأمل.. والسير والتجربة.. والتجرؤ على المخاطر واقتحام المجهول

و المجهول ليس غيباً، ولكن الغيب مجهول ومرفوع.. ومقتصر لله.. وأُمرنا أن نبحث في المجهول، ونؤمن بالغيبيات

- شيبس! سامع؟!!

+ ها يا معلم صرصار.. فكرت هنعمل ايه؟

+ في ايه بالظبط؟

+ أنت نسيت!.. في حوار السفر.. بيقولوا فيه كوكب جديد نقدر نعيش عليه ..

+ مقابل ايه؟

+ معانا مخزون أكل يكفي ٧ سنين

+ إحنا مش هنستحمل نعيش مع البشر أكتر من كده!

+ أنا سمعت إن البشر عايزين ينقلوا و يعيشوا عليه

+ ايـــــه ... هم عايزين يقضوا على كل حاجة.. مش كفاية بوظوا الأرض.. خلصوا على المياة.. وخرموا ألاوزون.. ده الأرض جالها احتباس يا جدع.

÷ عموما أنـا عندي فكرة.. أنا كلمت صحـابي الصراصير اللي بيطيروا.. وكلمت النحل والجـراد.. وكلمت الجيش قولتله إننا محتاجين دبابير طيارين كويسين عشان الدفع الرُباعي.

+ طب والدبان؟

÷ الدبان دلوقتي في موسم التزاوج.. هيحصّلنا في الدفعة اللي جاية

+ طيب هنطير إزاي؟.. إحنا عددنا كبير.

÷ بص.. العناكب هيبنوا بيوت من الخيوط بتاعتها على شكل أكياس.

+ بس البيوت دي ضعيفة!

÷ ماهو هنعملها كذا طبقة فوق بعض.. والحشرات تركب فيها.. والنحل يشيل ويطير بيها لحد منوصل للجزء بتاع الضغط العالي من الغلاف الجوي.

+ وهنا يجي دور الدبابير.. تساعد النحل لحد ما نعدي...

÷ بس كده في مشكلة.. الفضاء مفهوش هوا.. هنطير إزاي؟!!!

+ أنت نسيت الجراد؟! رجله قوية وبينط.. وزي ما البني أدمين بيعملوا.. بيسندوا على حاجة ويدفعوا نفسهم فـ يمشوا.. لحد ما نوصل.

÷ في ايه يا نملة؟!!!

= سيدي يجب أن نذهب الآن!

- ليه؟

= الآاااان.. النمل يشعر بالزلزال قبل حدوثه بـ ٢٤ ساعة.

- طيب يعني معانا وقت

= ٢٤ ساعة أرضية.. يعني ٦ ساعات هنا!

- كده مش هنلحق.. تعالى نستخبى أحسن

= إن لم نذهب الآن، فلن نستطيع الهروب بآلة الزمن.. وسنظل في المستقبل.

- شيبس!!.. المدينة الفاضلة!! المدينة الفاضلة.. هناك أهي.. في حد بيشاورلي!!

= سيدي.. لو ذهبنا لن يصبح هناك لا فاضلة ولا باقية.. ولا حتى مدينة!!!!

* بعد أكثر من ٦ ساعات *

- شيبس.. إقلع بآلة الزمن.

= لا أستطيع.. حدث عطل بسبب شدة مجال الجاذبية نتيجة الزلزال

- اقلِع!

= لا

- قلتلك إقلع.

= لاااا.. هنتوه في الزمكاااان!!!



هذيان

- شيبس.. أين نحن؟!

= تقصد متى نحن!

- أنا مش شايف حاجة

= إحنا توهنا في الزمكان.. قد نكون في الماضي أو الحاضر أو المستقبل

- ارفع مستوى الطاقة ٩٠ ٪.. وشغَّل الـ Recovery System.. عايز أعرف إحنا فين؟

= ولكن هذا سيُفرغ من طاقتي!

- مش مهم.. هشحنك تاني

أنا سامع صوت جاي؟ شغَّل النور! ايه ده.. ايه اللي طاير ده؟!

= ده جيش عدده ٦٠٠ مليون.. مقابل واحد بس!

- اِلحق! دول بيموتوا بدون سبب.. كام واحد مات!

= ٤٠٠ مليون تقريبا!!

- ده في واحد من الجيش دخل جوا! أنا مش فاهم! شيبس!

= مستوى طاقتي انخفض.. جاري التحميل.

- ايه الضفيرة دي! دي بتتفك من بعضها.. شبه ترابزين السلم!! وفي ضفيرة تانية هناك كمان!

= ده شريط معلومات يحمل.. حوالي.. ما.. يساوي.. ٥ مليون.. صفحة!

- شيبس! مالك!

= انخفاض.. في.. مستوى.. الـــ.. طاقة

- طب إحنا فين!

= يبدو لي.. أننا.. في الماضي.

- طيب يلا نرجع الحاضر تاني!

= لا.. نستطيع.. أن.. نسافر.. إلا.. أسبوع.. تلو.. الأخر

- ايه!! طيب، أنا هكتب كل ملاحظاتي في ورقة على ما تشحن.

الأسبوع الأول: ايه الكورة دي! دول بقوا كورتين!.. ٤.. ٨.. ١٦.. ٣٢.. ٦٤.. ١٢٨.. دي بتطلع خراطيم ومسكت في السقف!

الأسبوع التاني: الأوضة كِبرت.. والكورة بقت شبه «الدودة» و«اتعلّقت» في السقف.. وطالع منها سلك أحمر وسلك أزرق وحبل.

الأسبوع التالت: أنا شايف صلصال كأنه معضوض.. ومكان سِنان باينة فيه.. شبه حتة لحمة ممضوغة.. لحظة، دي متقسمة طبقات فوق بعض.

الأسبوع الرابع: ده طلعله ديل!

الأسبوع الخامس:!! ده في حاجة بتدُق!!.. شيبس!

= يبدو لي أننا بداخل رَحِم حيوان، سيدي

الأسبوع السادس: أه.. في ودنين اتكوِّنت أهي.. ووعينين وقلب صغير بينبض أهو وخارج منه أوعية.. ايه دي! زعانف!

= يبدو لي أننا بداخل رَحِم سمكة، سيدي

- رَحِم سمكة! قصدك بيضة سمكة بقى.. أنت شكلك تعبان أوي يا شيبس، روح اتشحن أحسن.

الأسبوع السابع: في لحم اتكوِّن أهو.. والقلب كبر شوية.. ثانية ثانية، ده إنسان!!! شيبس.. شيبس!!

أنا عايز تقرير كامل فوراً!

= جاري التحميل..

سيدي، نحن بداخل رحم أنثي إنسان بالفعل..

كنّا في قناة فالوب عند مواجهة جيش من ٦٠٠ مليون نطفة من الرجل.. ضد بويضة واحدة.. وزي ما أنت شوفت إزاي كان بيتدفق بسرعة.

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦].

وبعد كدة ٤٠٠ مليون ماتوا زي ما أنت شوفت.. حصل إنتخاب لأفضل الجنود السليمة.. فيموت مقصوف الرقبة وأبو قُصر ديل وأبو ديلين، وبعد كده يفوز واحد بس.. أقواهم وأحسنهم سلالة.. في عملية الإنتقاء Selection.

﴿جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨].

وجوه النطفة في عبوة كروموسومات وجوة البويضة عبوة زيها.. اللي هي الضفيرة وترابزين السلم.. دي تفُك ودي تفُك، ويتضفروا في بعض يكوِّنوا عبوة كروموسومات جديدة.. مزيج من التباديل والتوافيق من الصفات الجديدة، تملأ كتاب من ٥ مليون صفحة.. ودي مرحلة التقدير أو برمجة شفرية للخلايا Programming.

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٩].

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥ - ٤٦].

لا إزاي بقى!! من نطفة! ذكر وأنثي؟!

= أه!! في عبوة الكروموزومات.. في كروموسوم X وفي العبوة التانية Y.. ودول اللي بيحددوا إذا كان ذكر أو أنثي من أول يوم.

بس مش بتتكون أعضاء دلوقتي.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢].

- إزاي نطفة.. وأمشاج.. مفرد وجمع يعني؟

= لأن حركة البرمجة دي اللي تخليه من نطفة.. بني آدم في خلال ٩ شهور.. محتاج سرعة رهيبة.. زي ما شوفت ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ٦٤، ١٢٨، لحد ما تبقى توتة (أمشاج).. هي نطفة واحدة أه، بس فيها تريليونات الخلايا.. تفضل تتدحرج لحد آخر قناة فالوب.. وتغرس في تربة الرحم في الأسبوع التاني.

- تربة؟!

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

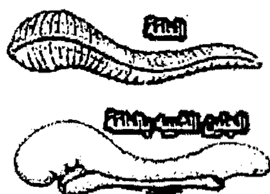
وتبدأ تتطلع خطاطيف وشرايين تمسك في سقف الرحم.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٣].

تخيل بلونة مجوّفة.. متغطية بـ ٣ طبقات: طبقة بروتينية، وطبقة عضلات مكونة من ٣ أنواع من ألياف عضلية، ثم طبقة غشائية.. وسقف الرحم له ميل معين.. غير أنه يُحاط بحصن من عظام الحوض، وتعتبر من أقوى عظام الجسم، ومتربط كله بأربطة تثبته في مكانه.. بحيث يقدر يتمدد.. وينزل بشكل أضيق يكوّن عنق الرحم.. اللي على بوابته حراسات خلوية وغدد.. غير الأسلاك من شرايين وأوردة اللي «بتعلّق» الجنين اللي شبه الدودة.

﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [القيامة: ٣٨].

الجنين هنا يشبه دودة العلقة في الشكل من حيث الخطاطيف، والممصات عشان يمص الدم، وحتى شكل العنين والديل.

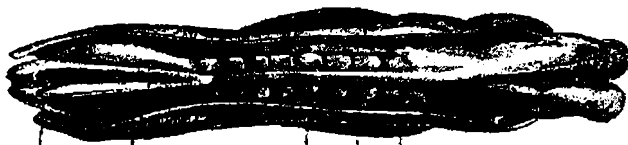


في الأسبوع التالت بعض أجزاء الجنين تبقى شبه الصلصال المسنون أو لبانه ممضوغة كده.

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ [المؤمنون: ١٤] (لاحظ «ثم» و«فـ»).

وأجزاء أخرى زي ما هي..

﴿مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].



ومرحلة التخليق diffrentiation..

إيكتوديرم: يتكوَّن منها الجلد والشعر والأظافر وفتحات الجسم من أنف وفم وأذن، جزء منها يتبرمج عصبي يخلَّق مخ وحبل شوكي وأعصاب وشبكية عين.

وإيندوديرم: يشكل غدد وجهاز هضمي وتنفسي وأذن وسطى وأجزاء من الجهاز البولي وبعض الغدد الأساسية.

وميزوديرم: تخلق عضم وعضلات وو قلب وأوعية وباقي الجهاز البولي وبطانات الجسم وأغشيتها.

ثم يبدأ يظهر الديل والشعر وتفتكره قرد.. وتتكون العظام، وإن كانت لينة.

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: ١٤].

ويختفي الديل وتظهر زعانف وخياشيم وتفتكره سمكة.. وتتغلف العظام باللحم.

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وفي اللحظة دي وعند يوم ٤٠ بالظبط يتشقلب كل شيء.. وينشأ إنسان.. ويُسرع الإنقسام وتنفخ فيه الروح، ويكتب له رزقه ويقدر له قدره.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢٣].

إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد صدق رسول الله.

وبعد اليوم الـ ٤٢ تبدأ مراحل تخليق السمع والبصر ثم خفقان القلب بالترتيب.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصوَّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها) [رواه مسلم] صدق رسول الله.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤].

من عناصر تراب الجماد المكون للنطفة إلى دودة العَلَق إلى ذيل الحيوان وجسده المشعر إلى زعانف السمك إلى تسوية الإنسان.

﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾

[الحج: ٥].

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧]

وهو بدء الخلق.. آدم عليه السلام.

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٨].. ونحن نسله من بعده.

تأمل وتدبر تسلسل الآيات

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧ - ٩].

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمًا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

﴿ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلًا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ ﴾ [الحج: ٥].

ثم تبدأ مرحلة التسوية، واستقامة عظام الذراعين والرجلين، وتشكيل ملامح الوجه، وتقويم وجمال الإنسان في أحسن صورة.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٧ - ٨].

وصلنا إلى الأسبوع التاسع: بقى قد الزتونة أهو ما شاء الله.. ودي رُكَب وكوع اتكونوا أهو، وتقريباً أمعاء وبنكرياس دول، وبدأت الملامح تظهر، والنمو بقى سريع جداً.. دماغه بقت قد نص جسمه عشان المخ ينمو أكثر.. شايف بيمص صوابعه! ده نام!!!

شيبس! ده ولد! يا ما أنت كريم يا رب!

= هو ابنك؟!

- لا.. بس بيكبر قدام عيني.

شايف بدأ يسمع صوتنا إزاي وبيميز الأصوات (الأسبوع ١٣) وبيتحرك أهو (١٤).

بص جلده شفاف وعليه مادة غشائية تحميه (١٤)

بدأت الدورة الدموية تنتظم، وبدأ يتنفس السائل الأميوني اللي حواليه اللي بدأ يزيد وهنغرق يا شيبس.

= تم تعبئة أنابيب الأكسجين

- سامع نبض أمه يا شيبس! ده هو كمان سامع!! وبيستجيب للنور، اقفل كشاف آلة الزمن (٢٠)

ده بيضحك!!!! ده سامع صوت أمه (٢١)، وصوت باباه (٢٢) شايف لسانه وجذور سنانه!! (٢٤)

شيبس ده مسك إيدي!! البصمات بدأت تتكون! (٢٥)

العين اكتملت.. وفتحت!! (٢٧) ده هو بيعمل كده ليه؟

= بيحلم.. وده دليل على أن المخ تطور

- ده بيعوم!

= دليل على إن العضم اكتمل بس لسه طري.

- شيبس! المكان بقى ضيق.. يلا نخرج.

= الخروج ليس سهلاً.. نحن محاطون بثلاث غرفات.. غرفة الأمنيون بسائلها اللزج وغشائها، وغرفة الرحم بطبقاتها وجدارها، وغرفة البطن بعضلاتها وجلدها وعظام حوضها.

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾ [الزُّمَر: ٦].

- أومال هو هيخرج إزاي؟!

= ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢٠].

تحت تأثر هرمون الريلاكسن.. يبدأ الحوض وأربطته في التراخي، وتحت تأثير الأوكسيتوسين ينقبض الرحم انقباضات سريعة.. وينفجر كيس الأمنيون اللزج، ويتعاون الطفل في الإنزلاق بأن يستدير برأسه نحو الجاذبية ويدفع بقدمه.. ليخرج لهذه الدنيا.

- شيبس! ده مسك إيدي تاني.. افحص بصمته.

= لماذا؟

- عشان عايز أعرف مين ده.

= جاري فحص البصمة.. تطابُق

- ها مين؟

= سيدي.. تطابقت البصمة مع بصمتك.

- هو ايه اللي تطابقت!!!!!.. كرر الفحص!

= تطابُق.

- ارفع مستوى الطاقة ١٥٠ ٪.. كرر الفحص!!!!

= تطابُق

- هـو أنـا كل ما أقولك افحـص بصمة حد تقوله تطابـق!! خد خلية من بصلة الشعر وافحص الـ DNA حالاً!

= تطابُق.

-!!!!

= ما بِك سيدي ألا تحب الطفل؟ الأ تعجبك الحياة داخل بطن أمك؟

- أنـت مـش فاهـم حاجـة.. يعـني الـلي هنـا أنـا.. والـلي هنـاك أنـا.. هاهاهاهااهاهاهااهاها.. أااااااااه..

اهاهاهاهااهاهاهااهاه

= سيدي، هل فقدت عقلك؟

- بالظبط والله.. أنا فقدت عقلي حرفياً.. هاهاهاهاهاهاهاهاا.. أنا ضيعت.. انتهيت.. أنا ميـّت.

= سيدي

- سيدك مات.. أنا قتلت نفسي في الحاضر.. لا أقصد في المستقبل.. لا في مستقبل الحاضر! هاهاهاهاههاهها!!

- سيدي الميت

= أنا قتلت الراجل اللي في الكهف

- تقصد توأمك؟

= هو فين توأمي!! أنا في بطن أمي أهو.. ومفيش غيري.. أنت شايف حد!! شايف حد!!!!!

- ولماذا قتلت توأمك.. أقصد نفسك؟!

= عشان أخد عقلي أحطه في مجموعة عقول المدينة الفاضلة.. عقلي الغبي!

أنا غبي.. إزاي مخدتش بالي إن بصمة الإيد في التوأم مختلفة.. يعني هو لو كان توأمي كانت بصمتنا هتبقى مختلفة!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

قتلت نفسي يا شيبس.. فتحت دماغ نفسي.. ومسكت المخ وأنا فاكره مخ توأمي، وهو مخي.. روحي طِلعت قدامي!!

= تقصد نفسك اللي طلعت!

- مش وقتك يا شيبس!!! مش وووووقتك!! بس إزاي؟!

إزاي قابلت نفسي؟!

= أنت تعرف كيف.. الثقب الأسود الدوّار! جاذبيته الهائلة التي تجذب أي طاقة حتى شعاع الضوء.. ويُطوى بداخلها كما يُطوى الزمن.. وتتجمد كل القوانين.

- ومين فينا الماضي؟ أنا ولا هو؟!

= لا أعلم.

- عِلم! العلم هو اللي قتلني.. قتلت نفسي بالعلم، ومِن العِلم ما قَتل هاهاها.

و ايه يعني.. ما إحنا كل يوم بنقتل نفسنا بالعلم؛

المبيدات الحشرية تقتل الحشرات والنبات وتقتلنا معها.. والإشعاع الذي يقتل ويشوه الجنين في بطن أمه.. والديناميت الذي أحرق صاحبه.. وسلك الكهرباء الذي يشنق به نفسه.. ومُخلفات العِلم وكيماوياته التي تقتل السمك المُسالِم في عقر بيته ثم يقتلنا تسمُّمه.. وهفوات نواة الذرة وأخطاء مفاعلتاتها.. وسموم غازاتنا وأبخرة معاملنا وعوادم ماكيناتنا التي اخترقت غلاف الجو ولوّثت فضاءه وبالذرّة قتلنا وشوّهنا قارات بالكامل.. زي ما شوفنا في المستقبل.. هاهاها المستقبل.. المستقبل اللي راح.

هاهاهاهاهاها.. شيبس! الجنين بيتكلم! وآلة الزمن بتتكلم! كل حاجة بتتكلم! شعري بيتكلم!

شعره: زعلان أوي إنهم «حلقولك»؟! طب ما أنت «حلقتني».. ده أنت اللي «مربيني»!!! هونت عليك؟؟.. «قِشرة» سنين.. كنت ماشي بمزاجك... أبقى «نايم» في أمان الله.. ألاقيك مغرقني مية في عز البرد وتحط عليا جِل.. وأفضل واقف طول اليوم على «جذور» رجليا ... وفي عز الحر تفتح عليا هواء سخن.. «استشوار في الحر ده».. قولي أنا عمري «قصّفت» معاك.. وجزاتي إيه خلتني «ع الزيرو» عشان تفتح جمجمتك وتطلّع مخك!

الـتي شيرت: تستاهل.. لازم يبيعوك، زي ما بعتني ... أنا استحملت معاك كتير وأنت طلعت «نُص كُم».. اسـتحملتك لما كانت إيدك مبلولة وتنشف فيا.. اسـتحملت عرقك.. اسـتحملت الأكل اللي بتوقعه عليا، واسـتحملتك وأنـت بتكـوي فيا.. بتكوي في جسـمي عشـان تبقـى أنت شـيك ... أنا ما «صغرتكش».. أنت اللي « كِبرت واتكبرت» وقولت إني مش من «مقاسك».. بعد ما كنت هتموت عليا.. دي آخرتها: «تمسح دمّك فيا»!!

العـين: أومـال انا أعمـل ايه طول اليـوم مبرق ومبحلـق في حاجة منورة وبشـوف حاجات وأشـكال غريبة.. وكلـه كوم ولما يبقى نايـم في الضلمة وأفتّح على شاشة منورة كده ... يعني ضلمه ونور مع بعض!!!

مبقتش عارف أبقى conistricted ولا Dialated!

المخ: دي نضارات..

الأنف: يا عم النضارات دي ما أنا شايلها طول اليوم على دماغي.

المخ: دماغك ايه؟! متنساش نفسك ... أنت مناخير.

العين: بس أنا اللي شفته وهو بيقتل.. شوفت عينيا وهي بتقفل.. وشوفت الدم، وهو بيفتح دماغه كأنه بيفتح صندوق.

- مقتلتش حــــد..

الأذن: الحقـــوووووني ....أنــا تعبت خلاص.. طـول اليوم مدخل فيا حاجة كده، ويارتيه بيســمع حاجة مفيدة.. ده غير النضارة اللي شايلها عليا طول.. أنا قرقوشتي مش هتستحمل أكتر من كده.

المخ: أه دي سماعات.

الأذن: أنا سمعته.. سمعت صريخه المكتوم.. أنا شاهد على إنه قتله.

- يا جمـــاعة.. لاااا..

اللســان: أف.. ايه الحر ده ... هو مش هيبطل الدخان اللي بيشرب به ده أنا خلاص مش طايق لُعابي.

الأنف: قوله والنبي يا عم.. دي الرئة تعبانة وبنكُح تراب.

المـخ: أنـت مش عاجبـك حاجة.. ليه حـاشر «مناخيرك» كـده في كل حاجة.

الأنف: أومال أحشر ايه.. ما أنا مناخير أصلا.

المخ: أه صح.

- حد يرد عليـا.. مقتلتش!!

اللســان: غـير إنـه مش سـايب حـد في حالـه ومبيقولـش كلمـة عِدلة ومبيسكتش.

المـخ: هيجيلـك يـوم عظيـم.. أنـت هتسـكت وإحنـا نتكلـم
القلب: أنتو هتناموا ... ولا أقف وأموتكوا كلكوا؟!!

- مقتلتش يا جماعة ..

- اليـد: لا قتلـت.. قتلت بيا.. بالمشرط ده.. محدش حاسـس بيا.. أنا اللي كسرت الجمجمة.. وخرّجت المخ سليم.. وحطيته في برطمان.. عشان تحافظ على عقلك.. ضيعت نفسك!

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

أنــا

أنا مجرد شـخص.. فرد عدد واحد راكب.. محبـوس في أوضة.. محطوطة في شقة من الجسم.. في عمارة إنسان.. وسط عماير كتير في شارع طويل من ضمن شوارع الحياة.. جزء من محافظة.. قد تكون عاصمة أو عاصفة في بلدٍ ما من بلاد قارة في وسـط ٦ والسـابعة مُجمّدة.. على كوكـب ليس دائرياً ولا بيضاوياً بس لونه حلو وسـط ٩ كواكب.. في مجرة قد.. بل أكيد أنها ليست الوحيدة في ملكوت موجود في علبة سودة منقطة أبيض ملفوفة لفة هدايا.

أنـا علبة جوة علبة جوه علبة في صنـدوق مكانه حاوية ضمن حاويات سـفينة.. منقولة في حاويات سـفينة تحمل سـفن لنقلها.. في زمـن لا يتعدي الـ ١٠٠ سنة.

أنا تايه في النص مش عارف أنا ماضي ولا حاضر.. ومليش مسـتقبل.. ولا عارف أتقدم ولا قادر أرجع.. وأرجّع اللي راح

لا لا.. أنا كائن مُعقّد بسيط.. مُتشابه بس مُختلف.. معقد في تفكيري، في تركيبي.. بسيط في نهايتي المتشابهة.. مع ناس كتير بس أنا مُختلف بكوني أنا.. أنا محدش غيري «أنا».. محـدش زيي.. محدش عنده نفس أحلامي وأيامي.. مفيش منك مُستنسـخين بنفس جيناتك وكروموسوماتك.. يطاردوك عشان يقتلـوك وياخدوا طاقتك أو تتوزع على باقي المستنسـخين بالتسـاوي.. أو يحبسوا مخك فأر تجارب.

جايز أكون وِحِش وبنكرياسي أحلى مني وقلبي مش مكالمة رومانسية ولا بوكيه ورد أحمر.. قلبي عضلة بـ تلات إوَض وصالة بتضخ سائل أحمر اسمه دم وكلام أحياء سنة ٥ إبتدائي.. بس بردو لو شيلت شوية الجلد والكرياتنين هنبقى كلنا شبه بعض وجايز نبقى أحلى من الأول، شبه بعض ما يميزناش إلا شوية تجاعيد وتلافيف موجودة في مخك القانِت في صندوق العضم.. أغلى ما تملك وده اللي يميزك كـ كائن حي بين ثدييات وزواحف ويميزك كـ إنسان بين بني آدمين كتير في العلبة السودة اللي قولتلك عليها.

كلنا ذلك الشخص السيكوباتي الشيسزوفريني الـمُعقَّد.. ولكن أنت في إيدك تكون في العلبة وتشوفها من جوه.. وفي إيدك تشوفها من بره وجايز تغيَّر لونها.. في إيدك تبقى الجرثومة الـ ٠,٠١ ٪ اللي ديتول مقدرش عليها أو تفضل زيك زي غيرك من الـ ٩٩,٩ ٪.

- أنا موتت نفسي يا شيبس.

= قصدك قتلت نفسك!

- وايه الفرق؟!

= الموت هو خروج النفس من الجسد، فيبلي من بعدها الجسد.. والقتل هو أن يبلي الجسد فـ تذهق من بعده النفس!

- أنا قتلت نفسي بجهلي.. بجهل العِلم.. العِلم الأسود.

وايه الفرق أصلا بين العلم والجهل؟!

العلم زي العمر.. كل ما يزيد يقل.. كل ما العِلم زاد الجهل زاد.. كل ما تعرف أكتر تكتشف إنك كنت جاهل أكتر.

نحن نعلم سـلك الكهربـاء ونجهل الكهرباء، ونـرى النور ولا نعرف ما النـور، ونعرف تفاحة نيوتـن ونجهل الجاذبية، ونقيـس الزمن ونجهل ماهية الزمن، ونستخدم الإنترنت ولا ندرك موجاته، ونقسِم الذرّة ولا نعرف شكلها ولا شكل أبنائها البروتونات والإلكترونات.

حتى الثقب الأسـود.. ليس ثقباً ولا أسـود.. هو نجم تكدّس على نفسه، وضُغِطَـت فراغات ذراتـه، حتى تضاءل حجمه إلآ حجـم أصغر من ذرته، وحافـظ على كتلته كما هـي.. مما زاد من جاذبيته لتكنُس كل ما حوله، زي السـفنجه تقدر تضغطها في قبضة إيدك أو أصغر.. ولكن كتلتها تفضل زي ما هي.. وسُـمي أسـود لأن حتى النور لا يفلت منه.. ولا ينعكس بداخله.. فلا نرى له لون.

والاسم الأدق هو مكانِس الكون.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ [التكوير: ١٥ - ١٦].

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾ [التكوير: ٢].

﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾ [المرسلات: ٨].

حتـى إننا نعرف الحياة، ولكـن لا نعرف الموت وما بعد الموت، ولا ما قبل الميلاد.. وكل ما نعرفه هو نصف القصة.. بل فصل منها.. بل اسمها.

الموت في الحقيقة حياة.. الموت عملية الحياة.. والمستقبل هو رفاة الحاضر وجثة الماضي.

الموت ليس نقيض الحياة.. بل مصيرها.

نحن نموت بداخلنا كل لحظة ؛

كل شعرة تسقط.. كل نقطة لعاب تسيل.. كل دمعة تريق.. كل قطرة عرق.. كل خلية.. مليارات الخلايا تموت في اللحظة وتولد غيرها.. ملايين كرات الدم تُنتَج وغيرها يُستهلَك، ويتم معالجته مجدداً.. والدهون تحرق.. والبروتين يتكوَّن، وغيره يتحلل.. وفرن الكبد ينصهر بما فيه.. والمعدة تنضح بما فيها.. والأمعاء تتصارع.. والأكسجين يدخل.. ويطرد الكربون.. والجلد يتراكم.. ثم يتطاير ذرات في الهواء.

ليس هناك شيء باقٍ.. كلٌّ زائل وكل فانٍ.

حتى الأفكار.. تتفتح وتزدهر ثم تذبل وتسقط، ولهيب العواطف يبرد، ونار الحماس تُخمَد، وشرارة الذكاء تنطفئ والشخصية تخرج كالجنين.. من طور إلى طور.

وقطار الحياة الحلزوني الذي يدور على قطبان إلى ما لا نهاية.. فما أن يبدأ راكبها في محطة حتى ينتهي إليها مرة أخرى.

فالطفل يُولد ضعيف البصر والسمع.. بلا أسنان ولا لسان.. يحتاج منَ يأخذ بيده حتى يمشي.. ومن يحمله حتى ينام.. ومن يمضغ عنه الأكل.. ويصيغ له شرابه.. ويقضي له حاجته.. من يبدِّل له ثيابه.. وينظف له بدنه.. ويحسب له خطاه.. ويحتاط له في طريقه ..ويسهر له الليالي.. ويقيم معه نهاره.. ويرسم له أحلامه.. ويطرد منها مخاوفه وكوابيسه.. ليستيقظ فيجد شعره اشتعل شيباً.. وعظامه تشكو وهناً.. عجوز القلب.. هَرِم العقل.. لـ ينوب عنه من كان ينوب هو عنه.. لأنه أصبح ضعيف البصر والسمع.. بلا أسنان ولا سنان.. يحتاج من يأخذ بيده حتى يمشي.

إلى آخر الدائرة المفرغة.. وكأن العجوز عاد طفلاً بشعر أبيض.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

قد جئتُ الدنيا في عجلة.. وولدتُ في ٤ عجلات «ترولي».. وخطوتُ خطواتي الأولى في عجلتين «مشّاية» أول هدية لي كانت «عجلة» بعجلتين.. ثم سيارة بـ ٤ عجلات.. ودارت عجلة الحياة حتى توقفت عجلة الإنتاج.. فعُدتُ أخطو خطواتي الأخيرة في كرسي بعجلتين.. ثم إلى الترولي أبو ٤ عجلات مرة أخرى.

وكأن الحياة عجلة ... عجلة تزق عجلة.. بنعيش على عجلة.. ونموت في عجلة.. فجأة نتسرق ونقع من على العجلة.. خليك في عجلتك وسوق على مهلك وبلاش عجلة.

لأن الموت هو المونتاج الذي يأتي على شريط الحياة.. ليضفي عليها معناها ويجلي أهميتها.

وإذا عرضت شريط حياة أي حد منا.. سنرى أنه من لحظة ميلاده.. «نفسه يكبر» وكأنه أسير اللحظة ويريد أن يتحرر منها.. ليسجن في لحظة أخرى.

فـ عندما وُلِدتُ «كان نفسي أكبر» حتى آكل وأشرب كما هو حال أي نبات.

ثم «كان نفسي أكبر» تاني حتى أمشي وأجري وأقفز كما هو حال أي أرنب.

ثـم «كان نفسي أكـبر» حتى ألتحـق بالمدرسـة وأحمل حقيبتـي.. وفي الإبتدائي «كان نفسي أكبر» حتى لا أذهب إلى المدرسة.

وفي الإعدادية «كان نفسي أكبر» حتى اتخلص من ذلك الشنب الأخضر والصوت الأجش.. أو أعتاد عليهما.

وفي الثانوية «كان نفسي أكبر» حتى أصبح طالباً جامعياً حراً قد «ذاكر عشان يرتاح بعد كده».

وفي الجامعة «كان نفسي أكبر» حتى أجد وظيفة تأويني بعد أن اكتشفت أن كشكول المحاضرات اتلغى ولن أجد ما احتضنه.

وفي وظيفتي «كان نفسي أكبر» واترقى حتى «أكـوّن مستقبلي وأتجوز» ونسيت إن في الثقب الأسود لا يوجد مُستقبَل.

وفي زواجـي «كان نفـسي أكـبر» وأخلّـف لأني عِرفـت أن الزواج هو الثقب الأسـود الـذي يقضي على اليابـس والماء.. (لاحـظ أن كلمة «حتى» اختفت فلم تعد هناك طموحات بعد الآن).

وعندمـا أنجبـت «كان نفسي أكبر» عشـان ابني يكـبر قدامي وأحشره معايا في عربة المترو وألف بيه على المحطات.

وفي كل محطة.. نُفاجأ بأن الجنة ليست هنا.. فنعود لنكمل الطريق.

لحد ما عَجِّزت و.. ومبقتش أمشي وكنت بجيب ألبوم الصور ده واتفرج وأقول في سري «نفسي أصغر» تاني لـ أول صورة وريتهالك.. طب لـ شـنب أعدادي.. طب لصياعة ثانوي.. طب شـقاوة الجامعة.. طب ليوم جوازي.. ليوم ما خلفت... لقيت العمر عدي بيا بسرعة وملحقتش.

كان كل همي «نفسي أكبر».. نفسي المرحلة دي تخلص.. طب ليه.. ماتعيش سِنك.. عيش كل لحظة.. اللحظة اللي راحت دي مبترجعش.

دي بقى.. آية «يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي» بتلخص كل اللي فات ده.. فجأة هتلاقي العمر راح. وأنت قاعد دلوقتي عمرك زي ساعة العد التنازلي Countdown.

ويخلص وشريط حياتك يعدي وتلاقي كل مرحلة كان نفسك تعديها لو كنت كبير تصغر ولو كنت صغير تكبر وأنت مدتش كل مرحلة حقها وتقول يا ليتني قدمت لحياتي.

الدنيا محنة.. وامتحان، لا يعرف الإنسان قيمتها ولا قيمة نفسه.. حتى إذا انتهت وانتهى الزمن.. وأعيد ترتيب النفوس إلى درجاتها..

وما يفضحنا هو الموت.. كالعادة، ما لا نملكه يكشف لنا ما نملكه.

الشيخوخة تفضح جمالنا.. والحرمان يكشف نفوسنا.

أنا ميت.. نحن نموت.. نموت معناوياً ومادياً.. أدبيا علمياً حرفياً، نموت.

نموت تدريجياً من لحظة ميلادنا.. حتى لحظة ميلادنا الأخرى.

كل نبضة وخفقة.. كل نفس وهمسة.. كل فكرة وذِكرى.. كل خطوة وهفوة.. هو قرش ينفذ من رصيدك، ينفذ من رصيد لا تملكه، ولا نعرف قيمته، ولا فوائده ولا بدلاته.. ولا يوجد تأمين ولا إيداع.

فما يذهب لا يأتي.. وما يفني لا يعود.

مثل خلايا المخ.. عددها محدود غير قابل للتجديد والتكاثر.

فنحن لم نخلق عبثاً.. ولم نرث الأرض والسماوات ببلاش.. ولم يُنفخ فينا من روحه هباءً.. ولم تسجد لنا الملائكة بلا سبب.

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

فها هو أحسن تقويم مصيره الموت.. وبه سوءة وعورة.. يبول ويغوط ويمتخط ويقيئ ويمرض ويشيخ ويصيبه العلل ويتآكله التلف.. فيفني.

والشمس ما أن تشرق حتى تغرب.. ولا تنبت الورقة لتحيا إلا أن تموت غيرها.

الإنسان معجزة المتناقضات.. فإنه يحتوي على خالد.. ميّت يشتمل على حي.. عبدٌ حر.

جسده يُقيّده، وروحه تحلق به، ونفسه تصهر الحديد، ويسوّي الجبال بالأرض، ويشُق الأنفاق.. فأعضاؤه تبدو في التشريح مادة يُمكن وزنها وقياسها.. والنفس لا يدركها ميزان ولا يحيط بها علم، لأن العلم كالحواس.. لا يؤمن إلا بالملموسات، وما نراه تحت الميكروسكوب، وخلال التليسكوب، وما تلتقطه أقمارنا الصناعية، وما ترصده رداراتنا وكاميراتنا، وما نشخِّصه بالإكس راي، وما فوق البنفسج.

إن أكثر ما نؤمن به غيبيّ.. ولهذا سُمي الإيمان.. لأن الله علمنا الأسماء فقط.. وأمرنا بتعلُّم المُسميات.

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١].

العلم مش إنك تقفل شرنقتك على نفسك وتقعد مستني الوحي ينزل عليك.. لأن العالم الحقيقي هو التلميذ المتواضع العاكف على المتحف الرباني، العابد في محراب جمال الطبيعة.. ومملكة الكون وملكوت الله.

فالعلم متوارث.. نتلقاه من الله.. الذات الأعلى.. أو من الأكابر والعلماء الذين تلقوها من الذات الأعلى.. فالله هو الـمُعَلِّم الوحيد.

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقـرة: ٣٢].

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

نحن نمدح العالِم.. ونهاب القوانين.. ونبجِّل واضعها.. وننسي خالقها!

فلا تبرر كَسَـلك للعلـم بـ بُعبُـع الروتـين.. وتقنُّن الإمكانيـات.. وفقر الماديـات.. فالعلم في الكتب وفي المكتبـات.. وهي الآن أرخص ما يكون.. بل مجاناً.

هات ورقة وأنا أوريك..

لو شـعاع الشـمس على حتـة الأرض دي كان بينزل عمـودي النهاردة.. وبكرة نزل على الأرض نفس الشعاع بس بميل.. ده معناه ايه؟

- إن الأرض بتلف!

حلو.. طب لو الشـعاع عـلى حتة الأرض دي كان بينـزل عمودي.. وفي أرض تانية بينزل بميل في نفس الوقت!! ده معناه ايه؟

- إن الأرض مش مُسطحة.. مُحدبة.. يعني كروية.

و بمعلومات بسـيطة زي إن المسافة بين إسـكندرية وأسوان حوالي ٨٠٠ كم.. وفرق ميل شعاع الشمس بين إسكندرية وأسوان ٧,٢ درجة.

٨٠٠ كم فرق المسافة ——— ٧,٢ فرق الميل

؟؟؟ محيط الأرض ——— ٣٦٠ محيط دائرة

محيط الأرض = ٣٦٠ × ٨٠٠ ÷ ٧,٢ = ٤٠٠٠٠ كم

بمعلومات بسيطة وطريقة المقص اللي خدناها في إبتدائي.. لفيت المتر على كوكب الأرض وقيسته.. وأنا قاعد مكاني

نجرب تاني..

الشهر الهجري ما بين ٢٩ و٣٠ يوم.. يعني متوسط(٣٠ + ٢٩) ÷ ٢ = ٢٩,٥ يوم

يعني السنة الهجرية ٢٩,٥ × ١٢ = ٣٥٤ يوم

والشهر الميلادي ما بين ٣٠ و٣١ يوم.. يعني متوسط (٣٠ + ٣١) = ٣٠,٥ يوم

يعني السنة الهجرية ٣٠,٥ × ١٢ = ٣٦٥ يوم

يعني الفرق ٣٦٥ - ٣٥٤ = ١١ يوم

يعني في ٣٠٠ سنة.. هيبقى الفرق ١١ × ٣٠٠ = ٣٣٠٠ يوم

يعني ٣٣٠٠ ÷ ٣٦٥ = ٩ سنين تقريباً

ودي المدة اللي مكثتها أهل الكهف في كهفهم.. ٣٠٠ سنة شمسية.. زادت بالحساب القمري ٩ سنين.

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ [الكهف: ٢٥].

ومَـن منا لم يصل إلى نظرية في يوم ما.. وصرخ.. أنا عالم.. أنا عبقري..

- توصلت إلى أن: في مثلث قائم الزاوية، مُربع طول الوتر يساوي مجموع مربعي طولي الضلعين المحاذيين للزاوية القائمة.

وهـي في الحقيقة.. نظرية فيثاغورس.. وكل مـا فعله أنه جرب أكثر من مرة، وتدبَّر وتأمل، وعكف على التفكير.

في ظروف تانية كان ممكـن تتولد قبل فيثاغورس.. وتوصل للنظرية دي وتبقى أحمداغورس.. صح؟

لأ..

عشان إحنا بنخاف.. بنخاف من كل حاجة وأي حاجة، بنخاف نقول.. بنخاف نسمع.. بنخاف نفكر.. بنخاف نفتكر.. نكتشف.. نتكشف.

بنخاف نحلم، يطلع وهم.. نتمني، يطلع سراب

لو جاتلك فكرة.. بتخاف تقول، هيقولوا عبيط.. شـايف نفسه.. خليني ساكت.. مليش دعوة.. كان غيرك أشطر.

فعلاً.. كان غيرك أشطر، وبقى أشطر وأشطر.

بنخـاف نفكـر.. وخصوصاً.. لـو في مواضيع غيرنا خـاف يفكر فيها.. بنخاف نتناقش، أو مبنعرفش نتناقش.. فبنخاف.

الفكرة بتتولد خايفة.. وتموت هربانة.

الفكـرة زي الذرّة.. حوالينا طايرة.. كل يوم بنتنفسـها.. بتخرج وتدخل عـادي، قدامنا طول الوقت.. إحنا مبندورش عـلى الفكرة.. الفكرة هي اللي بتدور علينا.. على الشخص المناسب اللي يستحقها

الفكرة لا تفنى ولا تستحدث من عدم

= بس دي بتاعة نيوتن!

المدينة الفاضلة

مدينتي الفاضلة

جئـت إليـكِ اليـوم وبين يدي أثمـن ما يمكـن أن يقدمه إنسـان.. لأضعـه بـين توليفة عقـول وتشـكيلة عباقرة ومجموعة جهابزة.

لا لم أفقـد عقـلي.. بـلى فقدت عقلي، حرفيـاً فقدت عقلي.. وهو شـعور غريـب أن أتحسـس تجاعيد ذلك الذي أرهقني تفكـيراً وأرهقته عِلماً وأرّقني ليالي.. وصدّعته نهاراً.

و مـا هـو أصعـب وأنا أقص حبـلي الشـوكي.. شـعرتُ وكأني أقص حبل أفكاري، وأنا أحنّط لحم مخي الطازج.. جمّدتُ معه أفكاري البِكر.

أمسـكت بشراييني وأخذت أُفـرغ الدم منها.. وأفرغت معها سـيلاً من الأحاسـيس الدافئة والمشـاعر المتجلطة، وأخذْت أسـلخ أغشـيته وأخذَت ذكريـاتي تنسـلخ معها.. قطرة قطـرة ولحظة لحظة.. ثم هممـت أحقن مادة الحياة في سر الحياة الميت.. ببطئ.. لأُوقف تحلُّل ما بقى منه.. فتسـكت معها خواطري وتسكن معها آلامي إلى الأبد.

المـخ يغوص بين أحضان سـائل شـفاف.. ويغوص معها مسـتقبلي تحت أعماق سواد جهل علمي.

وما العجيب وما المؤسف؟!

وأنتم تفعلون هذا كل يوم وكل لحظة..

ولا ألومنّ نفسي أبداً.. فما أردت إلا أن أمنعكم من تخبئة عقولكم في قوالب زجاجية.. قوالب تعزل الصوت والضوء والفِكر والتحضُّر والتساؤل.. حتى الهواء

عقولكم تعفنت!

كان يجب أن أستأصل الشر من جذور أفئدتكم.. وقد فعلت، ودفعتُ ثمن فعلتي عقلاً.

فكانت الثمار.. مدينة فاضلة، مدينة كل مَن فيها ناجح.. عاقل متعقل.. لا يعرف إلا الخير والعلم والعمل.. كل من فيها شريف عفيف.. يسعى من أجل السعي.. يعشق رائحة العمار.. وتتراخي جفونه من الرخاء، فلا تنام.. إلا وقد أدت ما عليها.. ووصلت إلى حد الكمال

لا صراع ولا جهل ولا همجية.. ولا شيخوخة ولا مرض ولا نقص.. لا عنف لا فقر لا شر..

لا شيء..

سوي المدينة الفاضلة..

وها أنا وقعت في جهل علمي مرة أخرى.. فنسيت أن التفاضُل لا يأتي إلا بالتكامُل.

فالطبيب لن يداوي أصحاء، ولكن سيداوي جرح بطالته.. فلن تطيب..

والشرطيون لـن يقبضوا على أبرياء، ولكن سـيقبضوا على طموحاتهم.. فلن يجدوها.. والمهندسـون لن يرمموا العمران، ولكـن يرممون أحلامهم بخيوط مـن سراب.. والقضاة لن يحكموا على الفـراغ في الأقفاص.. ولكن حكموا على أنفسـهم بالسـجن المؤبد في أقفاص الفراغ.. ومجاري الصرف لن تصلح ذاتها.. والحرائق لن تطفئ نفسـها.. والقمامة لن تُلقي بنفسـها إلى التهلكة.. إذا ترفّعنا عنها.

فكان ولا بد من الشر.. لا مفر منه.

سُنة الحياة.. وكافة ميزانها الثاني، والوجه الأخر للعملة.

فلابـد مـن المـرض والشـيخوخة والمـوت، ولا مفـر مـن السـم والعفن والميكروب، ولا سـبيل من دون الزلازل والبراكـين والأعاصير.. فالبراكين هي بوابة كنوز الأرض.. فهي كما تقيئ حممها، تفرز معادنها، وهي في الأصل جبال.. مسـامير وثُقّـالات تحفظ الأرض من أن تميد، والزلازل هي تنفيسـة الأرض عن الضغط الزائد في باطنها.. لتحمي ظاهرها وتحفظ قشرتها.

ومـن المرض تنشـأ المناعـة.. ومن الشـيخوخة عرفنا الصحـة وقيمتها.. ومن السـم نأتي بالترياق.. ومـن الأعاصير تتلقح الزهور ومن العفن نشـتق البنسلين.. ومن الميكروب ننتج الإنسولين.

حتى في الموت منافع.. وِرث لمن بعده.. ومناصب لمن يخلفه.. ومن الموت عرفنا إكسير الحياة.

وبأضدادها عُرفت الأشياء.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ

لَكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

حتى الحروب.. فهي كالبركان ما أن تهيج بما فيها.. حتى تهدأ.. وتفرز هدنتها.. وتعقد اتفاقيتها.. وأثناء فترة حمل الحروب.. تنجب عقول العباقرة معظم اختراعات العصور.. ومن مشقات الحروب تنجلي معادن الرجال.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فالشر عَرَض مؤقت زائل.. يخلف خيراً كثيراً.

فما رأيك.. بعريس تصدمه سيارة في ليلة زفافه.. لتهرس كليته اليسرى.. فيقضي الشاب باقي عمره.. ذا كلية واحدة.

لماذا هذا الشر كله؟! ماذا فعل يستحق به هذا؟

فتأتي نتيجة التحاليل.. بالكشف عن سرطان خبيث.. في أوائل بدايات مراحله.. قد بدأ يكشر عن أنيابه.. ومن المعروف أن سرطان الكلى صامت.. يقتل على نار هادئة.

لماذا كل هذا الخير؟! ماذا فعل يستحق به كل هذا؟

﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

هذا لأن الدنيا رِواية.. والآخرة فصلها الأخير.

فالعيوب التي نراها نحن عيوباً.. هي في الحقيقة تكامل للصورة الكُليّة.. لأن كلٌّ منا بداخله شر.. الشر جزء من إنسانولوجيتنا.

فـ الإنسـان ليـس حاصل جمع الجينـات.. وتوازن الشـخصية في مجموع صفاتها.

بل لو وضعت حيواناً أمام المرآة.. لرأيته يتعارك مع انعكاس صورته!

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ - ٨].

بل أن نقص الكون هو عين جماله.

وفي إعوجـاج الضلـع حُنو عـلى القلـب.. وفي إعوجاج المـرأة حُنو على رجلها.

وفي إعوجاج القوس قوته.. ولو استقام ما رمى.

وتحـت الجليد تمكُن الحمـم وتغلي.. وتحـت الـخَضار تنصهـر المعادن.. وتحت الرماد.. نار تغيظ.

ولكل خير شره.. كما لكل داء دواؤه.

فالحديـد يصدأ.. والحرير يبـلى.. والورد يذبُل.. والنبـات له حشراته.. والحشرات لها ملاقيطها.. والطيور لها ممسكيها.. وكل حيوان فريسة لغيره.. والعـين لها رَمَدها.. والأنف زُكامه.. والأذن صَممها.. والأسـنان سُوسـها.. وللجلد سُـكّانه من الطفيليات.. وللشـعر زوّاره.. وللأمعـاء ديدانها.. وللدم ضغطه.. وللسكر خلله.

بـل أن بداخـل كل تجويـف مـن هـؤلاء.. تسـتوطن معـاشر البكتيريا

والميكروبـات متأهبة لحظة الخروج.. لتدعو مـن تبقى من قبيلتها ليتلذذوا في تحلله.

ومن صداع لقراع.. وبين صلع وهلع.. وزرع وقلع.. وبني وهدم.. ومحيا ومات.

الإنسان يمرض فيشيخ فيموت فيفني.. يُدفن وتُدفن معه شروره.. فتطرح من بَدنه ذرية صالحة.

وخلق الله الشر.. ولن يمنعك منه.. ولم يأمر به.. ولكن سمح به.. وجعل به حِكمة.. ومنه عِظة.. وفيه تذكرة.

فلا تنظر إلى ما أُخذ منك.. وانظر إلى ما بقى لك.. وارضى بما قسـمه الله خيره وشره.

فـإذا ألقينا شرورنا في صندوق.. وأطّلعنا عليها جميعها.. لـ ارتضى كل منا بـ شَرِّه.

رسالة إلى نفسي

لـ تعلم كل نفس..

أن كل مـا حولك.. من إنسـان، حيوان، جماد.. حتى أنت نفسـك.. مش بتاعـك، دي عناصر ربنا بعتهالـك.. قوة من عنـده.. أي حاجة في حياتك.. عنـصر مترجـم.. زي برمجـة الكمبيوتـر.. وحدة إدخـال.. برمجـة.. وحدة إخراج.

مخك اللي أنت فاكره مخك.. هو أمانة عندك، وأنت حاطة في درج العضم

اللي فوق ده.. مبتستخدموش، راكنه على الرف.. شغال بكهرباء مبتقطعش، وجلوكوز وشوية كيمياء صعبة.. وأنت مش حاسس بحاجة.. دي قوة من عند ربنا.

حركة صوابعي وأنا قاعد بكتب الكتاب، وحركة عينيك وأنت تقرأ.. ثم ترجمة مخك في أجزاء مجزئة من الثانية.. لا تملكها.. دي قوة من عند ربنا.

شوية الأكسجين اللي ربنا بيبعتهم لك من تحت عقب الباب وأنت قافل بالمفتاح.. عشان تعصيه، ومش مكسوف وهو شايفك.. قوة من عند ربنا.. وممكن في نفس الأجزاء من الثانية.. يقطعه عنك.

النعمة (وحدة إدخال).. أي نعمة من حب، جمال، عطاء.. ربنا بعتهالك في شكل صور مترجمة (برمجة).. من شخص، فلوس، نفوذ.. وربنا بيستني رد فعلك (وحدة إخراج) من شكر، عبادة، عمل، إحسان.. كلها دواير مُفرغة جوه بعض.. زي اللي كنا بنرسمها بالبرجل في هندسة ٥ إبتدائي.

يا نفسي ..

أوعى تستقل بنفسك أبداً.. أو تستقل بحاجة بتعملها.. مهما كانت صغيرة.. في يوم هتلاقي لها لازمة..

متنساش في يوم أنك كنت في ضلمة وسط ملايين.. وأنت بس اللي قدرت وووصلت لهدفك، وبعد ما كنت نطفة لا تذكرِ.. اتشعبطت في الدنيا وبقيت ما شاء الله عَلَقَة، ومسكتش وبقيت مُضغة.. حِتة لحمة طرية.. نِشفت وبقيت عضمة، وانتصرت على ملايين ملايين غيرك.. وأنت دلوقتي اللي قاعد تقرأ الكتاب.. وهم لا.

متنساش إنك استحملت ٩ شهور في مكان واحد مفهوش نت ولا نور ولا كهرباء ولا فلوس.. وبالنسبة للبنات مفهوش مراية.. متنساش إنك فضلت أكتر من سنة نايم على ظهرك.. ومن واحد شايلك.. لواحد بيقولك كلام افريقي وتعاويذ «اختي ثمالا خلاثي» وأنت رافض تتكلم.. وبدأت تزحف عشان توصل للي أنت عايزه.. اتخبطت مرة وقُمت.. وقعت وحاولت.. زهقت ومشيت.. وجريت.

متنساش إن ليك بصمة لوحدك.. حاجة Unique حاول تسيبها.

الـ DNA بتاعك محدش عنده زيه.. و٨٠٪ منه محدش عارف بيعمل ايه.. غير جسمك..

نفسك تعبت معاك أوي.. فمتجيش عليها أكتر من كده.

ومتنساش إنك إنسان.. كان ممكن في يوم تكون قرد محبوس في قفص وِسط زيه كتير.. والناس بتعدي عليه ترميله شوية موز وسوداني.. وبقِشره!

و متعرفش إن الموز فيه بوتاسيوم كتير.. ممكن يعمل Arrysthmia.. أو مشاكل في القلب.. أو إن القرد أصلاً مش بيحب الموز.

أنت أحسن من كائنات كتير.. مقولتش ابقى مغرور واتكبّر على الناس.. بس اعرف قيمة نفسك واديها حقها.

وخليك إيجابي..

لأن كل واحد منا شخصية متفردة يتميز بها مثل بصمة إصبعه.. لا يوجد إنسان عادي.. لا يوجد نموذج إجابة، وإنما كل واحد موديل مُبتكَر.. نمط فريد.. نسيج لوحده.. ليس له شبيه.. ولا يوجد له توأمه..

فلا يخلق الله من الشبه أربعين، وإنما توجد فروق.. في لون بشرة.. في نظرة.. لفتة.. تنهيدة.

نعم، كلنا أصل واحد.. خامة واحدة.. من طين واحد، لكن لكل شخصية مبتكرة فريدة فرديّة.. وخاصة بصاحبها.. بِذرة عبقرية تحتاج لموقف ينميها..

والعادي عادي في وجهة نظر صاحبه.. قد لا يكون به ما يوقفنا.. ويوقف غيره.. قبل أن يكتشف العبقري بذرته.. كان عادياً في وجهة نظر نفسه.. ومن حوله والسر في ذلك أن اكتشاف البذرة ليس هيناً.. بل هو أصعب من إكتشاف بذرة في حقل ذُرة.. والأمر يستدعي المحاولة والمثابرة.. مثل اكتشاف النار.. لا نصل إليه إلا بالاحتكاك والاصطدام بما حولك.

والفرق بين أينشتاين وعامل النظافة هو أنه اكتشف بذرته.

ثِق أنك موهوب، وأن الله قد خصَّك بشيء، وأنك لا تُشبه غيرك من الناس.. لأنه لا فائدة من التكرار، ولا جدوي من التناسُخ.. وإنما جئت إلى الدنيا ناجحاً لتكشف ما يميزك.

كلنا ناجح من أول يوم.. من أول رشفة أكسجين وقطرة ماء، وصرخة بكاء.. لا ينقصنا إلا أن نتمم نجاحنا.. ونُكمل ما بدأنا.

الفاشل فاشل عشان بيخاف.. مش بيخاف مِن الفشل.. بيخاف من «فاشل».. من كلام الناس ..بالرغم إن مفيش إنسان ناجح.. مكنش فاشل..

ماتخفش من الفشل.. ولا تخاف يتقال عليك فاشل.. ده لو الناس إتفقت عليك وعلى نجاحك.. إعرف إن فيك حاجة غلط.. وإنك فاشل.

الصاروخ عشـان يطير.. الأول محتاج حماس.. شُـعلة تولّـع غاز.. يطلع هـواء كافي إنه يادوب يرفعه من عـلى الأرض.. واحدة واحدة.. يبدأ يواجه صعوبـات؛ صعوبة إنه مصنوع من معـدن تقيل جداً (صعوبة إمكانيات).. صعوبة إن كل ما تتطلع فوق.. الجاذبية تزيد وتشدّه لتحت (أعداء النجاح).. صعوبة إن الأُكسـجين قلّ مع كل مِتر بـ يطلعه.. والحماس قلّ.. والتشـجيع كمان قلّ.

عشـان يكمِّل.. بيضحي بنفسه.. بيتخلص من أجزاء من جسمه.. كل ما يقـرب، يبعد.. فيه صاروخ ٣ أجـزاء.. وفيه صاروخ اتنين.. أنت ورزقك.. بـ يبدأ يرمي الزعانف والقاذف الشرعي والجسـم الأسـطواني اللي في النص ..بيوصل إنه يرمي المحرك!.. تخيّل!!

النجاح مش بالساهل.. إنك تنجح بس.. ده فشل في حد ذاته، لأن النجاح زي الحياة.. يقتدي استمرارية.

لو عِشت يوم واحد ومُت.. يبقى أنت عايش؟

النجاح إنك تنجح كل يوم.. أنت مهما كنت ناجح مش هتبقى صاروخ!، ده حتى الصاروخ بيضحي ..

لازم تضحـي وتيجي على نفسـك.. تتغلب على وزنك ومعدنك الإنسـاني وجاذبية الفشل وتحافظ على شرارتك الصغيرة

هيجيلـك يوم هتبقى يـدوب مخروط أمامـي من غير محـرك.. عايم على سـجادة سـوداء من غير جاذبية.. لا أنت عارف تتقدم ولا قـادر ترجع تاني تجيب اللي راح.

ساعتها متنساش إن النجاح هو إنك بعد ما تفشل تكمل نجاح.. لأن الفشل نجاح مُتقطِّع.. الناجح في عمله يراه البعض فاشلاً في حياته.. والمتفائل يراه البعض عبيط وأهبل.

ولو رسمت + على ورقة بيضة.. وسمعت رأي الناس.. هيكون:

- ده حرف t بس خطك وحش ومش باين.

- ده علم هيتلر.. باين جداً بس محتاج يتظبط شوية ويتلوِّن أحمر.. بس رسمك مش حلو.

- ده صليب.

- ده بروتون.. شحنة زائدة من الكهرباء جعلت العنصر يفقد إلكترون بالتبادل.. وأصبح عنصر نشط.. ده هيدروجين مُفعَّل بالطبع.

- ده زائد.. عمليات حسابية، جايز يكون ناتج عن اِلتقاء سالبين.. أو ممكن قصدك صفر زائد صفر مثلا ... لا استني.. ده واحد؟!.. لا، سوري دي شعرة

- بص ده واحد بيلعب ميدل أوف أونر.. وده المؤشر اللي بينشِّن بيه.

- لا ده واحد غرس مَفَك في الورقة فـ عمل الشكل ده، يعني لو خدت مقطع في المفك هيطلع الشكل ده.. . بس يكون مفك صليبة.

ها شوفت؟

مفهمتش بردو؟ ... هو أنا فاشل بجد ولا ايه ... ده طلع ايه في الأخر يعني؟

زي ما أنت شوفت النـاس عمرها ما هتتفق على حاجـة ولو اتفقوا على حاجـة.. قـولي عليها عشـان اختلـف معاهم، مِـن الأخر يعـني.. دي ورقة بيضاء.. الناس سابوا الورقة البيضاء الكبيرة وبصوا على + السودا الصغيرة

أااااااه.. مفهمتش بردو.. خِدعة بصرية؟

يعني الناس هيسـيبوا كل الحلو اللي فيك.. ويبصوا على الوحِش.. ينسـوا كل النجاح بتاعك ويبصوا على النص درجة اللي نقصتها.

ولماذا؟

أصبحنا نشبه أقلام الرصاص..

بنتغير مع الوقت زي سـن القلم بنتشـكل.. في الأول بيبقى سـن رفيع بـس بعد كده بيتخن لحد ما يبقى «تِـلِـم».. والدنيا تبوظ، وممكن يكتب خطـين فوق بعض «بوشـين» بنحتـاج موقف جامـد زي البراية الحديد.. يرجَّع السـن رفيع تاني.. بس المرة دي مع شـخص تـاني.. ونقطة ومن أول السطر.

ومع الوقت وكُتر البَري «المواقف»، القلم بيفضل يقصر، والسن «العمر» بيتقصف، ويخلص ويموت.

فيه أقلام أصيلة في آخرها أسـتيكة لما تغلط تمسح غلطها وتتأسف.. دي أقلام غالية ومبقتش موجودة.

بقينا عايشين في مَقلمة كترت فيها الأقلام الجاف والبراجل..

ويا بخت من له صاحب أستيكة تصحح له غلطه، ويا ويل من اللي قلمه

حِبر لما يغلط يطفح.. صاحبلك مسطرة أو أستيكة وفكّر قبل ما تكتب.. وخد بالك قبل ما السِن يخلص أو يتقصف.

بقينا زي ٤ كوبايات فيها سائل شفاف.. سكر وملح، خل ومياه.

من برا يبانوا مياه.. بس من جوا لا.

زي البني آدمين.. نبان من برا زي جوا.. فيه المملح والمسكَّر والمخلل، واللي معدنه طيب، واللي طبعه غلّاب، لأن النفوس مش زي بعضها.. والناس لا يشبه بعضها الآخر.

و ها قد رأيتني اختلف عن توأمي.. بل أختلف عن نفسي، فالنفس غير النفس في زمان آخر.. ومكان غير ما كان.

تشكَّل صلصال كلانا.. فانقسمنا إلى خير وشر.. مثل قابيل وهابيل، ولكن من نفس الشريط الوراثي.. في بَدَن واحد.. وسِحنة مشتركة.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وها أنا أنتظر غراباً ليأتي ليعلمني كيف أواري سوءة أخي.. بل سوءة نفسي.

لـ تُلقي إلى ورقة كُتب فيها :

«المدينة الفاضلة بداخل إنسانولوجية كل منا.. والعلم لا يكبحه إلا ال...».

إلا ماذا.. أجبني.. أجبني يا أنا.. أجبني يا عقلي!!

الآن عرفت لمن كانت تلك المدينة التي رأيتها في المستقبل.

ثم سمعت إجابة اللغز تأتي من بعيد :

افتح مصحفك.. على سورة «القلم» رمز العِلم..

وتأمل الكلمة الثالثة في الآية الرابعة..

وتساءل لماذا لم يبدلها الله بكلمة «علم»..

وقتها فقط ستعلم ما يكبح العلم..

ثم تتبعت الصوت حتى دخلت كهفاً.. فوجدت زحاماً من أشياءٍ لم أرى مثلها من قبل...

واقرأ معي الكتاب مِن الأول.

شقريات

- تعمّدت أن تكون اللغة سهلة والأسلوب بسيط.. لأني لا أكتب للمثقفين.. ولكني أكتب ليزيد المثقفين واحداً.

- اللي يميزك عن باقي الكائنات هو الخيال وصحابه في المركز إياه اللي في الجبهة.. فـ لو عشت حياتك كلها تاكل وتشرب وتسمع وتشوف وقلبك يدُق وتتنفس وقلبك يدق وبغرايزك وعواطفك وشهواتك وروتينك الطاغي على كل ده.. ولغيت «ميزتك» في الخيال وصحابه.. فـ أنت نملة! مع احترامي للنملة اللي أحسن منك في حاجات ربنا إداها لها.. أنا وأنت وغيرنا منعرفهاش.

- إنها النسبية.. الإنسان أمر نسبي كما هو الزمكان.. (الزمان والمكان).. شأنه شأن كل شيء في الكون، بل الكون نفسه نسبي.

- بس جايز لو كان نظرنا إكس راي أو أشعة فوق البنفسجية.. كنا شوفنا بعض من جوه.. هياكل وهواء.. أبيض وأسود.. من غير ما نشوف الجمال النسبي.

- من الذكاء إنك تجمع الشئ ونقيضه.. لأنه أمر نسبي.. يكاد يصل إلى حد الكمال.. وكون إنك تثبت نظرية صحيحة كاملة ١٠٠ ٪ بمعادلاتها وإثباتاتها.. وترجع تثبت عكسها.. فـ ده قمة النجاح.. لأن مع تغيُّر الظروف ... تتغيَّر النتائج.

- «الإنسان أوضح شيء نسبي.. فهو أوضح من الزمان والمكان.. فـ إنها النسبية كما يجب أن تكون».

- فـ عجباً.. فـ «الإرتقاء إلى القمر أيسر من الإرتقاء بالأخلاق!.. وكأن السفر إلى القمر ليس بـ صعود.. بل هروب»، فـ ليس هناك كَذِب مُلون.. فـ الكذب أسود.. حتى يليق بنا.

- خليك سفنجة! لو قطعتها فتافيت صغيرة بـ إبرة.. وطحنتها وفرمتها بشاكوش.. وعصرتها في قماش ثقوبه صغيرة.. وصفّيته في مِصفاة ثقوبها أصغر من القماش.. الذرّات اللي اتبقت من كل التقطيع والطحن والعصر ده.. كل نقطة منها هتكبر تاني.. وتكوّن حيوان الإسفنج زي ما كان.. وكأن مفيش حاجة حصلت.

- جايز مشكلتك تفاحتك.. وأنت نيوتن

- خلاصة الكلام.. لو قلمك الرصاص اتكسر نصين.. ابري النص التاني.. هيبقى معاك قلمين.

- فـ ليست كل النهايات نهاية.. إذا جعلتها أنت بداية.

- أليس الاستغفار آلة زمن! أليس الاستغفار.. تكفير ذنوب وتصحيح أخطاء.. أليس عودة إلى الماضي ومحو خطايا من عقود بالاستغفار نسافر عبر الزمن.. عبر الماضي والمستقبل.. فـ الاستغفار آلتنا الزمنية.

- واللي بنتخيل إن إحنا نسيناه.. موجود.. وبـ يظهر فجأة في لحظة غضب، أو مع طعم دمعة نزلت من عينيك، أو فنجان قهوة، أو حلم، أو زلة لسان، أو خطأ إملائي في إمتحان...

- محاولة الخروج عن المألوف.. في حد ذاته شيء مألوف.. فهي مجرد محاولة.. فـ الخروج عن المألوف.. لا يتطلب محاولة.. يتطلب عبقرية.. بل هو العبقرية. احترم عقلك!
- طيب ما لسه في فرصة! ولو دقايق في فيديو.. ياما ساعات عَدّوا علينا دقايق.. وياما دقايق كانوا ساعات! فـ الدقيقة تسوى ساعة وسنة لو ليها قيمة ونية سليمة.. والساعة دقيقة.. لو نايمة وزيُّها زي غيرها مش دايمة.
- البقاء ليس للأقوى.. والبقاء ليس للأصلح.. ولا للأجمل.. ولكن البقاء لله.
- هل أصبحنا طرزان!.. هل أنا انسان أم حيوان.. هل كنت انساناً وتحوَّلت قرداً.. أم كنت قرداً واتسخطت إنساناً.
- العقل هو أخطر شيء موجود على وجه الأرض.. فهو أقوى من العضلات وأصلب من الدبابات.. فهو الذي فجّر قنبلته النووية وهو الذي أبطلها.
- ولنا في الأحلام خيال! ولنا في الخيال حياة!
- لما تصحي من حياتك.. هتحس نفس إحساس لما تفوق من حِلمك.. بس الفرق، إن الحياة هي الحلم الوحيد اللي تقدر تتحكم فيه.. وعشان كده هتتحاسب عليه.
- الحِلم فكرة.. والفكرة لا تفنى ولا تستحدث من عدم.. ولكنها تنتقل من عقل إلى آخر.

- الفكرة شجرة.. اسقيها تكبر.. انساها تموت.
- الفكرة كالمطر.. ولكن تهطل من الأرض إلى السماء.
- الخيال إنساني بحت بكل ما تحمل الكلمة من معنى.
- الطفل يرى أحسن مما نرى.. وبراءته هي أعمق من تفكيرنا.. لأنه يسأل أسئلة وجودية لا تخطر ببالنا.
- فـ النفس أمارة بالسوء إلا من رحم ربي.. وهي مطمئنة في أحسن أحوالها إذا ما صادقت الروح.. وهي ما بين ذلك وذاك.. لوّامة.
- وبين صراع النفس والروح.. نشأ الضمير.
- إن الضمير هو «البوصلة» GPS يحدد الطريق الذي وصلت إليه نفسك بأخلاقها.
- الضمير هو الذي يرجح كافة الميزان.. ميزان الروح والنفس.. فهو يجلو صدأ النفس لتشفَّ نور الروح.
- آلام النفس فلا تشفيها أجزخانات العِلم.. ولا تروّضها عقاقير الطب.
- فـ أنا لستُ هاتفاً عَطِبت شاشته.. أو جهازاً سقطت نسخة ويندوزه.. لستُ بـ إلكترونات تتقافز على قطعة زجاج، فتعكس ألواناً تضيء في عين من يراها.
- الرزق مش بس فلوس.. الرزق ممكن يكون حكمة، علم.. صحة، منصب.. ذكاء، جمال.. موهبة، أخلاق.. طلاقة لسان، إنسان.. حب، وأجمل رزق وهو دعوة.

- ❑ فـ رزقك موجود ومقدر قبل أن تُولد.. بل قبل أن تُوجد.
- ❑ قـد يكـون في رزقك رزق غـيرك.. وقد تكـون أنت في حـد ذاتك رزق غيرك.
- ❑ توزيـع الأرزاق بحكمة هـي حكمـة لا يعلمها إلا الحكيـم.. وتوزيع الإبتلاءات برحمة هي رحمة لرحمة لا يقدِّرها إلا الرحيم.
- ❑ رزقك هو الرزق الوحيد المناســب لتوزيعـة حياتك.. وكل ما عليك هو السعي.
- ❑ إن طلبـت رزقـك، جاء إليك.. وإذا أتقنت، سـعي إليك.. وإن سـعيت، بُورك لك.
- ❑ الرزق يطلبنا كما نطلبه.. والله يرزقنا ولكن لا يطعمنا في أفواهنا.
- ❑ إن لم تسـعَ.. فلن تنال رزقك.. وإذا سـعيت نِلت رزقك.. وهذا مكتوب وذاك مكتوب.
- ❑ كأن الثابت الوحيد هو التغيُّر.
- ❑ إن كان خلقك كعدمك.. وحياتك كمماتك.. لَما خلقك الله.
- ❑ فليس الخير ما تهواه.. وليس الشر ما تهابه.
- ❑ فأنت مُسير حتى تعلم.. ومُخير حتى تفهم.
- ❑ خلقـك اللـه وعظَّمـك وأعـلى شـأنك.. ونفخ فيك مـن روحه وأسـجد لك ملائكته.. فـ أنت عظيم! عظيم في نفسك.. عظيم عند ربك وإذا ظلم عظيمٌ عظيماً.. تدخَّل الأعظم، ولأنه الأعظم.. فـ حسابه عظيم.. وعذابه أليم.

- مرِضنا فشعرنا فشكرنا.

- عذاب الدنيا رحمة.. وتخفيف عن عذاب أشد.

- أنت كَسر من الواحد.. يتوحد لوحده ليصبح واحداً.. محدش شبهك.. أنت حرف.. أنت سطر.. أنت آية من الوجود.

- نحن متساويين في شيء واحد.. نتساوى في إختلافنا.

- وكما خلقنا درجات.. نموت درجات، ونبعث درجات.. ونحاسب بدرجات.. فالجنة درجات.. والنار أسوء الدرجات، والظلم هنا أن تتساوى تلك الدرجات.

- فلا تتساوى كلمتان.. ولا يوجد شيء في الدنيا له مثيله.. ولو وُجِد لما وُجِد.

- فكلٌ مرفوع ومرفوع عليه.. مرفوع بما تميَّز فيه ومرفوع عليه فيما لا يعقله من صفات أخرى تميَّز بها غيره.

- بما أن الناس أرقام.. فـ في ناس فوق المقام.. وناس تحت المقام.. وناس أُس الفساد.. وناس زي اللوغريتمات.. وناس نسيت جذورها.

- الحياة دايرة مفيهاش أضلاع.. كلنا نقط بنكمل بعض عشان نرسم الدايرة.

- مجموع كل إنسان يساوي مجموع كل إنسان في سياق قانون التفاضُل والتكامُل.

- الدنيا من فوق شكلها أحلى.. بدون صوت.. بدون جمال.. الناس كلها

سِـحنة واحدة.. هيا كل ماشـية تـزُق بعض واحد ورا التـاني.. إلى مقبرة الحياة.

- ما أن تملك الشئ حتى يذهب سحره.. ويسيل لعابك على غيره.
- الغِني غِني أغلي ما يمكلك الإنسان.. غِني النفس.

غِني يُغني عن غِني كل ما سبق.. غِني يُغنيك.

- إن العُمـر ثلاثي الأبعاد.. لـه طول وعَرض وعمق، فطـول العمر مقدور أجـلاً.. ولكـن عَرضه لك، وهو اللحظة التي توسـع فيهـا.. حتى يصبح عرضـه أطـول من طولـه.. وعمقه هو أن يـترك أثر بعـد أن ينتهي طوله وعرضه.
- العمر كالنهر.. يُقاس طوله وهو ما يتسع من مصدره إلى ينبوعه.. ويقاس عرضه وهو ما يتسـع لما يتدفق من انفعـالات، أي أن للحظة طولها وهي ما تتسـع لتدرك الحدث.. والعرض هو انفعالك لذلك الحدث.. أما العمق فهو أثر ذلك الحدث في من حولك.
- العلم زي العمر.. كل ما يزيد يقلّ.. كل ما العلم زاد الجهل زاد.. كل ما تعرف أكتر تكتشف إنك كنت جاهل أكتر.
- الفكرة بتتولد خايفة.. وتموت هربانة.
- الفكرة زي الـذرّة.. حوالينا طايرة.. كل يوم بنتنفسـها، بتخرج وتدخل عـادي.. قدامنا طول الوقت.. إحنا مبنـدورش على الفكرة.. الفكرة هي اللي بتدور علينا.. على الشخص المناسب اللي يستحقها.

- ❑ النفس غير النفس في زمان آخر.. ومكان غير ما كان
- ❑ «المدينـة الفاضلـة بداخل إنسـانولوجية كل منا.. والعلـم لا يكبحه إلا الخُلُق».

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤].

ورقة إمتحان

الاســــــم:

الـــدرجـــة:

مدة الإمتحان:

الأســئــلــة:

السؤال الأول: عُمْر؟

السؤال الثاني: فلوس؟

السؤال الثالث: فلوس؟

السؤال الرابع: صحة؟

الخامس: عِلم؟

السادس: رضا؟

السابع: .....

نموذج إجابة

- اسمك بالكامل، مفيش زمن محدد.. الورقة هتتحسب في أي وقت..

لخّص عمرك في سطر

- السؤال ده مش مُكرر، ده سؤالين.. الفلوس جات منين؟ وراحت فين؟!

- الصحة زي الفلوس كده رزق بتروح وتيجي.. مؤقتة لفترة.. حتى في الفترة دي مؤقتة، بتتولد في ضعف من غير صحة.. نبدأ نبقى شباب وترجع ضعف تاني.. طفل بشعر أبيض.

- هل أنت راكب أوتوبيس أجرة موحدة واستخسرت تنزل فكملت للآخر.. جبت مجموع دخلت كلية إحنا سمينها القمة.

بعد ما دخلت كلام على ورق.. ولا كلام ومفيش ورق.. ولا ورق ومفيش كلام.. ولا ولا ده ولا ده.

- الرضا.. رضيت بكل ده.. ولا شاغل نفسك بغيرك.. وتاعب روحك على الفاضي.. وبالك مشغول إنك تجاوب أكتر من سؤال وتاخد أكتر من درجتك وفي الأخر درجة السؤال ثابتة.. ومهما جاوبت مش هتاخد أكتر من حقك.

الفراغ ده: يعني كل حاجة بتخلص على مفيش.. كله ليه نهاية.. النبات بيدبل ويموت.. الحيوان بيموت.. الإزاز بيتكسر.. المياه بتتبخر..

الإنســان.. بتيجي منه وتعيش بيه ومعاه وترمي حملك كله عليه.. يفطس ويموت.. ده حتى الفراغ بيفضي.. والفضاء بيفرغ.

الإجابة: الصبر.

في الإمتحان ده.. الجاف والرصاص زي بعض.. الاتنين بيتمسحوا..

ممكن تتشد منك الورقة في أي وقت وأي مكان.. ومهم أوي أخر سؤال (الخاتمة)، ومفيش إعادة تصحيح.. لأن الإمتحان هيتصصح قدامك وقدام الناس كلها.. ومتقلقش فيه درجات رأفة وشفاعة، وفي تقديرات (درجات الجنة) وفي سقوط (النار)..

فأنت بقى ظبّط نفسك وشوف ناقصلك ايه والأسئلة اللي سبتها وخلّي خطك (نيتك) حلو وراجع عشان ممكن وقتك يخلص ومتلحقش تراجع.

«ارضي.. ترضي.. تُرضي»

المصادر

١. The ١٠٠: A Ranking of the Most Influential Persons in History by Michael H. Hart

٢. ABC of Relativity by Russel

٣. Quantum of Mechanics by Landau

٤. أينشتاين والنسبية لمصطفي محمود

٥. النسبية العامة والخاصة لألبرت أينشتاين

٦. A Brief History Of Time by Stephen Hawking

٧. Animal Life: Secrets of the Animal World Revealed by Katie Parsons

٨. The Encyclopedia of Animals by George McKay

٩. Netter's Atlas of Human Anatomy

١٠. Gray's Anatomy of the Human Body

١١. Anatomy and Physiology for Dummies

١٢. الطرائف العلمية مدخل لتدريس العلوم لصبري الدمرداش

١٣. Human Development as described in Qura'n and Sunnah by Keith Moore

١٤. Langman's Medical Embryology by T.W. Sadler

الفهرس

إنسانولوجي

هل لدينا القدرة على أن نصبح أينشتاين !

هل يأتي يوم و يحتفظوا بعقولنا أملاً في أن يصلوا لتقنية زراعة المخ ،

و إعادة إحياء العبقرية ؟!

هل تستحق لقب إنسان ؟

هل تستحق اسمك يتحط في موسوعة إنسانولوجي ؟!

هل نحن نحترم عقولنا ؟! حتى يحترمنا مَن حولنا ؟!

هل تحترمنا عقولنا ؟! أم تسخر منا ؟!

هل تستحقنا ؟ هل نستحقها ؟

احترم عقلك .

هذا الكتاب يأخذك في رحلات زمكانية بداخل

عقلك حتى تكتشفه .

لذلك يُنصح بأن يكون ذهنك صافيا كما يُنصح بشرب القهوة أثناء

قراءة الكتاب فقد تصاب بالجنون أو تفقد عقلك .

شقراط

تصميم الغلاف : شريف عبدالله


ISBN 978-977-6518-28-3



فرست بوك
للنشر والتوزيع